موسوعة

تاريخ العراق بين احتلالين

العهد العثماني الثالث

١٢٤٧هـ - ١٨٣١م

١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م

يتضمن الشطر الأول من تاريخنا الحديث من بدء وزارة
علي رضا باشا اللاز إلى آخر أيام مدحت باشا وفيه وقائع تاريخية
وسياسية داخلية وصلات خارجية وأحوال ثقافية

تأليف المؤرخ الكبير
عباس العزاوي المحامي

المجلد السابع

الدار العربية للموسوعات



موسوعة

تاريخ العراق بين احتلالين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عواطف صديق إلى:

العزاوي مؤرخ العراق

رأيت الرجال بآثارهم وتاريخ (عباس) آثار
فأعظم بتاريخه المستفيض وأكبر فقد حق اكباره
نماه إلى [الضاد] فرع شأى فجاز الفراتين مضماره
تباهت به [العزة] المصطفاة وضم العروبة إيثاره
فمن كأبي فاضلٍ في الرجال وأصل التواريخ أسفاره

كمال عثمان



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين. (وبعد) فهذا التاريخ يتلو عهد المماليك مباشرة ويتناول أيام العراق من عهد علي رضا باشا اللاز إلى آخر زمن مدحت باشا وفيه حوادث ومشاكل عانى منها ما عانى وتهم معرفتها. وهو مليء بالأحداث العظيمة القريبة. ومن الضروري التوسع فيها لتكون أمكن في المعرفة والعلاقة بها أجل. وإذا كان العراق لم يهدأ في وقت من توالي الوقائع وتنوعها. فالحاجة ملحة بنا أن ندرك ماضينا القريب لمساسه بشؤوننا التي لا نزال نتحدث بها، ونذكر ما جرى من غرائبها ومهماتها.

نظرة عامة

هذا العهد يبدأ من سنة ١٢٤٧هـ ـ ١٨٣١م وينتهي بانتهاء ولاية مدحت باشا سنة ١٢٨٩هـ ـ ١٨٧٢م. ومن ذلك يتكون قسم كبير من تاريخه الحديث. دخل العراق في عهد جديد زالت به إدارة المماليك، وصار يعتقد الخير كله في هذا الانتقال والتحول، فلم يلبث أن تقلصت آماله، بل شعر بالخطر، ومن ثم استعصى على الإدارة أمره وشمس عليها أو جمح جموحاً لا هوادة فيه. فجعلها في ريب من أمرها. ارتبك الأمر في المدن، واضطربت الحالة في العشائر، ودخلت الأمة في جدال

عنيف. تريد الدولة أن تستقل بالعراق، والشعب يأمل الرفاه والراحة، فاختلفت وجهات النظر وزادت الشؤون تعقيداً وقويت المشادة..

كانت الحالة في أشد التوتر، فلم تتغلب الدولة على المدن إلا بشق الأنفس وبعد تعديل سياستها. ولم تغير أوضاعها إلا بعد أن شعرت بالخطر... وكانت العشائر في غالب أوضاعها بنجوة. جربت الدولة تجارب عديدة، فباءت كلها أو أغلبها بالفشل فلم تستطع الإخلال بالمعهود، ولم تقدر أن تتجاوز حدود المألوف.

وحوادث العالم نبهت إلا أن التدخل كان قليلاً والتجدد غير مشهود. والإدارة تبغي المال لدولتها وتلح. والولاة همّهم أن ينالوا نصيباً أيضاً ومن جهة تحاول الدولة تأسيس حكم مباشر وأن تقضي على الإمارات وعلى العشائر الكبيرة وأن تنظم إدارة المدن كما هو الشأن في أصل الدولة... لتتمكن من الاستغلال، فكان دون ذلك خرط القتاد.

لم توفق في ذلك إلا بعض التوفيق بعد عناء كبير وكلفة عظيمة. فإذا كان هذا حال الأمة في سياسة الدولة فلا شك أن الإدارة خابت في الثقافة أكثر من جراء أن مؤسساتنا عظيمة. لم تخذل من كل وجه. والحكومة في كل أعمالها لم تتمكن إلا من بعض الشيء في حين أن الأفكار تنبّهت في هذا الاضطراب السياسي والثقافي وتهيأت لتقوية الثقافة من ناحية الاتصال بالغرب.

كانت المشادة بالغة غايتها بين الحكومة والشعب. يراد بالعراق أن يتابع الدولة في إدارتها وأن ينقاد بلا قيد ولا شرط فلم يسلس قياده، ولم تربح الدولة قضيتها. وبقي النضال مستمراً. فلم تستطع إدارته إلا أن تمضي بمألوفه. تريد أن توجهه إلى سياستها فخابت أو باءت بالفشل الذريع. ولا شك أن الحالة الاقتصادية في أمر كهذا نراها مضطربة قطعاً. تعينها حوادث كثيرة وتوضح هذا الاضطراب العلاقة المشهودة.

وتاريخ هذا النضال أولى بالتفهم. ومنه ندرك الحالة الاجتماعية أيضاً، والاتصال بالشعب في هدوء نفسياته واضطرابها، فيتجلى تاريخ ذلك بوضوح، ونتبيّنه في حالاته كلها مجموعة بالالتفات إلى حوادث الجدال وظواهر الحياة وهدوئها أو اطراد الأوضاع أو اختلالها.



المراجع التاريخية

نعلم قطعاً أن تبدل الحالات، وما يبدو من الحوادث العظيمة ظواهر لا يصح أن تهمل أو أن تبقى بلا تفسير صحيح. والعراق من أعظم الأقطار حوادث وأكثرها مشاكل. لا يهدأ لحالة، ولا يرضخ لسياسة، ولا يقبل بفرض ثقافي أو اقتصادي... وكل هذه تحتاج إلى مراجعة وثائق عديدة في تدوين تاريخه إلا أننا في هذا التدوين تهمنا الوثائق العامة ذات المساس بالوقائع على أن نذكر الخاصة في حينها نظراً لقيمتها في تفسير وقائع القطر وبسطها؛ بل هي الأولى والأجل لعلاقتها بنا. وهذه كثيرة جداً. وقد بذلت منتهى الجهد في جمع شتاتها وتنظيمها.

المراجع العامة:

١ ـ سياحتنامة حدود. وهذه من أجل الآثار في بيان حالة القطر الاجتماعية كتبها خورشيد بك باللغة التركية وكان من موظفي الخارجية أمره السلطان عند إجراء تحديد الحدود العراقية الإيرانية أن يدوّن عن العراق وما جاوره من قرى وبلدان وعشائر وشعوب وأحوال تاريخية واجتماعية واقتصادية ما يستطيع تدوينه، فقام بالمهمة. ولم نر من تعرض لمثل مباحثه مجموعة كما تعرض... وقفت مدوناته في أواخر سنة ١٢٦٨هـ ـ ١٨٥١م. عندي نسخة مخطوطة منها بلغت الغاية في نفاستها

وإتقانها. وكان خورشيد بك قد عيّن بصحبة درويش باشا الفريق ثم إنه صار خورشيد باشا وتقلب في مناصب عديدة وكان من مماليك يحيى باشا الجليلي والي الموصل فدخل قلم الخارجية فصار مكتوبياً. وتوفي سنة ١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م. وهو والٍ على أنقرة وعلاقته بالعراق مشهودة. ولا شك أنه متمكن من التفاهم مع الأهلين رأساً من جراء اتقانه اللغة العربية والعامية الدارجة فهو عراقي عارف وكتابه جلا صفحة عن أحوال العراق.

٢ - تقرير درويش باشا الفريق كتبه باللغة التركية وكان أستاذاً في المهندسخانة فعهد إليه أمر (تحديد الحدود) بين إيران والعراق وكان خورشيد بك في صحبته طبع تقريره هذا مرات وكان مقتضباً يفسره كتاب (سياحتنامة حدود). وفائدته كبيرة في التعريف بالشعوب العراقية الإيرانية في الحدود كسابقه توفي مؤلفه في ١١ المحرم سنة ١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م كانت علاقته بالوقائع التاريخية كبيرة وهذا التقرير نقلته وزارة الخارجية العراقية إلى اللغة العربية وطبع في مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٥٣م.

٣ - مرآة الزوراء في تاريخ بغداد لما بعد دوحة الوزراء باللغة التركية للمرحوم سليمان فائق والد الأستاذ صاحب المحامة حكمت سليمان. توفي في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣١٤هـ - ١٨٩٦م. وهو مهم جداً في بيان أحوال القطر لولا نقص وتشوش في أوراق مسوداته ومع هذا كانت فائدته عظيمة، وبياناته جيدة في امتداد الحوادث إلى ما بعد المماليك حتى أيام نامق باشا الكبير وكان يتعرض لما بعد ذلك بإشارة خفيفة أو بيان موجز فأتم ما هنالك بما أوضحه في رسالتيه في المتفق ولا شك أنه من أجل الوثائق لتاريخ العراق للمدة التي ذكرها وكتب الأستاذ المرحوم متلازمة يوضح بعضها البعض ونفعها عظيم.

٤ ـ رسالتان في المنتفق. له أيضاً مخطوطتان عندي نسخها. ولا تخلوان من نقص. وفيهما بيان عن أعظم مشاكل القطر في حوادث المنتفق وعلاقة الدولة بها

٥ ـ التاريخ المجهول المؤلف كتب باللغة العربية بدأ بأيام داود باشا ومضى في حوادثه إلى سنة ١٢٧٩ هـ. بعض أوراقه ساقطة وكانت حوادثه غير مطردة وفيه تحامل على الولاة لغته عامية ويعول على كتاب (الف با)، وكتاب (تاريخ المنتفق) للرفاعي وفي كل أحواله يعد صفحة كاشفة عن الأهلين، والولاة وهو يبين روح الكاتب وأثر الوقائع في نفسه ينسب بعض الحوادث إلى الولاة بيان خرقهم أو قلة معرفتهم ولم يدر أن ذلك تطبيق لمنهاج الدولة وقد حاولنا أن نعثر على كتاب (تاريخ المنتفق للرفاعي) والتمسناه كثيراً، فلم نتمكن من الحصول عليه ولعل الأيام تظهره.

٦ ـ تاريخ الشاوي تأليف الأستاذ محمود بن سلطان الشاوي المتوفى سنة ١٩٣٢م يبدأ بسنة ١٢٤٦هـ ويمتد إلى احتلال بغداد سنة ١٣٣٥هـ ـ ١٩١٧م مختصر جداً ولا يخلو من بعض المهمات وإن كانت أغلاطه كثيرة اعتمدناه فيما توسع فيه أو انفرد به عن غيره مما اعتقدنا وثوقه. عندي مخطوطته.

٧ ـ الزوراء أول صحيفة عراقية ظهرت في بغداد بل في العراق ولم تسبقها غيرها كانت حكومية تعين ما كان يجري ببغداد حذر أن تشوش الأخبار، أو تشوه. ويأتي الكلام عليها

٨ ـ تاريخ السيد رشيد السعدي ويسمى (قرة العين في تاريخ الجزيرة والعراق وبين النهرين). كتبه إلى سنة ١٢٩٤ هـ طبع سنة ١٣٢٥هـ في بومبي. وتوفي السيد رشيد السعدي سنة ١٩٣٩م. ومن أولاده الأستاذ أحمد السعدي.

٩ ـ مؤلفات أبي الثناء الألوسي. وهذه كثيرة والتاريخ منتشر خلال سطورها وأحوال الولاة لهذا العهد ذكرها في رحلاته بإشارة وتلميح أو بسط وتوضيح. وربما كانت الإشارة أبلغ. وهو العارف بالموارد والمصادر وأبو الثناء هو السيد شهاب الدين محمود الآلوسي المتوفى في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠هـ ـ ١٨٥٥م ويعد من أعاظم مؤرخي العراق لهذه الحقبة

وهناك مراجع ذكرناها في المجلد السابق تمتد حوادثها إلى هذه الأيام مثل (تاريخ لطفي)، وجريدة (تقويم وقائع) وهكذا اعتمدت الجوائب وكنز الرغائب وتواريخ جديدة . كما أن الوثائق الخاصة كثيرة لا نكاد نحصي وبينها ما يحص حادثاً أو يوضح أمراً

وفي هذا العهد كثرت المراجع العربية والأجنبية إلا أننا في الغالب نلتمس منها المحلية، ونصحح ما جاء مغلوطاً من تلقيات الأجانب، وبالتعبير الأصح نمحص تاريخنا بالنقل من رجالنا مع العلاقة بأصل الدولة وإلا وقعنا بأوهام لا تعد ولا تحصى سواء كانت فرنسية أو تركية أو غربية والتمحيص صعب. والمقابلة تكشف.

لم يتسع المجال للمناقشات أو النقد العلمي وإنما تكفي المقابلة لإظهار ما وقع الآخرون به من خطأ نقدم الزبدة الصافية فيما نعتقد، وإلا طال بنا الأمر.

وإذا كان الأجنبي يشكو من قلة الوثائق فلا شك أننا بذلنا أقصى جهودنا في سبيل تذليل المصاعب فتيسر لنا الكثير والمادة عندنا غزيرة ومع هذا نرى فينا رغبة عظيمة لاستطلاع ما يزيد أو يوضح وليس لنا إلا أن نحكي ما وصل إلينا خبره.

وعلى كل حال نرى المراجع الخاصة كثيرة وليس في الوسع تعدادها. وإنما يهمنا منها ما نذكره في حينه وأكثر فائدة ما أوردناه.

المباحث

العراق للحقبة من انتهاء حكم المماليك إلى آخر أيام مدحت باشا طافح بالأحداث العظيمة نبهت حوادثه الغافل والساهي وكانت محل استفادة المعتبر والسياسي البارع والجهل بها لا يعذر، والغفلة لا تعوّض. واستعراضها ليس بالأمر السهل ومن أجل ما هنالك:

١ ـ فتح بغداد وتحول الحكم وعودته إلى الدولة العثمانية وهذا يعد (دور انتقال) تخلله اضطراب أدى إلى نتائج مضرة في بيان نزعات الأهلين، وآمال الدولة. وما كان من جراء ذلك من مشادة.

٢ ـ التحول العام في سياسة الدولة بإعلان (التنظيمات الخيرية) والوعد بالإصلاح وهل تحقق لهذه التنظيمات من أثر في العراق؟

٣ ـ القضاء على بعض الإمارات العراقية وانقراضها مثل إمارة الرواندري، وإمارة العمادية، وإمارة الجليليين، وإمارة بابان ولكن الدولة لم تتسلط على إمارة المنتفق ولا على العشائر وإنما بقيت في جدال عنيف.

٤ ـ الجرائد والمطابع تكونت في آخر هذا العهد وصارت مبدأ تحول لم يظهر أثره في حينه وإنما فقدت الفائدة المطلوبة مدة

٥ ـ مجاري السياسة. وهذه ظهرت في الحوادث المتوالية في نفس العراق وفي الولاة والقصبة وفي مالية الدولة ورغباتها الأخرى في الجندية... وأن المجاري العامة أثرت كثيراً

٦ ـ الثقافة العلمية ومدارس الدولة. وهذه الأخيرة لم تشاهد نتائجها في هذا العهد وإنما ظهر أثرها في عصر تالٍ، ولكنها لا تخلو من علاقة ما وبجانب هذه تكونت المدارس الأهلية

وكل هذه من أوضح المطالب وأجل الأوضاع ولا نتوغل فيها

الآن. وإنما يأتي تفصيلها. وعندنا برزت أوضاعها عياناً. والحوادث التي نذكرها مما يهم العراق أكثر وهي ذات علاقة مباشرة بنا ولها ملامسة بأوضاعنا وحالاتنا الأخرى. ولا ننس ما له اتصال قلّ أو كثر مما يؤثر تأثيراً مشهوداً.

كل هذه مما نبّه العراق وجعله يفكر في مصالحه ويراعي ثقافته ويقرر اقتصادياته للنهوض بمستواها فوجد نفسه مكتوف الأيدي كما شاعت حوادث العالم وانتشرت فكان أثرها أكبر وإن كانت تلك ذات صلة أمكن.

ولا شك أن هذه دروس عملية لا تقتبس من كتب وإنما أقرّها التاريخ. وهي نتيجة اتصال بالحوادث وصفحاتها المتحولة والمشهودة كل يوم فتتكرر وتمضي فلا تزول بزوال الشخص ولا تموت بموته بل هي حياة عامة. وحوادث العصر لثبتة هذه تحقق ما وراءها.

وهنا لا نقتصر على المهم العام وحده وإنما نراعي تسلسل المطالب للارتباط البين. ومن الله تعالى التيسير.

حوادث سنة ١٢٤٧هـ - ١٨٣١ م

الوزير
علي رضا باشا اللاز

لا يختلف هذا العهد عن الأزمان السابقة. وأن التنظيمات الخيرية لم تؤثر فيه إلا قليلاً فكان بعيداً عن الإصلاح. توالى فيه ووراءه كثيرون يحملون عقليات خاصة - كما حدثت فيه أحوال سياسية مهمة وأوضاع داعية للالتفات تيسرت لنا وكشفت عن أحوال هؤلاء ولم تتيسر لغيرنا ممن شك من قلتها.

وهذا الوزير أحد ولاة الدولة. لا يفترق عنهم بما يمتاز به.

دخل بغداد ليلة الخميس ٨ ربيع الأول سنة ١٢٤٧هـ - ١٨٣١م وبذلك انقاد العراق لدولته رأساً، فأزال عنه المتغلبة، فكان أول وزير بعد المماليك، إلا أن الأهلين لم يلبثوا أن تذمروا منه، وأن المماليك عادوا من طريق آخر للتدخل في الإدارة، يعرفون التركية وهم أبصر بالمداخل فاستعانت بهم.

لم يستطع الأهلون أن يتغلبوا من جراء أن الثقافة التركية في الأهلين كانت ضعيفة، وهؤلاء متسلحون بها، والتفاهم سهل. إلا أن الإمارة زالت منهم

صار العراق تتحكم به سلطة الدولة مقرونة بسيطرة المماليك باسم موظفين وعلي رضا باشا اللار قد سكر بخمرة الانتصار، فتحكم به أتباعه وموظفوه، وتجاوزوا الحد في الظلم والاعتداء

ومن مختلف المراجع نتعين أوضاع هذا الوالي، وتعرف وقائعه، وبين هذه ما هو حكومي وما هو أهلي.. وعرض مثل هذه يجعلنا على يقين من أمره. وكانت شهرته قد زادت في مقارعة داود باشا بل لم يكن ليعرف لولا هذه الحادثة. وقد قيل لأم المحظوظ الهبل، فالأوضاع ساعدته أكثر، وأن أكبر مسهل له الوباء والغرق وإلا لتغيرت الأوضاع ولله إرادات في خذلان داود باشا

وهنا لا نود أن نعيد ذكرى (حادث بغداد)، وإنما يهمنا بيان ما جرى في أيام علي رضا باشا من وقائع أخرى لنكون على بينة منها، وفيها ما يكفي للتبصر بها وبما خفي من أحواله الأخرى

اخذ داود باشا
إلى استنبول

من أهم الوقائع أن أخذ داود باشا إلى استنبول في شهر ربيع

الثاني. ويقال إن الحكومة احتفظت به ولم تقتله لئلا يتطير محمد علي باشا خديو مصر، فلا يتقرب من الدولة.

وحذره الوزير علي رضا باشا أن يتحرك بحركة أثناء سفره لأنه أمر المحافظين بأنه إذا حصلت حركة بفساد أو هرب فلا يتأخر في قتله ولذا منع من أي عمل طائش مثل هذا فإنه يضرّ به

هذا ما شاع عن داود باشا ورأيت في وثيقة تاريخية لم أتمكن من معرفة مؤلفها في تاريخ ولاة بغداد وسميتها (التاريخ المجهول) في حوادث أيامهم. قال:

أما هذا الوزير ـ داود باشا فقد انقضت أيامه عند خلاص الطاعون من بغداد، وأما وقائعه فمن تذكر لقبحها، ولمزيد ظلمه ـ قبحه الله ـ وليس له مادة حسنة كي يعتني المؤرخون بذكرها ـ حتى لو أننا نذكر من تعديه على عباد الله لأفضى إلى كفره ونكاره. وأسس أشياء من الظلم ما تخطر في قلب فرعون وكان محبلاً جداً مع زيادة أمواله، يغصب الناس أموالهم ظلماً وعدواناً، والحال سيّر إلى استنبول بأمر السلطان محمود، سيره علي باشا مهاناً كما ذهب الحمار بأم عمرو...» اهـ[1]

هذا مؤيد بغيره كان قاسياً إلا أن غالب أعماله مصروفة إلى المصلحة العامة. لا تزال أعماله الخيرية محل الانتفاع. وهل كانت خالصة لله تعالى؟ وعلى كل حال نقول إنما الأعمال بالنيات كما هو منطوق الحديث الشريف.

---

(١) التاريخ المجهول. ولفظه عامي فلم أتصرف به

قتلة المماليك:

مرّ الكلام عليها في تاريخ المماليك، جعلناها تتمة لمباحثهم. وكانت في ٢٢ شعبان[١].

سوء أعمال:

إن الوزير بعد أن فتح بغداد، وقضى على المماليك نصب الحاج يوسف آغا الشريف وكيل كتخدا، وكان من أعيان حلب جاء بصحبة الوزير، وكذا السيد محمد آغا صبّاف زاده[٢]. نصبه متسلماً للبصرة، وأودع المهمات الأخرى لموظفين آخرين وصار يجمع بعجل مخلفات المماليك، وهذه مما جمعه وادّخره هؤلاء خلال ٩٠ سنة، أكثرها صار نهباً، فلم يصل إلى الوزير منها إلا القليل باعها علناً بالمزايدة، وأرسل المبالغ المتحصلة إلى (الجيب الهمايوني)[٣]، أو (الجيب السلطاني).

وفي شهر رجب ورد بغداد عارف الدفتري أرسلته الدولة ولما وصل إلى الأعظمية استقبل بحفاوة، وأقيم في دار خاصة، وأجريت له مراسيم الضيافة والحرمة وما استحصل من أموال المماليك كان قليلاً فبيع وأرسل إلى الجيب السلطاني[٤] فلم تحصل فائدة تذكر من مجيء الدفتري إلا أن الدفاتر التي هتكت أو نهبت كان قد جاء ببعض صورها فاستكتبت

ومن جهة أخرى أن العشائر انتهبوا الأطعمة المدخرة بحيث إن

---

(١) هامش مطالع السعود مخطوطي

(٢) تذكرة الشعراء ص ٢١

(٣) مرآة الزوراء ص ١٥٠.

(٤) تكاليف أو ضرائب تؤخذ من كل مدينة سنوياً فترسل مبالغها إلى السلطان جاء ذكرها في ص ١١٤ من كتاب (تكاليف قواعدي) ويجوز أن يكون مقدارها متساوياً أو متفاوتاً بالنظر للولايات

الدولة لم تنل ما كانت تتطلبه من هذا الفتح، والوزير في بغداد لم يتمكن من إعاشة الجيش ولا استيفاء رتبه إلا من طريق التغريم والمصادرة.. فكان الملا علي (الخصي) كاتب مقاطعة الخالص، ومحمد الميلاني، وآخرون أمثالهما أرادوا التقرب من الحكومة، فأجروا مظالم بلغت الغاية في القسوة وتعرضوا بالمخدرات من النساء، فصاروا يعذبونهن بأنواع التعذيب. فتجاوزوا على زوجة رضوان آغا المقتول في الواقعة. ضربوها بالفلقة، وكووا بدنها بالسيخ (الشيش)[1] مع أنها من المخدرات، وارتكبوا فجائع مما لا يأتلف والأخلاق المقبولة. آلموا الأهلين كثيراً[2]. وذلك بأمل تقديم مبالغ للجيب الهمايوني، وسدّ جشع الوالي وأعوانه. فكان أثر هذه الواقعة كبيراً جداً. ثم أدركت الدولة غلطها، وعلمت ما ولدته من نفرة في نفوس الأهلين، فحاولت أن تتدارك الأمر فلم تفلح[3]. والبغض لا يبدل بسهولة فينقلب إلى حب.

آل رضوان آغا:

تنتسب إليه أسرته المعروفة باسمه. أعقب ولداً صغيراً لا يتجاوز عمره آنئذ الست سنوات اسمه عبد الوهاب، فهربه الأهلون، أخفوه في دار الأستاذ عبد الغني جميل، وأصاب أمه الاعتداء. وهي نائلة خاتون من أسرة نقيب (مندلي). وكان التضييق عليها أدى إلى أن تظهر (مشربات)[4] مملوءة ذهباً، وبعد ذلك صدر العفو عن المماليك، فعادوا

---

(١) السيخ والشيش عاميتان. مستعملتان لمعنى، الأولى فارسية والثانية تركية. معربتان دخلتا بعض كتب اللغة مثل محيط المحيط وأصل عربيها (سفود) ومستعملة الآن في الموصل بهذا اللفظ وفي مصر وبلاد أخرى.

والفلقة معروفة من مدة طويلة. وكانت مستعملة في الكتاتيب لتأديب الصغار.

(٢) مرآة الزوراء ص ١٥٣

(٣) تاريخ الشاوي ص ٧

(٤) المشربة جرة نحاسية أو إناء يستعمل لنقل الماء وغيره من السوائل أو لحفظه.

إلى بغداد، وصار الحاج عبد الوهاب معروفاً. أعقب أولاداً لا يزال بعض بقاياهم.

عبد الغني جميل ـ السيد محمود الآلوسي:

العراق لم ير ما رآه في أيام علي رضا باشا. شاهد الأهلون منه قسوة شديدة. وكان الوزير قد استدعى الأستاذ عبد الغني جميل من الشام. فورد بغداد وعهد إليه بالإفتاء. وفي أثناء ذلك وجد ما يثير حفيظته فسخط على حكومته، وثار، وكذلك ثار لثورته جماعة كبيرة، ولكن مؤرخي الترك لم يعيّنوا سبب الواقعة، ولا ذكروا إيضاحاً عنها فلا يودون إعادة أشجانها، جاءت مراجع كثيرة تنبىء بماهية الحادث مما ذكر من الخط الهمايوني (السلطاني) وما يلزم من المبالغ له.

وفي تاريخ لطفي لم يصرح باسم الثائر المقبوض عليه، وراعى الكتمان والتحمي حذراً من توليد خواطر سيئة.

وفي مجموعة الآلوسي أن عبد الغني آل جميل قام على الوزير علي رضا باشا وأهل بغداد معه. حاولوا إخراجه وكلفوا بذلك. هاجموا دار الحكومة وقتلوا بضعة أشخاص، وتقدموا نحو باب الحرم. ولكن الوزير راعى الحكمة، وقام بحركات قويمة. استعان بالجيش، فتمكن من القضاء على الفتنة وفرق شمل الثوار. اندلعت النيران في محلة سر علي، وسلّم عبد الغني آل جميل المفتي إلى الحكومة، ودخل في أمانها، فأخمدت الغائلة[1].

وفي حديقة الورود:

«إن علي رضا باشا لما ولي العراق من قبل السلطان... أبى أن

---

(١) تاريخ لطفي ج ٤ ص ٧١ ومجموعة الآلوسي. ومجموعة عبد الغفار الأخرس في شعر عبد الغني جميل نشرتها سنة ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م.

يطيعه من في العراق، وقامت الحرب بين الطرفين على ساق، إلى أن دخل الوزير بغداد فنسب إليه (إلى أبي الثناء محمود الآلوسي) من حادثة الحصار ما نسب، وشنّ عليه الأعداء إغارة البهتان والكذب حتى أغلظوا قلب الوزير عليه، فضاقت عليه الأرض برحبها، وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه. جاور مختفياً في محلة الشيخ عبد القادر الكيلاني. . ولم يبرح خائفاً وجلاً، ولو رأى غير شيء ظنه رجلاً، إلى أن أقبل في هذه السنة من ناحية لشم الليث الهصور، والشهم الغيور، غرة جبهة الكرم، وجمال محاسن الأيام، الذي لم تسمح بمثل سماحته وشجاعته الأيام في جيل، الجميل ابن الجميل، عبد الغني أفندي جميل، لا زالت سحب جوده مهلة على العفاة، ومطارف فتاويه تسحب ذيول النسيان على قاضي القضاة، فنصبه الوالي مفتي الحنفية، وولاه أحكام الحنيفية، فلم ير مربلاً لخوفه ووجله، ومسمياً في خلاصه من تلك القضية غاية أمله، مثل الانتماء إليه، والإقامة في داره لديه، فلما حلّ في جواره كسي حلة الأمان، وكان آمناً من دخل دار أبي سفيان، فصار عنده (أمين الفتوى)، كما أمن في ذراه من البلوى

وفي تلك الأثناء أنعم عليه الحضرة العلية - الوزير - توجيه تدريس (المدرسة القادرية)، فلما جرى ما جرى من حضرة المومأ إليه (عبد الغني جميل) مع الوزير الخطير[1] مما أوجبه محض الغيرة المحمدية، والشهامة العمرية، وقد شاع وذاع، وملأ الأسماع والبقاع، حتى انفصل بسببه عن منصب الإفتاء، وخرج من بغداد، وصار طريفه وتليده نهباً بيد الأجناد، نسب إليه إلى الآلوسي - ما هو أعظم من الأول، وجفاه من الأصدقاء من كان يظنه السموأل، إذ تهوّر الوزير

---

(١) كان قيام عبد الغني جميل على الوزير في ٢٧ من ذي الحجة سنة ١٢٤٧ هـ مجموعة الآلوسي

عليه، حتى عزم على قتله، لولا أن منَّ الله تعالى عليه، ونجاه من ذلك الخطب وهوله، وذلك بشفاعة بعض مشايخ الطريقة العلية النقشبندية (وهو الشيخ عبد الفتاح أفندي العقراوي)[1] وكان منتسباً فيها إلى الشيخ خالد. فأمر الوزير حينئذ بجلوسه في التكية الخالدية، فلم يمكث هناك إلا أياماً قلائل.. حتى سعى فيه السيد محمود النقيب، فزاد على الطنبور نغمات. فصدر أمر الوزير حينئذ بحبسه في حجرة الشيخ عبد القادر. فبقي نحواً من سنة ونصف وقد رفعت عنه وظائفه. ولم تزل الأيام تعاديه إلى أن اتفق أن وعظ في الحضرة القادرية في رمضان، واتفق أن كان هناك الوزير علي رضا باشا.. فسمع من زاجر وعظه ما أخذ نفسه. فسأل عنه فقيل هو فلان فلحقته إذ ذاك ندامة على ما صدر في حقه. ثم وصله بعطية، وأجازه بجائزة سنية، وأمر بعض خواصه أن يأتي به في عيد الفطر، فأتى به فأكرمه غاية الإكرام. وأرجع إليه جميع وظائفه. وأمره بأن لا ينقطع عن حضرته العلية، وأن يشرح (البرهان في طاعة السلطان)، فبادر إلى شرحه فأكمله وسمّاه (البيان).. وقبل أن يتمه جعله خطيباً في الحضرة الأعظمية، وأهدى إليه ميزان الشعراني[2]..

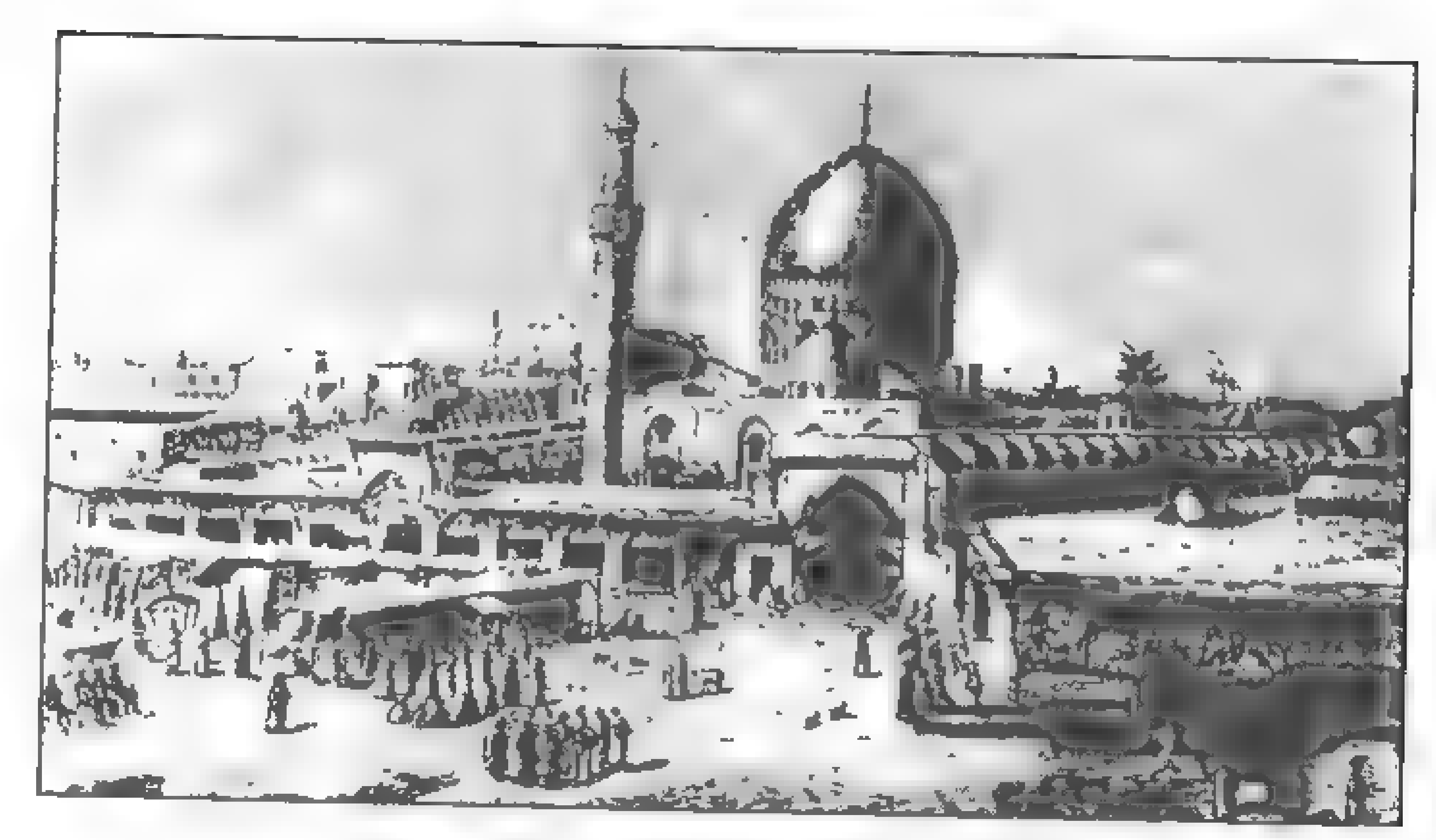
هذا وأجازه بتولية مرجان، وهي من خواص مفتي الحنفية من زمن السلطان مراد خان إلى هذه الأيام. وكانت على ما يحكى في الزمن القديم مشروطة لأعلم أهل بغداد بكتاب الله تعالى وحديث نبيه الكريم..» اهـ[3]

---

(١) مجموعة الأخرس وغرائب الاغتراب.

(٢) رأيته لدى حفيده الأستاذ محمد درويش بن السيد شاكر بن أبي الثناء الآلوسي رحمة الله عليه توقيع الوزير.

(٣) حديقة الورود. عندي مخطوطة منها. وهي من تأليف عبد الفتاح الشواف. وهي أدبية والكلام عليها في تاريخنا الأدبي. ومجموعة الأخرس.



منظر بغداد من ساحة الميدان - رحلة وليم فوغ

وفي مجموعة ابن حموشي أن بن جميل ضربت داره في قنبر علي بالمدافع فاحترقت أمر الوالي والكمركجي عبد القادر آغا ابن زيادة والملا حسين الكهية بذلك وهزم إلى الشام سنة ١٢٤٩ هـ وأقول عاد الحريق إليها في ٣ شوال سنة ١٣٣٢هـ فقضى على ما بقي من الكتب. وكانت نفيسة جداً[1].

أرادت الدولة أن تغير سياستها لما ولدت من نعرة، فقربت الأستاذ أبا الثناء الآلوسي وهذا حدث مهم في تبديل تلك السياسة.

عبد الرحمن الأورفه لي ـ محمد أسعد النائب:

إن النقمة التي حصلت في اساس بحيث صاروا يثنون على حكم المماليك مما دعا أن يقربوا بعض رجالهم ممن كان خبيراً بالإدارة لتسكين الحالة.

جاء في مرآة الزوراء أن عبد الرحمن الأورفه لي كان قد خالف العهد مع الأهليين، ومرّ أثناء المحاضرة إلى جهة علي رضا باشا اللاز فلما دخل الوزير بغداد نصبه دفتري فظهرت خيانته في ضبط مخلفات المماليك وأموالهم المتروكة، ومن ثم عزله الوالي ونصب مكانه أسعد النائب في أواخر شهر ربيع الآخر وأقول أراد الوزير أن يبرر الغدر لدولته، فانتحل مثل هذه المعذرة وكان محمد أسعد بمنصب (مصرف) قبل أن يتولى الدفترية[2]

آل الأورفه لي:

والملحوظ أن عبد الرحمن الأورفه لي ابن الحاج علي الرهاوي وآل الأورفه لي ببغداد يتفرعون منه كان له من الإخوة حسن آغا، ومحمود آغا ومحمد صالح فلم يعقبو. وأما عبد الرحمن فقد ترك من

---

(١) مجموعة السيد محمود حموشي المتوفى ١٨ رمضان سنة ١٣٣٣ هـ

(٢) شعراء بغداد وكتابها ص ٢١.

الأولاد داود آغا فتوفي عن سعد آغا، وهذا مات عن بنات وعن ابن اسمه محمد سليم أعقب عدة أولاد. ومن أولاده علي آغا لم يعقب بنين. وأما ابنه عثمان آغا فقد أعقب

١ ـ إبراهيم:

وأولاده الأساتذة جميل وإسماعيل وحليم ومكي وناظم وجلال

٢ ـ عبد الرحمن:

وأولاده الأساتذة مكي وعثمان ونوري ونشأت.

٣ ـ نجيب:

وأولاده الأساتذة سامي ونافع ورامق ومدحت

وهذه الأسرة لا يعرف بالضبط تاريخ ورودها العراق إلا أن مكاتبها معلومة من سنة ١٢١٥ هـ. وأن داود آغا كان معروفاً بشعره العامي، ولا يزال يتغنى به. وظهر من هذه الأسرة أفاضل اشتهروا بالمحاماة والحاكمية والوزارة والمناصب العسكرية. ومنهم ملاكون بل غالبهم.

تزوج الوالي:

إن هذا الوالي دخل بغداد بنفسه، وأن المماليك بعد انقراضهم بقيت زوجاتهم أرامل، وكان بقاء الوزير أعزب لا يليق به. فأشاروا عليه أن يتزوج. وأن زوجته أبقاها في حلب، وهي أسماء خاتون بنت الصدر الأعظم قوجة يوسف باشا[1]. ولم يكن لها ولد ذكر، فتزوج الوزير بنت

(١) لها مسجد في بغداد يعرف بـ (مسجد أسما خاتون) ذكرته في كتاب (المعاهد الخيرية).

سليمان باشا الصغير والي بغداد وهي سلمى خاتون، عقد عليها في أواسط جمادى الأولى سنة ١٢٤٧ هـ[١].

شمر والمنتفق:

كان الشيخ صفوق الفارس رئيس شمر منفوراً من حكومة المماليك، وشيخ المنتفق الشيخ عجيل السعدون مقرباً منها.

أما علي رضا باشا فإنه قرب الشيخ صفوقاً من حين كان في حلب. ولذا هاجم الشيخ عجيلاً شيخ المنتفق من آل السعدون، وكان فريق من المنتفق محبوسين سنين عديدة فلما وقع الوباء سنة ١٢٤٦هـ فرّ هؤلاء من السجن، وبينهم شيوخ المنتفق ممن كان يضمر العداء للشيخ عجيل، التجأ هؤلاء إلى الشيخ صفوق، وانضمت إليهم عشائر النعيج والأسلم[٢] في أنحاء الحلة، وكذا عشائر أخرى مالت إليهم.

أما بغداد فقد احتلت حالتها بتأثير الوباء. ومن ثم هاجم الشيخ صفوق المنتفق بما عنده من قوة، فظهر الشيخ عجيل لمحاربته ومعه نحو ١٥٠٠ من الفرسان والمشاة إلا أن الجموع التي كانت مع صفوق لا تكاد تحصى كثرة، فلا يستطيع أن يقابلها أولئك فجرى الحرب بينهم في أواخر جمادى الثانية وبذلك انفرط عقد من كان مع الشيخ عجيل من الجموع. أما هو فقد كبا به فرسه فسقط ومات لساعته[٣].

وبهذا انتصر صفوق ومن معه من شيوخ المنتفق. ولعله من جراء

---

(١) مرآة الزوراء ص ١٥٠

(٢) النعيج منهم من يعدهم من عربه وآخرون من عنزة ذكرتهم في عشائر العراق ج ٤ والأسلم في المجلد الأول بين عشائر شمر

(٣) الشيخ عجيل هو أخو سعدة بن محمد بن ثامر السعدون وكان شجاعاً. أحوله أمراء ربيعة. (عشائر العراق ج ٤)

هذه الواقعة لقب ـ (سلطان البر)[1].

حوادث سنة ١٢٤٨هـ ـ ١٨٣٢ م

قتلة الأدهمي:

كان السيد محمد الأدهمي قاضي الحلة، فجاء خبر قتله في ٢٥ شعبان سنة ١٢٤٨ هـ[2]، وهذا هو ابن السيد جعفر الأدهمي الأعظمي كان مثابراً على العلوم والكمالات نال منها نصيباً وافراً، وبرع بها، وله نظم ونثر، توفي في الحلة.

آل الأدهمي ـ آل الواعظ:

عرف بآل الأدهمي جماعة من العلماء والمتوفى المذكور رأس أسرتهم، أنجب أولاداً منهم السيد عبد الفتاح الشهير (بالواعظ) توفي بالطاعون سنة ١٢٤٦ هـ[3] وكذا السيد محمد أمين وعرف بالواعظ، وتوفي سنة ١٢٧٣ هـ، وله من الأولاد الذين اشتهروا بالعلم السيد مصطفى الواعظ مفتي الحلة. ومن أولاده السيد إسماعيل الواعظ، وهو من المدرسين، والسيد إبراهيم الواعظ كان محامياً معروفاً واليوم هو رئيس التفتيش العدلي. ولهما أولاد كثيرون دام فيهم العلم والوعظ مدة طويلة. ومن مشاهيرهم السيد جعفر أخو السيد مصطفى ثم مالوا إلى نواحي الثقافة الأخرى والملحوظ أن آل الأدهمي الآخرين احتفظوا باسم أسرتهم الأصلية (آل الأدهمي)، ولا تزال بقية باقية منهم[4]

---

(١) مرآة الزوراء ص ٩٦ وذكر الشيخ صعوق في عشائر العراق ج ١ ص ١٥١

(٢) مجموعة الألوسي

(٣) ترجمته في المسك الأذفر ص ١٠٢.

(٤) التفصيل في كتاب الروض الأزهر طبع سنة ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٨ م في مطبعة الاتحاد بالموصل وهو من تأليف السيد مصطفى الواعظ نشر بتعليق صديقنا الأستاذ إبراهيم الواعظ ابن المؤلف

عشائر الشامية والهندية

امتنع عشائر الشامية والخزاعل وتابعهم أهالي الهندية من أداء الرسوم الأميرية البالغة نحو ثلاثين ألف شامي[1]. فجهز عليهم الوالي نحو أربعة آلاف جندي من الموظفين جعلهم في قيادة الحاج أبي بكر الكتخدا السابق، وعثمان بك آل إبراهيم باشا وآخرين. ساروا إلى تلك الأنحاء في أوائل جمادى الآخرة، فلما وصلوا إلى الحلة حدث بين أمراء الجيش خلاف أدى إلى تعطيل الحركة.

ذلك ما جعل الوزير يبعث محمد أسعد النائب الدفتري بصلاحية واسعة. وهذا حين وصوله اختار عثمان بك رئيساً وتعهد أن يستوفي الأموال المطلوبة من أهل الهندية، وأعاد إلى بغداد الحاج أبا بكر وآخرين. وذهب هو بنفسه إلى الهندية ومعه نحو أربعين أو خمسين من الأفراد، فجبى من الهندية عشرة آلاف شامي استوفى ذلك كله في بضعة أيام، وعاد إلى بغداد، وأن عثمان بك آل الشيخ أجرى بعض المعارك فحصل الأموال الأميرية وأمهل عن الباقي وهو القسم القليل وأصلح ما بينهم، وعاد ناجحاً في المهمة، فأبقى الجيش في الحلة وعاد بمن معه من أتباعه إلى بغداد[2].

قتلة أسعد ابن النائب

كان قد صار دفترياً، وكان منصب (كتخدا) من المناصب الجليلة في تشكيلات الدولة، فالكتخدا مرجع العام والخاص، وبيده تصريف أمور الوالي وكان وكيل الكتخدا الحاج يوسف اغا من رجال الوالي

---

(١) الشامي نقد ويسمى القرش بالرومي ذكرت تفصيلاً عنه في (كتاب النقود العراقية)

(٢) مرآة الزوراء ص ١٥٢

وأهل دائرته إلا أن هذا لا يعلم عن أحوال بغداد شيئاً، فلا يصلح للقيام بالمهمة، فاختار ابن النائب كتخدا ـ في شعبان ـ لأنه كان مستكملاً الصفات المطلوبة، عارفاً بالداخل والخارج، وله المعلومات الوافية، وفي أيام داود باشا كانت له المنزلة المقبولة رأى عيناً ما قام به.

بذل ما استطاع في إرضاء الوزير، وحصر به الأعمال كافة، فأقلق راحة رجال الوزير كما تعقب المجرمين وأهل الشقاء فاضطرب الكل لما استولى عليهم من الخوف، وحسبوا أن قد عاد زمن المماليك مرة أخرى تألبوا عليه، ولكن خدماته كانت مقبولة في نظر الوزير، فلم يتمكنوا من تغييره عليه بسهولة، وإذا عزل أيضاً فلا يبعد أن يستعيد مكانته بعد قليل فلا يوجد من يعدله في مقدرته. صاروا يخشون بطشه. فاتفقوا أن يغروا الوزير بقتله، فتم لهم الأمر، واضطر أن يقتله.

وذلك أنه من حين صار كتخدا قرب إليه رجال المماليك فأحال إليهم المهمات، جلب لجهته أعيان العراق وشيوخهم وأمراءهم وفي أيامه استعاد (جيش بغداد)[1] فأخذهم وصار شأنه كسائر الكهيات السابقين، يسير بخدمته نحو ثلاثمائة أو أربعمائة من رجاله. فاتخذوا ذلك وسيلة لتنفيذ ما أضمروه من الوقيعة به. فأفهموا الوزير بأن هذا قد أمّن الخارج، ولم يبق له إلا الداخل، وأن يستولي عليك وعلى من معك. نواياه ظاهرة من أعماله هذه. وقالوا له (تعدَّ به قبل أن يتعشى بك). فتردد الوالي في بادىء الأمر، ولكنه لما لم يزاول أمور السياسة بتدبير وحذق ظن أنه سوف يستقل بأعماله هذه، وهكذا حذره القاضي تقي أفندي الحلبي، وكان جريئاً، حديد اللسان. ورأى من أهل دائرته

---

(١) الجيش العثماني هو (جيش بغداد) من الينكجرية لأهليين دون الذين يأتون من استنبول على حساب الدولة وإن كان زال عنهم اسم الينكجرية وصار يطلق عليهم الجيش الموظف إذ لم يكونوا من الجيش النظامي

اتفاقاً في بيان خطر الوضع إذا بقي بعيداً عنهم، وكل واحد منهم قدم بعض المقدمات، فخوفوا الوالي، وتمكنوا من إمالته.

وفي ٢٧ رمضان[١] ليلة الجمعة بعد التراويح نفذوا ما عزموا عليه، فباشر قتله السلحدار ضربه بـ (طبنجة) ويقال لها (فرد) أو قربينة. فقتل على حين غرة، وبقيت جثته مطروحة على الأرض في الميدان مدة ٢٤ ساعة مكشوفة العورة، ثم غسل وكفن ودفن في المدرسة العلية[٢] وله جامع باسمه في كركوك يسمى (جامع ابن النائب) لا يزال عامراً إلى هذه الأيام ذكرته في كتاب المعاهد الخيرية.

والظاهر أنه عاد إلى ظلمه، فنفر منه الأهلون والموظفون ومن هنا داهمه الخطر، وإلا فقد احتيج كتخدا آخر من المماليك ولم يقصدوا القضاء عليه ليبدلوا منصبه. ولا شك أن الأستاذ سليمان فائق كان عارفاً بالحالة جيداً.

آل النائب:

لا تزال هذه الأسرة في الحلة وبغداد وكركوك وهم أمويون رأيت لهم بعض الفرامين المشعرة بذلك، وابن النائب يعد من أدباء العربية والتركية، وله ديوان في العربية والتركية ولا يزال يحفظ له أهل كركوك وإربل مقطوعات مختارة منه وهو كاتب مبدع[٣] و (آل عبد الوهاب النائب) غير هؤلاء.

---

(١) ذكرها الآلوسي في سفحته، ولم تكن سنة ١٢٤٧ هـ كما يفهم من نص مرآة الزوراء وهو الأصوب

(٢) مرآة الزوراء ص ١٥٥ وهامش مطالع السعود

(٣) في (تاريخ الأدب التركي في العراق) أوضحت عنه كما في تاريخ الأدب العربي في العراق أيضاً. ونشرت مقالة في حياته في مجلة (الحديث) في كركوك.

أحمد آغا كهية بغداد:

اختير لهذا المنصب أحمد آغا، وكان في أيام داود باشا، وشوهدت منه خدمات. إلا أنه لم تتوفر له وسائل الإدارة ليتولى مصالحها كافة ويستطيع القيام بالمطلوب لما هناك من خطر ذاقه سلفه. تبين له الأمر بوضوح فزاول المهمة باحتراس زائد، ولم يتوغل حذراً من الوقيعة[1]

ويلاحظ هنا أن هذا الكتخدا استقر في وظيفته هذه مدة ثم توفي فصار مكانه أحد مماليكه (الحاج أحمد آغا) المشهور، فظلم ما شاء أن يظلم ومن هذا نرى الإخفاق في الإدارة أدى إلى أن التجأت الحكومة إلى المماليك فأعادوا نفوذهم، ولم يحصل تجدد

هذا، وإن أحمد آغا الأول ولد الحاج حسن الكولهمن ومن أولاده كامل وكمال ومنهم مدحت وتوفي وبنات تزوج إحداهن الحاج محمد رفعت وكان قبل احتلال بغداد قائد المركز (رتبة عسكرية مهمة) نالها في الحرب الأولى ورتبته الأصلية بكباشي أي (مقدم) وهو والد الدكاترة أكرم وبسيم وبهاد المعروفين وإن الحاج أحمد آغا من مماليك أحمد آغا الأول توفي بلا عقب ويضرب المثل بظلمه وقسوته تنقل حكايات كثيرة عن قسوته

تقليل الجيش

في السنة التالية للطاعون وجد أن قد نهب عشائر المقاطعات، واستقلوا بإدارتها، ولم تبق بذور تزرع تعطلت المقاطعات، وأن واردات البصرة بقيت بيد المتغلبين، وكانت آنئذ عدة الجيش نحو عشرة

---

(١) مرآة الزوراء ص ١٥٥

آلاف من لخيالة. والمشاة كانوا من الهايته (الباشي بورق)، فلم تتيسر الإدارة بهم إدارة صالحة. ولم يبق من يقوم بالمهمة فاقتصر على ثلاثة آلاف منهم وسرح الآخرين، فعبر جماعات (إلى الأناضول).

فكان العجب كل العجب في إدارة المملكة بهذا القدر من الجيش، في حين أن ديار بكر وحلب والعراق كلها كانت تدار بمثل هذا الجيش[1]..!

كور باشا واليزيدية:

قالوا عاث كور باشا بالأمن وقتل في اليزيدية تقتيلاً ذريعاً، ونهب وسلب حتى وصل إلى الموصل فقطع الجسر حذراً منه. وذلك أن اليزيدية قتلوا علي أغا البالطي عم الشيخ يحيى المزوري فاستصرخه المزوري على هذا العدوان فانتصر له وانتقم منهم وكان ذلك أيام والي الموصل محمد سعيد باشا آل ياسين المفتي[2].

جرت هذه الواقعة في هذه الأيام وتلتها وقائع بهدينان على ما يأتي في حادث القضاء على إمارته. ويقال له (ميره كوره). ويتغنى الأكراد بشجاعته. ولم يكن ما نسب إليه من أنه عاث بالأمن صواباً. وإنما حذرت الدولة من توسعه فشنعت عليه، واهتمت في أمر عائلته

عزيز آغا ومحمد المصرف:

إن عزيز آغا من أعوان داود باشا، كان متسلم البصرة مدة أربع سنوات أو خمس فلما خرج منها ذهب إلى المحمرة (خرمشهر)، ومن هناك فرّ إلى إيران. وأما محمد أفندي المصرف فإنه مال إلى العشائر في

---

(١) مرآة الزوراء ص ١٥٦.

(٢) في تاريخ اليزيدية فصلت هذه الوقعة في النسخة المعدة للطبع ثانية

الحدود الإيرانية، وصار يتجول هناك، فتمكنوا من جلب بني لام لجهتهم وكذا بعض العشائر الأخرى، ومضى لجهتهم العثمانيون الذين تفرقوا بعد قتلة ابن النائب[1].

وفي تاريخ لطفي أن عزيز آغا بعد أن فرّ إلى إيران صار يكاتب الأهلين بقصد إحداث الاضطراب فجمع على رأسه جموعاً كثيرة، وعزم على المجيء إلى بغداد، ولكن نظراً للمصافاة أثناء بين إيران والعراق لم تقبل إيران أن تخل بالأمن، بل كان عليها أن تراعي حقوق الجوار، وتمنع عزيز آغا أن يقوم بعمل.

فاتحها علي رضا باشا بالأمر وكتب إلى حاكم كرمانشاه الشهزادة حسين ميرزا بواسطة رسول خاص، ومن ثم ألقي القبض حالاً على عزيز آغا في أنحاء شوشتر (تستر)، وكان في حراسته مائتا جندي والتمست إيران أن يعطى له الأمان، وأن يحفظ على حياته[2].

آل عزيز آغا:

ويلاحظ هنا أن مرآة الزوراء وقفت عند ما نقلت، ولولا تاريخ لطفي لبقي البحث مبتوراً. وكل ما نعلمه أن آل عزيز آغا لا يزالون في بغداد تولوا مناصب كبيرة في الدولة العراقية وصاروا أصحاب مكانة مقبولة. أعني الأستاذة أمين خالص وكان بمنصب رئاسة المفتش الإداري فأحيل إلى التقاعد، وكان ولي متصرفيات مهمة مثل البصرة، ومحمود خالص يشغل عضوية محكمة تمييز العراق، وكان كل منهما قد تقلد بمناصب مهمة لما نالوا من ثقة واعتماد. وهما ابنا خالص بن أمين بن عزيز آغا. ولعزيز آغا أوقاف خيرية في البصرة وأوقاف ذرية أيضاً.

(1) مرآة الزوراء ص ١٥٦ وص ٩٩
(2) تاريخ لطفي ج ٤ ص ٧١

بكر بك البصري:

من جراء حادث بغداد، وأثناء الوقعة جلب إلى استنبول فنفي في الما بين الهمايوني، وخصص له راتب شهري ألف قرش[1]

إيالة حلب:

كانت منضمة إلى والي بغداد فانفصلت في هذه السنة وكان القائممقام عن والي بغداد في حلب محمد باشا المعروف بـ (ايجه بير قدار).

إيالة البصرة:

ثم إن الدولة رأت أن اللائق لإدارة البصرة والي حلب محمد باشا المعروف بـ (ايجه بيرقدار) فوجهت منصبها إليه[2] ولا شك أن ذلك برأي الوزير علي رضا باشا. والظاهر أنه لم يذهب إلى البصرة أو لم تطل إقامته هناك فنقل إلى شهرزور على ما يأتي.

حوادث سنة ١٢٤٩هـ - ١٨٣٣ م

منصب الإفتاء - الأستاذ الآلوسي:

إن الأستاذ أبا الثناء محموداً الآلوسي كان قد ظهر بين العلماء بالمظهر اللائق وأبدى المقدرة العلمية، فصار أمين الفتوى أيام المفتي الأستاذ عبد الغني جميل. ولي هذا المنصب سنة ١٢٤٩هـ أو أوائل سنة ١٢٥٠ هـ. وفي أيامه زها الإفتاء واكتسب جمالاً وجلالاً ومهابة بما اشتهر به من علم جم وأدب فياض. بقي في هذا المنصب نحواً من خمس عشرة سنة. وهو المفسر الكبير وصاحب المؤلفات المفيدة

---

(١) تاريخ لطفي ج ٤ ص ٧١

(٢) تاريخ لطفي ج ٤ ص ٥٧ وص ٧٣

أوضحت عنه في (ذكرى أبي الثناء) بمناسبة مرور مائة سنة على وفاته، وبينت حالة الإفتاء ومكانه منه. وكان قبله محمد سعيد الطبقجه لي ثم عبد الغني جميل وبعده محمد سعيد أيضاً ثم صار الأستاذ الآلوسي هنأه بهذا المنصب جماعة من الشعراء والأدباء ومدحوه[1]

صفوق الجرباء:

لم يلتئم الشيخ صفوق مع الوزير، فحدث بينهم خلاف بسببه اختل الأمن فأرادت الدولة أن تحقق الأمر، وأن يعاد النظام كما كان، فأرسلت آغاه أمدي من الخواجكان لتقيم بالمهمة في بغداد وإثر وروده إلى بغداد زالت هذه الغائلة وكان قد عرف أن والي الموصل يحيى باشا كانت بينه وبين علي رضا باشا نفرة فحرك رئيس عشائر شمر الشيخ صفوقاً فقام في وجه علي رضا باشا، فالتقى الجيشان قرب الكاظمية، فعلم صفوق أن لا طاقة له بحرب علي رضا باشا فترك أثقاله وأحماله وانهزم، فتجاوز حدود الموصل، فاضطر جيش بغداد إلى العودة وكان بين متروكات الشيخ صفوق كتاب من يحيى باشا يدل على العلاقة بينهما.

آل الجليلي وانقراض إمارتهم:

مما مرّ عرف السبب في اتخاذ الوسيلة للقضاء على هذه الإمارة. ودامت في إمارة الموصل من أمد بعيد جداً من أيام إسماعيل باشا الجليلي والد الحاج حسن باشا الجليلي ولي سنة ١١٣٩هـ ـ وهو أول والٍ من آل عبد الجليل ثم صار ابنه الحاج حسين باشا الجليلي ولي

(١) مقدمات الأستاذ أبي الثناء، وحديقة الورود وفيها تفصيل ودواوين الشعراء الشيخ صالح التميمي وعبد الغفار الأخرس ومجموعته ومحمد أمين العمري المعروف بالكهية وقاسم الحمدي الموصلي وجماعة

إمارة الموصل مرات عديدة واستمرت هذه الأسرة في الحكم فلم تقو عليها الدولة العثمانية فبقيت في الإدارة طول حكمهم أكثر من حكم المماليك ودام إلى سنة ١٢٥٠هـ - ١٨٣٤م تتخلله فواصل إلا أنها لم تفارق الحكم من بعض الوجوه، فلم يكن الولاة الجليليون متوالين ولكن المواهب قوية فلا تلبث أن تعود إلى الإدارة. وعندي مشجر مخطوط في أسرتهم. وورد في تاريخ العراق بين احتلالين ذكر بعض ولاتهم لا سيما الحاج حسين باشا الجليلي وما قام به من الدفاع عن الموصل أمام نادر شاه فوقف في وجهه. وأخبارهم في تاريخ الموصل للأستاذ الصائغ، وفي كتاب مخطوطات الموصل، وفي كتاب منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء لياسين بن خير الله الخطيب العمري نشره وحققه الأستاذ سعيد الديوه جي مدير متحف الموصل. وفي تاريخ العراق بين احتلالين (ج ٥ و ٦). وآخر الأمراء من هذه الأسرة يحيى باشا ابن نعمان باشا الجليلي. وفي ولايته الأولى من سنة ١٢٣٨هـ إلى ١٢٤٢هـ - ١٨٢٧م كتب الشاعر عبد الباقي العمري الموصلي المعروف (كتاب نزهة الدنيا في الوزير يحيى) وهو من آثاره المهمة. عندي مخطوطته الأصلية كما أعتقد. وفي ولايته الأخيرة من سنة ١٢٤٩هـ إلى سنة ١٢٥٠هـ كان ما نسب إليه من سبب الاتفاق مع الشيخ صفوق غير صحيح فإن تدبير الدولة الأصلية انصرفت إلى القضاء على المتغلبين فقضت على المماليك وثنت بالجليليين. وهمها القضاء على هؤلاء قبل كل شيء فتحدوا سبباً ظاهرياً وهو قضية الشيخ صفوق المصدرة. وسبق ذلك استخدام الولاة من العمرية ومن آل ياسين المفتي. وهي أسباب غير مباشرة أيضاً.

وهذه الإمارة نالت منزلة كبيرة وخدمة عظيمة للثقافة قامت بها في تأسيس المعاهد الخيرية من مدارس وجوامع حافظت بها على الآداب والعلوم وناصرت المؤلفين وكفاها هذا. وما تقوله البعض عليهم فلا قيمة له ويدل على تفكير ضيق وحنق زائد إذ لولاهم لكانت الموصل في

جهل ولو عددنا المعاهد الخيرية من مؤسساتها لهالنا الأمر وفي كتبنا (المعاهد الخيرية) تعرضنا لما قدموا به

والأسرة اليوم انصرفت إلى ناحية ثقافة جديدة ولا تزال محتفظة بمقامها المعتبر. وأصدقاؤنا من هذه الأسرة الدكتور محمود الجليلي، والأستاذ عبد الرحمن الجليلي وصديق الجليلي وهم من المعروفين من هذه الأسرة في الأوساط العراقية ولم تكن في أيامنا بأقل نصيباً من سابق عهدها والمواهب تظهر

أما آغاه أفندي فقد استأذن حكومته في الأمر فجاءه الأمر بلزوم إبداء الشكر للوالي على ما قام به، وأن يذهب إلى إيران للمفاوضة بخصوص القضاء على التعديات في ديار الكرد وأن يعزّي شاه إيران بوفاة الشهزاده ولي العهد عباس ميرزا. ومن هنا نشأت نكبة يحيى باشا[1]

حوادث سنة ١٢٥٠هـ ـ ١٨٣٤ م

تسيير البواخر الإنكليزية:

كان قد أذن للإنكليز بتسيير باخرتين في نهر الفرات من البواخر النقلية. ولم تكن تستعمل قبله سوى الوسائط القديمة وهاتان الباخرتان قد أصابهما العطب ويعدّ هذا أول دخول البواخر العراق ولم يستفد العراق منها إلا أنه ورد الإذن في سنة ١٢٥٧هـ ١٨٤٢م إلى الوزير علي رضا باشا اللاز بتسيير الباخرتين وهو الأمر الأول فاستغلته شركة لنج لاستخدام البواخر في دجلة وسيأتي الكلام على ذلك

---

(١) تاريخ لطفي

القصمان أو عقيل:

في ٢ شعبان سنة ١٢٥٠هـ خرج القصمان (أهل القصيم) في نجد عن الطاعة ونهبوا جسر الكرخ، فأجلوا عن ديارهم. وهؤلاء يقال لهم عگيل (عقيل) فهم من عشائر متعددة نجدية الأصل[١].

المدرسة الحربية:

في هذه السنة تأسست المدرسة الحربية باستانبول، فكانت فاتحة الجيش المنظم على أساس علمي عصري فكان لها تأثير كبير في حياة الدولة العثمانية[٢]..

وكان للعراق نصيب وافر منها. فقد تخرج كثيرون من طلاب العراق لا سيما بعد أن تكونت في العراق (المدارس الرشدية العسكرية)، و (الإعدادية العسكرية) سارت بانتظام، وكان الطلاب بوفرة، والرغبة قوية. وكانت تعد من أعظم المدارس في الدولة.

حوادث سنة ١٢٥١هـ - ١٨٣٥م

والي شهرزور:

عزل محمد باشا نجيب بيرقدار والي شهرزور، ووجهت الإيالة إلى أشقر باشا، وكان قد سماه الأستاذ الآلوسي علي أشقر باشا. جاء مع الوالي علي رضا باشا. وكان من موالي بيت السلطنة، صار والياً على شهرزور وأقام ببغداد، وهو بيد علي رضا باشا في حضره، وقائممقامه في سفره[٣]. ثم إن محمد باشا صار بعد ذلك والياً على الموصل[٤].

(١) مجموعة الآلوسي رقم ٢٥١.
(٢) تاريخ لطفي ج ٤ ص ١٦٩.
(٣) غرائب الاغتراب وتاريخ الموصل للأستاذ الصائغ ومنية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء ص ٢٨٣.
(٤) تاريخ لطفي ج ٥ ص ٢٥ وورد فيه (عشقر) بالعين، وليس بصواب.

وفي (تاريخ الموصل) للأستاذ سليمان صائغ بيان عن مجيئه إلى الموصل ثم دعوة علي رضا باشا له، وصيرورته في شهرزور وفيه مخالفة لما سبق أن ذكرت من أنه كان قائممقام وزير في حلب.

مختارو المحلات:

في هذه السنة حدث انتخاب المختارين للمحلات في البلاد، فكتبت الأوامر للولاة تبعاً للنظامات البلدية وكذا كان لكل محلة إمام، وصارت تراعي أصول الضبط بهذا الغرض[1]

ولا يزال مختارو المحلات على أوضاعهم القديمة لم يحدث تبدل إلا أن سلطتهم تعينت نوعاً في ملاحظة سكان المحلة، ومن يتوفى بلا وارث، وتنظيم بيان لإصدار قسامات بانحصار الورثة، وصار يسأل المختارون عن حال الشهود وما ماثل من الأمور كعقود النكاح وما يتعلق به..

الشاعر عمر رمضان

في هذه السنة أو التي بعدها توفي الشاعر المعروف السيد عمر رمضان الهيتي وكانت له صلات أدبية بالأخرس ومهاجاة، وبالشيخ صالح التميمي، وبأبي الثناء الآلوسي وآخرين رثاه السيد عبد الغفار الأخرس بقصيدة مطلعها:

رمينا بأدهى المعضلات النوائب
وفقد الذي نرجو أجل المصائب

وعندي مجموعته بخطه وتحوي شعره ومختاراته. وأوسعت الكلام

(١) تاريخ لطفي ج ٥ ص ٣٥

عليه في (التاريخ الأدبي) وهو عالم فاضل وأديب كامل وترجمته في المسك الأذفر وفي حديقة الورود.

حوادث سنة ١٢٥٢هـ ـ ١٨٣٦ م

نفي السيد محمود النقيب:

كان نقيب الأشراف أخرجه علي رضا باشا من بغداد متوجهاً إلى السليمانية يوم الخميس ٢٤ من المحرم سنة ١٢٥٢ هـ، وبقي خلف باب الإمام الأعظم إلى ليلة الثلاثاء الساعة الثانية، فذهب إلى السليمانية في منتصف صفر سنة ١٢٥٢هـ ليلة الثلاثاء[١] وكان ممن نفي معه السيد محمد سعيد التكه لي (التكرلي).

والملحوظ أن السيد محمود أفندي النقيب ابن السيد زكريا دفن في رواق المكتبة للحضرة القادرية وكذا دفن السيد محمد سعيد التكرلي هناك كما أن السيد علي الكبير دفن هناك ومن هؤلاء السيد رمضان ومن ذريته السيد عبد الفتاح الكليدار.

وذمه الأستاذ أبو الثناء لما رأى من معاملة جافة وقاسية وهو من آل عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الكيلاني وبعدها انتقلت النقابة إلى السيد علي الكيلاني من آل عبد العزيز ابن الشيخ عبد القادر الكيلاني واستقرت النقابة فيهم ولا تزال إلى أيامنا.

كور باشا الرواندزي ـ القضاء على إمارته:

كان أمراء الصورانيين ممن ذكرهم من السنين ـ (آل بابان). ولم تظهر حوادث عنهم إلا قليلاً وربما بدأت حوادثهم أيام (كور باشا). ويعرف بـ (مير كوره) وهو محمد باشا الرواندزي وكان من الصورانيين

---

(١) مجموعة السيد عبد الفتاح الأدهمي

ومنهم من قال إنه من أمراء (لب زيرين)[1] في برادوست من أمراء زرزا شنّ غارات عديدة وأوقع وقائع قاسية وقعت أيام داود باشا، ومنها ما كان على (اليزيدية) أيام علي رضا باشا إجابة لاستغاثة الشيخ يحيى المزوري[2] المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ مطالباً بدم عمّه (علي الباطي)[3] قتله اليزيدية. فأفتى أحد علمائه الشيخ محمد الخطي العالم المعروف جد الأستاذ خورشيد بن عبد الحكيم ابن الشيخ محمد الخطي بقتلهم ما دعا كور باشا أن يقاتلهم. وتوفي الخطي سنة ١٢٥٢ هـ بعد القضاء على كور باشا وكان من مشاهير العلماء في أيامه. وعندي له رسالة قدمها إلى داود باشا (في العلم الإلهي) وله مؤلفات أخرى.

صال كور باشا على اليزيدية[4] عبر الزاب الأعلى من جهة (ياسين كلك)، وتعقب أثرهم حتى الموصل، فقطع أهل الموصل الجسر حذراً منه، فاعتصم اليزيدية بالنبي يونس وتحصنوا فيه إلا أنه استولى عليهم بعد المحاصرة ودمرهم تدميراً. وكان الأستاذ أبو الثناء رآهم في ياسين كلك بعد تلك الواقعة وذكرهم في رحلته. والظاهر أنهم رأوا

---

(١) أصلها (لب زرين) أي ذو الكف الذهبي وهم رؤساء زرزا. وكانت تسميته باسم امرأة عرفت بهذا اللقب تولت الإمارة واشتهرت من أعمالها الدس فسموا أحفادها ومن ثم لازم هذا اللقب رؤساءهم. وصار يحكي الكرد قصصاً عن (لب زرين) تمثل حوادث البطولة كقصة عنترة وأمثالها عند العرب. وزرزا ذكرت في عشائر العراق الكردية (ج ٢ ص ٢١٧) ووردت في تاج العروس في مادة كرد ومروج الذهب. وأصلها (ابن الذهب) لا (بن) لذلك فقد جاء مصحفاً لأن زر بمعنى الذهب و (زا) مخفف (زاده) أي ابن والمجموع ابن الذهب ونبه على ذلك الأستاذ (وربر كاسكل) عند ذكره في مجلة المشرقيات كتاب عشائر العراق الكردية.

(٢) من العلماء المشهورين. توفي ببغداد سنة ١٢٥٢ هـ عنوان المجد، وحديقة الورود والمسك الأذفر ص ١٢٩. ودفن في جامع العادلية الكبير.

(٣) نسبة إلى باطة قرية بجوار بريفكان على مسافة بضع دقائق منها.

(٤) في تاريخ اليزيدية المعد للطبع أوضحت هذه الواقعة.



مدحت باشا ـ عن تبصرهء عبرت

صعفاً، فمالوا إلى أبناء طائفتهم[1] وكان قبل ذلك رآهم نيبور السائح الهولندي وذكر بعض قراهم قبل وقعة كورباشا الرواندزي[2] رآهم في الجانب الأيمن من الزاب الأعلى ومثله في رحلة المنشي البغدادي وسميت قريتهم بـ (حسين كفتي) وتعقبها نفس قرية (ياسين كلك)[3] ثم مال الأمير كور باشا إلى العمادية وعمل بها ما فعل وتوالت حوادثه، فشغل الدولة ومن ثم اهتمت للأمر خوفاً من توسع هذه الإمارة.

عزمت الدولة على القضاء عليه، وعدت عائلته من أمهات العوائل، فجهزت والي سيواس الصدر الأسبق والسردار لأكرم رشيد محمد باشا. اختارته للأمر وعهدت إليه بالمهمة وأمرت والي الموصل محمد باشا (اينجه بيرقدار)، ووزير بغداد علي رضا باشا اللاز أن يكونا على أهبة وموعد للتعاون معه وأن يهتما في دفع هذه العائلة.

قام الكل بما عهد إليهم مجتمعاً. ومن ثم وقبل الشروع في حرب كور باشا حذره السردار من العصيان، وكتب إلى العلماء أن ينصحوه لتقديم الطاعة وفي الوقت نفسه تعهد له السردار رشيد محمد باشا أن لا يلحقه ضرر ولا يمسه سوء، فأبدى انقياده وأذعن للسلطان، فأخذ إلى استنبول وعفي عنه ثم صدر الفرمان بقتله في طربزون ومنهم من قال في سيواس ودفن فيها وفي رجب سنة ١٢٥٢هـ توفي الصدر الأعظم السردار رشيد محمد باشا ولعل لوفاته دخلاً في قتله بعد العفو عنه مات بلا عقب. والباقون اليوم من ذرية أخيه رسول آغا ومنهم إسماعيل بن سعيد بن عبد الله مخلص قتل قبل بضع سنوات وهو ابن أخي إسماعيل قتل عيلة.

---

(١) نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام ص ٩٨

(٢) رحلة نيبور المنشورة في مجلة (سومر) ج ٩ ص ٢٥٠

(٣) رحلة المنشي البغدادي ص ٧٧

وكان رشيد محمد باشا من أكابر رجال الدولة نال الصدارة في أوائل شهر رمضان سنة ١٢٤٤ هـ، وعزل عنها في أوائل شهر رمضان سنة ١٢٤٨هـ وولي سيواس في جمادى الآخرة سنة ١٢٤٩ هـ. وفي ذي القعدة من تلك السنة بمناسبة عائلة ارواسري أضيفت إليه ولاية ديار بكر لزيادة الاهتمام بالأمر.

وعلى كل حال انقرضت إمارة الرواندزي سنة ١٢٥٢هـ - ١٨٣٦م. قدم لها الترك وقعدوا، وقلو كانت أقلقت راحة الأهلين مدة اضطربت فيها حبل الأمن وسلبت الطمأنينة. وعلى كل عادت في طيات التاريخ عاشت في حياة كور باشا وماتت بموته. وكان التشنيع عليه بسبب توسع إمارته ونجاحها في ديار الكرد وحسبوا لها خطرها عليهم فأرسلوا إليها أحد الصدور العظام بلقب (سردار أكرم). وبهذا كان قد حصل رشيد محمد باشا و (اينجه بيرقدار) وعلي رضا باشا اللاز على إنعامات السلطان من جراء هذا العمل الجدير بالإنعام والتقدير. وإن الشيخ صالح التميمي مدح الوزير علي رضا باشا اللاز بقصيدة على هذا النجاح الباهر.

والملحوظ أن ما جاء في تاريخ الموصل للأستاذ الصائغ من أن قيادة الجيش كانت بيد (مصطفى رشيد باشا) غير صواب تسرب إليه الخطأ من سالنامة الموصل. وسماه الأستاذ الدكتور داود الجلبي (رشيد باشا الگورلكي) ظناً منه أنه وزير بغداد المذكور. وجاء في كتاب (إمارة بهدينان) أنه (محمد رشيد باشا). وقع فيما وقع فيه معالي الأستاذ المرحوم محمد أمين زكي في كتابه (تاريخ الدول والإمارات الكردية)[1]

---

(١) (سالنامة حدود) ص ٣١٠، وتاريخ العمي ج ٥ ص ٥٧ و ٦٢ وتاريخ الموصل ج ١ ص ٣١١ - ٣١٣ وسجل عثماني ج ٢ ص ٣٩١ وسالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ ص ١٠٠ - ١٠١ وديوان التميمي ص ٥٢، ومخطوطات الموصل ص ٢٥٣ وتاريخ الدول والإمارات الكردية ص ٣٩٨

دون أن يصرح بالنقل منه[1]

إمارة العمادية ـ انقراضها:

هذه الإمارة كنت ذكرتها في (عشائر العراق الكردية) وفي الأجزاء السابقة من تاريخ العراق وفي هذا العهد على ما جاء في مجموعة السهروردي أن العمادية كانت بيد إسماعيل باشا ابن طيار باشا (محمد الطيار) وكان أخوه عبد القادر بك رهناً لدى علي رضا باشا. ثم إن إسماعيل باشا هذا خرج على الوزير فأرسل إليه جيشاً بقيادة الملا حسين آغا كنحدا ففرق إسماعيل باشا جمعيتهم، فاحتاج الوزير أن ينكل به وينهض عليه بنفسه. وحينئذ عين أخاه عبد القادر بك بلقب باشا أميراً على العمادية. وفي آخر الأمر تغلبوا على العمادية وقبضوا على إسماعيل باشا وأخيه عبد القادر باشا وأتي بهما إلى بغداد خنقاً عليهما وولي على العمادية محمد سعيد باشا من أقاربهما.

ومن ثم عرفنا كيف ولي محمد سعيد باشا وكيف أسباب وقائع أيامه هذه. فكشفت هذه المجموعة عن الحالة وما كانت عليه قبل أمير العمادية محمد سعيد باشا وكيف صار هو أميراً عليها. وهذا ـ على ما جاء في النصوص الأخرى ـ استولى عليه كور باشا ونصب مكانه (موسى باشا) وكان موسى باشا هذا قد نازع محمد سعيد باشا في الإمارة ولما أيس من بلوغ أمنيته التجأ إلى الأمير كور باشا فنصره وقلده الإمارة

---

(1) إمارة بهدينان للأستاذ صديق الدملوجي. طبع سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م. نقل من غيره ولم يصرح بالنقل مع أنه منع أن ينقل منه أو أن يقتبس كتابه كله مشاهد ويغلب على المؤلف أنه سرح في الخيال وذكر بعض المشاهدات المهمة وغير المهمة إلا أنه لم يذكر المراجع الأصلية التي اعتمدها في غير المشاهدة، فكانت دعوته كبيرة. ويعوزه أن يقول (النقل ممنوع) وإظهار الغلط جريرة

وكتابه بسبب فقدان النصوص لا يعرف خطأه من صوابه. والغريب أنه نقل من ياسين العمري الخطيب وتحامل عليه. ولعله أراد تبرير النقل بسبب من أخذ منه

ورجع إلى رواندز فتعصب الأهلون عليه فطردوه وأعادوا محمد سعيد باشا. وحينئذ أقبل الرواندزي على العمادية فأقام على حصارها ثلاثة أشهر حتى نفدت مؤن الأهلين ولم يبق لهم صبر على المقاومة فطلبوا الصلح وسلموا إليه (محمد سعيد باشا) ومن ثم دخل القلعة فغدر بالأهلين فنهبهم وقتل رؤساءهم، فأقام عليهم أخاه (رسول آغا) والياً دامت في يده إلى أن ولي الموصل محمد باشا اينجه بيرقدار.

ثم إن إسماعيل باشا كان يأمل أن محمد باشا اينجه بيرقدار يعيده إلى العمادية فطلب أن يوليه مملكته فلم يجبه فمال إلى الجزيرة وراسل أكابر رجال العمادية يفاوضهم حتى انقادوا له وسلّموا إليه العمادية. وإثر ذلك جرت حوادث بين البيرقدار وبينه. وهذه الحوادث منها ما جرى في (عين تونة) وكذا حوادث الرواندزي مما شغل الدولة فقطعت بلزوم القضاء عليهما معاً لا سيما بعد أن ربحت قضيتها في بغداد على يد علي رضا باشا.

جهزت الصدر الأسبق رشيد محمد باشا على الرواندزي فقبض عليه ثم مال الجيش إلى العمادية وشدد الحصار عليها أياماً، فاضطرت إلى التسليم ففتحها، وقبض على إسماعيل باشا، فأرسل مكبلاً إلى الموصل ومن هناك أبعد إلى بغداد فبقي فيها إلى أن مات عقيماً في شوال سنة ١٢٨٩هـ ـ ١٨٧٢م[١] وما جاء في (تاريخ الدول والإمارات الكردية) من أن إسماعيل باشا توفي سنة ١٢٥٩هـ ـ ١٨٤٣م فغير صواب.

وبهذا الاستيلاء انقرضت (إمارة بهدينان) وهي إمارة العمادية وصارت تابعة مدينة الموصل هي والعقر (عقرة) إلى سنة ١٢٦٥ هـ. ثم

---

(١) الزوراء عدد ٣٠٩ و ٢٣ شوال سنة ١٢٨٩ هـ

انفصلت عن الموصل وصارت تابعة إلى لواء حكاري من ألوية (وان) ولم تعد إلى الموصل إلا بعد أكثر من أربعين سنة

والملحوظ أن ما جاء في (تاريخ الموصل) من أن إسماعيل باشا عاد إلى العمادية سنة ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م غير صحيح لما عرف من تاريخ الانقراض[1].

كان الأستاذ الصائغ اعتمد كتاباً خطياً في تاريخ العمادية فتسرب إليه الخطأ منه، وهذا المخطوط موجود عند أحد أشراف قرية ريروا من قرى العمادية ذكره في تاريخ الموصل ولم يظهر لحد الآن

هذا وكنت نشرت مقالات في العمادية في جريدة النداء للمرحوم الأستاذ نور الدين داود، ثم كتبت كتاباً في (تاريخ العمادية) لا يزال مخطوطاً أوضحت فيه تاريخ تكونهم، ودوام إمارتهم مدة، وانقراضهم وهكذا بينت نطاق الإمارة وحالة الأمير أما كتاب (بهدينان) للأستاذ صديق الدملوجي فإنه لا يصلح أن يكون مرجعاً لخلوه مما يعتمد من مراجع تاريخية

ومما يصح التنبيه عليه أنه جاء في كتاب (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) المنقول إلى اللغة العربية في الطبعة الأولى منه ص ٣٠٧ أن رشيد باشا الصدر الأعظم ووالي سيواس الأسبق استولى على (ماردين) واعتقد أنها (العمادية) فجاء ذلك سهواً من الأصل أو من النقل، فاقتضت الإشارة إلى ذلك إذ لا محل لذكر ماردين ولا لفصلها من الموصل.

---

(١) عشائر العراق الكردية ص ١٩١، وتاريخ العراق بين احتلالين ج ٤، وتاريخ الدول والإمارات الكردية ص ٣٩٨ وتاريخ الموصل ج ١ ص ٣١١ و ٣١٣

وفيات:

١ ـ توفي العلامة الشيخ يحيى المزوري من أكابر علماء الأكراد أخذ عنه الأستاذ أبو الثناء فهو من أساتذته. وهو الذي حضّ الأمير كور باشا الرواندزي على قتل اليزيدية معللاً بدم عمه النالطي. والأشهر أنه توفي في هذه السنة (سنة ١٢٥٢ هـ) ورثاه الأستاذ عبد الباقي العمري بقصيدة مذكورة في ديوانه.

حوادث سنة ١٢٥٣هـ ـ ١٨٣٧ م

واقعة المحمرة:

خرج علي رضا باشا اللاز على قبيلة كعب، فأخذ المحمرة، ونصب حاكماً من قبله في الفلاحية يقال له (عبد الرضا) بعد أن نكّل بهم تنكيلاً مرّاً، ونهب وأسر. جرت هذه الواقعة في شعبان سنة ١٢٥٣هـ[1]

والمحمرة في الجانب الشرقي من شط العرب وتبعد عن كردلان جنوباً نحو ثماني ساعات. وتقع على يمين نهر كارون بالقرب من مصبه وبقربها أطلال قرية بهذا الاسم وفيها مقاطعات على هذا النهر في اليسار تمتد نحو ساعتين وفي اليمين منه نحو أربع ساعات. وهذه البلدة حديثة العهد بنيت نحو سنة ١٢٣٦هـ وتم بناؤها نحو سنة ١٢٤٠هـ. وتليها جزيرة الخضر وتمتد إلى ساحل شط العرب حتى الخليج وهي محصورة بينهما بين نهر بهمشير وكارون. وفي غربي هذه الجزيرة (جزيرة المحلة) في نفس شط العرب. وكلها كانت للعراق فصارت إيران تطالب بها من جراء أن هذه العشيرة تريد أن تكون بنجوة فإنها تميل تارة إلى إيران وأخرى إلى العراق فكلما رأت تضييقاً من جانب صارت إلى الآخر.

---

(١) ديوان عبد الباقي العمري ص ٢٣٩، (والآلوسي السيد محمود شهاب الدين) في حديقة الورود

وقبيلة كعب قديمة، ومعروفة كانت في العراق فمالت إلى أنحاء المحمرة وجزيرة الخضر وجزيرة محلة والفلاحية. ولا تزال منها مجموعات كبيرة في العراق. قدمت على أطلاق المشعشعين، وحلّت محلّهم في الحكم على الجزيرة. افتقدت إيران أو أن إيران كتمت منها بالقليل.

ومحل إمارتها الفلاحية. والإمارة كانت للشيخ جابر. وكانت إمارة كعب قبله بيد (آلبو ناصر) إلا أن نشاطها في أيام جابر هو الذي مكن إمارتها. وتوفي سنة ١٢٩٨هـ فخلفه الشيخ مزعل. وتوفي سنة ١٣١٥هـ، فخلفه الشيخ خزعل وطالت مدة إمارته واكتسبت استقراراً. وإن دولة إيران سخطت عليه وعلى أمراء آخرين فانتزعت الإمارة منه في ٢٠ نيسان سنة ١٩٢٥م وبقي في حجر إيران إلى أن توفي في ٢٦ مايس سنة ١٩٣٦م

ومن أهم فروع كعب المحيسن وهي فرقة الإمارة، ومن فروع كعب الدريس والنصار ولا محل لتفصيل فروعها الآن. فصّلت القول عنها في المجلد الرابع من عشائر العراق

وفي ١٢ شعبان سنة ١٢٥٣هـ كتب علي رضا باشا اللاز كتاباً بتوقيعه (علي الرضا محافظ بغداد والبصرة وشهرزور) إلى مفتي بغداد السيد محمود الآلوسي ينطق بانتصاره على أهل المحمرة، وقمع غائلتها وتسخير حصونها، وذكر في كتابه أن عبد الباقي العمري نظمها في قصيدة أرسلها إليه للاطلاع على مضمونها، ثم إعطائها إلى الشيخ علي الهروي ليثبتها في (تحفة الرضا)[1]

(١) نص الكتاب في مجموعة السيد عبد الصمد لأدهمي الواعظ وفي حديقة الورود والهروي لم نعرف عنه شيئاً ولا وقفنا على مدوناته في وقائع علي رضا باشا. ولا شك أنه مؤرخ رسمي وسمي كتابه تحفة الرضا باسم الوزير. ولو كنا وقفنا عليه لتوضحت لنا وجهات النظر في بسط الوقائع

وكتب الوزير إلى الأستاذ سيد محمود المفتي جواباً لكتابه المرسل مع أحمد آغا الكتخدا لسابق أنه عزم على زيارة مشهد الحسين رضي الله عنه أثناء عودته و بقصيدة مثبتة في ديوان العمري وفي حديقة الورود تفصيل.

وممن ذكر هذه الواقعة عبد الحسين العصري في ديوانه المطبوع في بومبي وكذا جاء في (تاريخ شدوي) بعض الإيضاح إلا أنه مزج بين هذه الحادث وبين واقعة (تحديد الحدود) بين إيران والعراق المتأخرة عنها وهذا ناجم من اضطراب المحفوظ أو تداخله.

وهذه الواقعة بلا ريب فتحت باباً للمفاوضات بين إيران والدولة العثمانية ودامت إلى سنة ١٢٦٣ هـ، فأدت إلى عقد (معاهدة أرضروم) فطلت نحو إحدى عشرة سنة فانتهت بتلك المعاهدة وتحديد الحدود أثر انعقادها بلا فاصلة ولا نزال لم تحسم قضية الحدود ويستفاد كثيراً من كتاب (سياحتنامه حدود)، ومن تقرير درويش باشا لمعرفة الأنحاء والأدلة التاريخية

وكان يوجه اللوم على الوزير علي رضا باشا من جراء أنه لم يطلم إدارة المحمرة ويجعلها مفقودة للبصرة مما أدى إلى دوام النزاع وكل ما كانت تمتاز به هذه الواقعة أنها غزو ونهب وعودة كما تفعل بالعشائر الأخرى وهي أيضاً عشيرة من عشائر لا تستقر ولا ينبسط عليها حكم فمن الصعب تأسيس إدارة لها

والي شهرزور ـ تبدلات في المناصب

كانت شهرزور ملحقة ببغداد، وفي هذه الأيام انفصل واليها أشقر باشا[1] وكان استخدم في بغداد بخدمات أخرى اقتضت فلزم تعيين

(١) ورد بلفظ عشقر باشا أيضاً وهو عمي أشقر باشا وفي الموصل سنة (١٢٦٥ هـ =

فريق إلى هناك، فاختير لهذا المنصب عزت بك ل قبوجي باشي وكان ويودة (بي ايل). ومن ثم نصب فريق آخر مكانه للعساكر ببغداد وكذا نصب للدفترية عارف أفندي خليفة المخلفات

والملحوظ أن هذا الفريق كان مستقيماً، عدلاً جرى تعيينه فريقاً من جهة أنه من أقربي علي رضا باشا. قال لطفي في تاريخه توفي قبل سنوات. ومدح خصاله وأثنى عليه كثيراً[1]..

حوادث سنة ١٢٥٤هـ ـ ١٨٣٨ م

ومما حدث.

١ ـ أبدل لقب (صدر أعظم)، ـ (رئيس الوكلاء) في ٤ المحرم من هذه السنة

٢ ـ جواز السفر، قرّر لزوم مراعاته في وزارة الخارجية وبهذا تابعت الدولة ما هو معروف لدى دول الغرب وكان معروفاً قديماً

٣ الحجر الصحي أسس الحجر الصحي في الدولة العثمانية

٤ المكاتب الرشدية تكونت في عاصمة الدولة (استنبول) إلا أنها لم تعم الولايات ولم يؤسس في بغداد المكتب الرشدي إلا بعد أكثر من ثلاثين سنة[2]

= ـ ١٢٦٦ هـ) وهو من موالي بيت سلطنة قال أبو الثناء الآلوسي جاء صحبة الوزير علي رضا باشا وصار والياً على شهرزور مع مكثه في بغداد معيباً بهذا الوزير وكان إحدى يديه في الخصر والمقمقمة إذا خرج للسفر وكان يظهر الصلاح وتقلب في مناصب التغير على ما سمع الأستاذ وشاهد منه في استنبول ذلك التغير انتهى بتلخيص من غرائب الاغتراب ص ١٥٩

(١) تاريخ لطفي ج ٥ ص ١١٠

(٢) تاريخ لطفي ج ٥ ص ١١٠ ـ ١٢٧

حوادث سنة ١٢٥٥هـ - ١٨٣٩ م

خط كلخانه - التنظيمات الخيرية.

في ٢٦ شوال أعلنت التنظيمات الخيريه (خط كلخانه) المؤرخ ٢٦ شعبان. قررت فيه الدولة لزوم الإصلاحات العدلية، والنظامات اللازمة لتهدئة الرأي العام الأوروبي الهائج على الدولة وأملها أن تجلب ودّ الدول الغربية وقررت لزوم تشكيل سفارات في باريس ولندن وعزمت على إصلاح التشكيلات الإدارية وقبول النظم المالية. قرىء خط كلخانة بصوت جهوري بمحضر من العلماء والوزراء والأعيان وسائر رجال الدولة في (ميدان كلخانة) في القصر العالي بحيث فهمه الكل. وأعلن أيضاً في سائر البلاد العثمانية ومنها بغداد. فأجريت له الاحتفالات الكبيرة وأطلقت المدافع. وتلك التنظيمات الخيرية

وهذا الفرمان يصرح أن الدولة كانت تراعي الأحكام الشرعية فبلغت قمة المجد، ومنذ مائة وخمسين سنة أهملت الإدارة الشرعيه بسبب العوائل، وما عرض من الحوادث. فاقتضى مراعاة ما يجب لوضع قوانين جديدة لانكشاف القابليات في الأهلين، وحفظ نفوسهم، وأموالهم وأعراضهم، وأن تقوم بحسن الإدارة، وتعيين الضرائب، وتحديد مدة الجندية وتأكيد الثقافة، فأوضح المنهج للعمل، وهدد المخالف بأعظم العقوبات وأمر أن يرتب (قانون عقوبات). وأن يكون الإصلاح عاماً شاملاً فلا يقتصر على ناحية دون أخرى[1]

والحق أن الدولة كانت بيد المتغلبين والينكجرية فبلغ سوء الإدارة

---

(١) تاريخ لطفي ج ٦ ص ٦٠ وما يليها نص هذا الخط. والدستور القديم التركي والعربي ج ١ ص ٢ وفيه نصه العربي وكتاب (ترك وتنظيمات) تأليف سمير فرسنا (اد. انكله لهارد) نقله إلى التركية المؤرخ علي رشاد في تاريخ الإصلاحات في الدولة العثمانية. طبع سنة ١٣٢٨ هـ

أقصى حدود الظلم. ومرّ بنا من الحوادث ما يعين الحالة، فالدولة بعيدة عن الإصلاح ومن الصعب إرضاء الشعب بوجه. فالتذمر بلغ غايته. سواء في عاصمة الدولة أو في الولايات التابعة لها.

والعراق كان نصيبه أقل الأقطار من الإصلاح لما يوحش الأهلون خيفة أن يؤدي ذلك إلى تقوية سطوة الدولة وكان سجوة نوعاً. رأت الدولة لزوم القضاء على الإمارات العراقية ورعاية التجنيد، وما ماثل مما يؤدي إلى التمكن من السيطرة فكان عملها بطيئاً لم تنل من العراق حظاً إلا بعد جهود تكبدتها ودماء أهرقتها، وأموال طائلة بذلتها. وقف العراق في وجهها، وعارض آمالها، وفي الوقت نفسه كانت لا تستطيع أن تضغط كثيراً حذراً من إيران بل راعت الصلح مع إيران وعملت لأن يكون صحيحاً.

وهكذا تولدت تيارات ضد الغربيين لما ظهر من نواياهم التدخل في المملكة، والضغط من طريق الانتصار على الشرق، ودعوى حماية النصارى، وأمثال ذلك من الأوضاع العديدة.

قال الأستاذ أبو الثناء الألوسي:

«كنت أرى أمر الإفتاء أمرّ من مر القضاء حيث مرقت (الشورى) إذ ذاك أديمه، وأسقمه (أعضاء المجلس) ذوو الآراء السقيمة أعضاءه السليمة فلم يكد يختاره إلا ذو جهل قد جعل دينه لدنياه جنابه وحاشاني أن أكون كذلك...» اهـ[1]

والشورى لا تذم لذاتها. ولكن جهل الأعضاء مما يفسد معناها والآراء السقيمة تطوح بالمملكة وتقضي على الآمال. والنقمة كانت مشهودة. ذكرها الأستاذ في مجموعته الكبرى. وهكذا قال الشيخ رضا الطالباني في عهد المشروطية:

---

(١) مقامات الألوسي.

قانون إلهي وارايكن يعني شريعت

باقي هذياندر، چه أساسي چه سياسي

يقول إذا كان القانون الإلهي موجوداً وهو الشريعة فالباقي هذيان سواء كان سياسياً أم أساسياً.

وهكذا كانت الفكرة راسخة في الأذهان، ولا تزال خشية التسلط ملحوظة وهذا لم يمنع قبول الصواب والإدارة الحقة ولا تلقي العلوم والفنون، وسائر ما يؤهل للحياة العملية الدنيوية مما لا يتصور منه ضرر على الدين، بل هو من دعائمه وكانوا يخشون ما وراء ذلك

ثم أصدرت الدولة قوانين عديدة وسارت نحو الإدارة الغربية لتنال قوة، ولتتمكن من الإصلاح وترضي الغرب فأعلنت بعده عدة فرامين منها الفرمان المؤكد لزوم تشكيل المجلس سنة ١٢٦٧هـ ومنها الفرمان المؤرخ ١٢٧٢هـ ثم أصدرت القانون الأساسي وهو الدستور المؤرخ سنة ١٢٩٣هـ، فأعيد العمل به في أيام المشروطية فكانت المشية بطيئة جداً

جرت على سنة التطور بمقدار ما تمكنت من مراعاة الإدارة الديمقراطية وتمكينها في المملكة كما لاحظت المعارف، وأسست المدارس للقيام بالإصلاح الثقافي والعراق حصل على مقدار ضئيل، ولكن تبدل العصر أدى إلى قبول العلوم العربية، والتوسع في الثقافة، ولا يزال الأمر ماضياً في طريقه ولكن بمقياس ضعف

غرق بغداد:

في كل بضع سنوات يستولي الغرق أو الفيضان على بغداد، وطغيان دجلة والفرات لم ينقطع في وقت إلا قليلاً، فكم استولت المياه وخربت دياراً ومحت أموالاً ولكن هذا الحادث كان كثيراً. قال الأستاذ الآلوسي

«شاهدنا جورها ـ جور المياه ـ مراراً، وأعظم ما شاهدناه بعد

حادثة الطاعون ما وقع سنة ١٢٥٥ هـ، فإن دجلة طغى ماؤها، حتى تساوى من بغداد أرضها وسماؤها، وعبرت جدران بيوتها بين ساجد وراكع، وخاضع وخاشع، ومصون أضرّت به علّة الاستسقاء، ومحموم استلقى على ظهره يتفكر في ملكوت السماء، وذلك قد استغرق بالبكاء ليله ونهاره، وتفجرت منه العيون فتلا وإن من الحجارة، والملائكة تتيمّم في سماها بغبار البيوت وتنادي يا أهل الأرض عزاء فبيوت العنكبوت كثير على من يموت، والألباب أمست لفرط الذهول حيارى، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، وكم من مخدرة أراقت ماء المحيا، وسحبت بما يعزّ عليها لنجاة نفسها ولم تك وحياتك بغيّاً، والحاصل لقد فار التنور، وأمست الأرجاء كالبحر المسجور، وعدت لا أظن حادثة الطوفان، وكان والأمر لله تعالى ما كان. وقد أشار الشاعر عبد الباقي العمري إلى بعض ذلك ببيتين شعرهما لمعاصر الأديب أمين العمري المعروف بـ (الكهية) قال

(لا تعجبوا من نهر دجلة إن جرى)
وهو الفرات كمعظم الطوفان
وطغى على الزوراء كل مهمها
(حتى انتهى لحضيره الكيلاني)
(هو للحقيقة والطريقة بحرها)
وبه نرى البحرين يلتقيان
آوى إليه الماء معتصماً به
(والبحر مأوى جملة الحيتان)[1]

والملحوظ أنه مرت بنا في (تاريخ العراق بين احتلالين) حوادث غرق كثيرة فلم تهدأ حوادثه، ولم تقل مصائره ومصائبه في عالم السبيل

(١) الطراز المذهب في شرح قصيدة مدح الباز الأشهب. الأصل لعبد الباقي والشرح للأستاذ أبي الثناء طبعت بمصر وعندي نسخة منها بخط الأستاذ.

السنة المالية:

إن الدولة العثمانية اعتبرت سنة ١٢٥٥ هجرية سنة مالية وبدأت بآذار وجرى العراق في معاملاته المالية على هذه السنة والمالية لم تبدأ من أول الهجرة. وإنما بدأت من هذه السنة اعتباطاً وتوالى الاختلاف على غير اطراد وتسمى هذه السنة المالية بالرومية. وكان الاختلاف على هذا قديماً. نوضحه بما يلي:

التاريخ الهجري والرومي

التاريخ الهجري قمري وضعه عمر رض سنة١٧ هـ وأول السنة الهجرية يوافق ١٦ تموز سنة ٦٢٢م وكانت تواريخ غير المسلمين مرعية فيما بينهم ثم شعر المسلمون ثم الأمويين والعباسيين بلزوم الأخذ بالسنة الشمسية لحاجة الخراج لتعيين مواعيد الجباية، فاستعملوا (السنة الخراجية) وللتوفيق بين التاريخين في السنة الخراجية والسنة الهجرية اتبعوا طريقة (الازدلاق)، ويسمى (الازدلاف) بإرجاع ثلاث سنوات كل مائة سنة ففي الـ (٣٣) سنة الأولى حذفوا سنة، وفي الثانية أسقطوا سنة أخرى وفي التالية لهما تركوا سنة من ٣٤ سنة وهكذا عملوا على هذه الطريقة في كل مائة سنة

وأشهر السنين المستعملة (سنة الجلالية) أو (الملكشاهية) أيام السلجوقيين بدأت سنة ٤٧١ هجرية واعتبرت السنة الأولى جلالية وكان قبلها استعملت سنين خراجية أشهرها (السنة اليزدجردية) ثم إن المغول أيام السلطان محمود غازان اعتبروا (السنة الايلخانية) سنة ٧٠١هـ قامت مقام (السنة الخراجية). وهي مستعملة في الأمور المالية. واعتبرت السنة الأولى الايلخانية.

ومضت الدولة العثمانية على هذا. فأصدر السلطان محمد الرابع

فرماناً في ٤ صفر سنة ١٠٨٨هـ أمر فيه أن تعد (السنة المالية) من سنة ١٠٨٧هـ قمرية وتمحى سنة كل ٣٣ سنة وأخرى مثلها سنة أخرى في ٣٣ سنة ثم في مدة ٣٤ سنة بعدهما تسقط سنة أيضاً فيسقط في كل مئة سنة ثلاث سنوات بالوجه المذكور ويقال لهذا الازدلاق عندهم (سويش) ويحتفظ بمراعاة السنين الهجرية والمالية معاً ويقال لهذه السنين السنون المالية أو السنون الرومية.

ثم اعتبروا سنة ١٢٠٥هـ مالية واتبعوا (التاريخ الأورثوذوكسي أصلاً وبدأوا من آذار وخالفوا التاريخ الغريغوري ثم اعتبروا سنة ١٢٥٥هـ مالية ودام العمل بها كذلك وفي أيام السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٨هـ كان موعد الازدلاق فلم يعملوا لعملة فحدث اختلاف بين الهجري والمالي، وتزيد حتى اختلال بعدد سنة ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م ثم تنسخ عندهم بالتاريخ الميلادي المتداول وبهذا انفصل التاريخ الهجري عن الشمسي الميلادي بسبب إهمال علم الميقات من مباحث الفلك.

ثم اضطرت الدولة العثمانية إلى اعتبار التفاوت بين (التاريخ الرومي والميلادي المستعمل) فأبقت السنة على حالها وجعلت يوم ١٦ شباط من سنة ١٣٣٢ اليوم لأول من آذار سنة ١٣٣٣ بموجب القانون المؤرخ ٢٨ ربيع الآخر ١٣٣٥ و ٨ شباط سنة ١٣٣٢ رومية وهذا لم يعمر كل الغلط، ثم وجدوا أسهل طريقة قبول التاريخ الميلادي لم يستندوا إلى أمر علمي وتوالى الغلط حتى تركوا الماضي وما أحدثوا فيه من أغلاط وأهملوا العلم ومطوياته أو اشتغلات العصور في الفلك.

وفي إيران حذف من السنة الميلادية ما قبل الهجرة ٦٢٢ سنة فما بقي صار هجرياً شمسياً إلا أنهم جعلوا للورور أول يوم من السنة،

واعتبروا الأشهر الإيرانية أسماء فارسية، فاختلفت عن الميلادية في الشهور وفي مبدأ السنة ويتوقع أن يحدث عندهم مثل ما حدث في الجمهورية التركية.

وإن الحكومة المصرية بدأت في ٢٩ رجب سنة ١٢٩٢ ـ ١ أيلول سنة ١٨٧٥ باستعمال التاريخ الغربي الغريغوري وتعد أسبق بلاد الدولة العثمانية إلى قبول هذا التاريخ[١]

وعندنا حدث عين ما حصل للعثمانيين إلى سنة ١٣٣٥هـ ـ ١٩١٧م ففي أول يوم من الاحتلال قبل التاريخ الميلادي عيناً ومن أيام الدولة العراقية استعمل معه التاريخ الهجري ولا يزال إلى اليوم وكان الأولى أن يستعمل التاريخ الهجري الشمسي مع الاحتفاظ بأسماء الأشهر وأوائلها وأول السنة الميلادية لدى الأمم دون تغيير وأن تعد السنة (خراجية) وباقي معاملاتنا الدينية والتاريخية هجرية قمرية دون أن نشوش تواريخنا[٢]، وأن يقرن بها التاريخ الشمسي فلا نرى الاضطراب

ويهمنا بيان أن الدولة العثمانية بدأت بإصلاح التاريخ المالي في هذه السنة فأهمل ولم يراع حكمه في لزوم مراقبة الحالة في التجدد فوقعت الدولة في الغلط والأسباب الموضحة في كل تبدل تعين وجهات الغلط وهكذا جرى عند الغربيين من التحولات في التاريخ الميلادي نفسه قبل الإصلاح الغريغوري، وتغير أول السنة الشمسية كثيراً، فاستقر في أن صارت السنة الميلادية أو الشمسية تبدأ بأول يوم من كانون الثاني ولا تزال الآراء سائرة على قبول متجددات عصرية

---

(١) التوفيقات الإلهامية، محمد مختار باشا ص ٦٤٦

(٢) كاه شماري، حسن تقي زادة في مختلف صفحات منه وتاريخ جودت باشا وتقاويم عديدة وهنا بحث منقول من كتاب علم الفلك وتاريخه عند في أيام المغول والتركمان والعثمانيين إلى آخر أيامهم إلى سنة ١٣٣٥ هـ ـ ١٩١٧ م



السردار الأكرم عمر باشا ـ عن مشاهير الشرق

حوادث سنة ١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م

آل بابان:

في هذه السنة لم يحرك الوزير علي رضا باشا ساكناً فمضت الحالة بهدوء وبالتعبير الأولى لم يتعرض بالخارج من عشائر فلم يقع ما يستحق الذكر إلا ما وقع من العفو عن محمود باشا البابان عفت عنه الدولة عما سبق منه من تعديات أثناء ولايته فألبسه الوزير الخلعة وهو أخو سليمان باشا ولما علم أمير السليمانية أحمد باشا انحاز بأتباعه إلى حلب وفي هذه الأثناء ظهر (علي بك) ابن محمود باشا مطالباً وناصرته إيران باعتبار أن أمه منهم فاحتل جيشها السليمانية وقبض على أحمد باشا ونهب جيش محمود باشا فاضطر إلى الانسحاب إلى ناحية قره حسن من كركوك.

ومن ثم عين الوزير علي رضا باشا جيشاً قوامه خمسة أفواج من عسكر النظام جعل رئيسهم إبراهيم باشا أمير اللواء. وعزم الوالي أن يذهب بنفسه وحذر أن تقع فتنة بين الدولتين وأشير عليه بالبقاء ووصل هذه الأنحاء إلى معتمده رشيد آغا، فذهب إليها أيضاً وجمع معه علي آغا اليسرجي[1] إلا أنه لم تعرف نتائج ذلك.

وإنما رأيت عودة أحمد باشا وبقاءه أميراً على ديار الكرد إلى أن أزاحته الدولة سنة ١٢٦٤هـ بأخيه عبد الله باشا فصار قائممقاماً وفي سنة ١٢٦٧هـ عزل وصارت إدارة اللواء للدولة فانقرضت (إمارة بابان).

والملحوظ أن سليمان باشا بابان توفي سنة ١٢٣٩هـ - ١٨٢٣م وهو والد أحمد باشا وأخو محمود باشا ذكره الأستاذ أبو الثناء في مجموعته.

---

(١) مجموعة السهروردي.

رجال الوزير علي رضا باشا

يهمنا هنا أن نذكر بعض المشاهير من رجال الوزير علي رضا باشا ممن كان له مكانة أو عرفت له علاقة كبيرة بالعراق وبذلك يتوضح اتصاله.

١ ـ الملا علي الخصي:

هذا اشتهر بالظلم والقسوة كثيراً بلغ حد التواتر، ولا تزال تتردد على الأفواه وقائعه القاسية وقال فيه الأستاذ الألوسي في مقاماته «أعجوبة الأمم ملا علي كتحذا الحرم...»

قال صاحب التاريخ المجهول

«هذا ـ علي باشا ـ كانت خاصته يعطون أموال الخلق منهم بعضه كملا علي، وهو رجل من قبيلة يقال لها (سورمرية) قبيلة أذل جميع القبائل لا ينتمون إلى قبيلة معلومة[1] ومبدأ أمره كان كاتباً في قربه الخالص رجلاً دميم الخلقة وجهه وجه الخصي، منهم من يدعي أنه خصي وجهه ينبىء أنه خصي، وله زوجة، لم تلد منه، ووجهه أمرد، مهول، كوجه القرد، بل أسوأ حالاً من القرد والخنزير

فالمذكور قدمه الوزير، وجعله بمنزلة قائد الجيش، وجعل بيده جمع ميري العشائر ويقال له (النخبة)[2] وتسمى القلم (القدمية) وهي

---

(١) السورمرية من القبيلة فإذا كانت هي المقصودة فهي قبيلة معروفة من الكرد منتشرة في مواطن كثيرة من العراق لا سيما في لواء ديالى في خانقين في قرى عديدة وفي المقدادية وتدين في القرى العربية بسبب اختلاطهم بالعرب يتكلمون اللغة العربية ويقولون إنهم من ربيعة منهم في أبي جسرة (ب جسرا) وأنحاء كثيرة من لواء ديالى ولم تكن ذليلة بل ذات مكانة وصاحب التاريخ المجهول تكلم عليها ليلم الملا علي الخصي

(٢) تعرف بالبيتية. ضريبة على بيوت العشائر

مثل الجزية عند رأس كل سنة يأخذون من بعض العشائر من كل رجل له زوجة ٦٠٠ قرش وليس بالسوية حيث بعضاً منهم يأخذون من الرجل (١٥٠٠) قرش، وأقلهم (٣٠٠) قرش

وهؤلاء المسلمون مظلومون، حيث سابقاً كان يعطى الرجل خمسة عشر قرشاً والذي ضاعفها هذا الكلب ملا علي الخصي، يسمى في أول أمره، وآخر أيامه سمي علي أفندي، بل غصب أموال الناس أكثر من جرح أفندي (أسعد ابن النائب) وهذان الظالمان لو تحرر جميع ما هم عليه لأدى إلى تكذيب المؤرخين، ولكن علم الله وكفى طالعت جمّاً من كتب التواريخ فلم أجد أجرأ من هذين الباغيين فإن ابن النائب كان يجرم جملة، وهذا الكلب الخصي يغصب عيان مجاهرة، ويفتخر بفعله والوزير علي باشا مطلع بذلك ولم يعارضه، ولا ينهاه فالخصي المذكور كان مقدماً عنده، وكان يظهر إلى خارج البلد، وينهب سواد العراق وهم أعراب، فلاحون، يزرعون لهم أراضيهم، ويؤدون الجباية (السنية) المذكورة. يأخذ أغنامهم، وجميع ما لهم من الدواب، ويبيعونها على جزّاري بغداد غنمهم والبقر يرمونها على أهالي البساتين، ويحسبونها عليهم، الدابة التي تبلغ بمائة يأخذون منهم ثلاثمائة، وأمثال ذلك، حتى أنهم إذا مات شيء من هذه الدواب يقطعون أذنابها (كذا) ويجرونها ثمن دابة حيّة قبل تسليمهم إياها، ولزيادة طغيانه يحبس الناس في بيته ويضربهم أشد ضرب، ولا يطلقهم حتى يأخذ منهم مالاً، لا يستطيعون أداءه، ويبيعون أملاكهم، وهم مسجونون عنده في بيته

ومع هذا الظلم الفاحش من هذا الكلب يتصدق على فقراء الناس من مال الناس، وأن أعجاماً تبعة إيران قطّانين يبيعون القطن رمى عليهم جاموساً، ويأخذ أضعافاً عن أثمانهن مضاعفة، وعلى بياعي الحطب يرمي عليهم جاموساً، ويأخذ كما يأخذ من المذكورين

والحيرة أن الأعاجم الذين ذكرناهم مساكنهم لا تدخل فيه الجمس، وهم حايرون في بيعها، ويدورون بها في الطرق، لا مأوى لها عندهم، ويدور في نفسه في الميدان، فكلما رأى فرساً جيدة غصبها من مالكها قهراً، وأخذ خيلاً من أصحابها من شيوخ العرب وسائرهم بهذه الصورة، والناس يخافون من سطوته وجوره.

وكل هذه الفعال القبيحة يعمل بها علي باشا الصال حتى أنه جاء إلى الجسر يريد العبور، فوجد امرأة مارة أمامه أيضاً تريد العبور فضربها بعصاة بيده كان يحملها برأسها ضربة شديدة فماتت من ساعتها عامله الله تعالى بعدله وغضبه وسخطه، فإن له أفعالاً تفضي إلى كفره ولا تحصى عدّاً لكثرتها. وذكرنا هذا المختصر منه، لأنه تقدمت أيامه على هذا التاريخ. وكل ما ذكرناه عنه كان بعصرنا مشاهداً لا أخباراً. وهاشميون أدخلهم في (قلم الميري)، وأخذ منهم (الخانة)، وجرت العادة الهاشميون ما يعطون ميري الخانة التي تؤخذ من غيرهم من العشائر.

وهذا الخبث يأخذ أموال الرعية، ويتصدق من بعضها على فقراء الناس. ووجوه أهل بغداد لا قدرة لهم عليه، بل وبعضهم يتأمل من إكرامه فيا تعساً له من زمان. ووجوه بغداد لم يكن أحد منهم يخاطب الوزير في هذا الخبيث، مع أنه كان يوجد من أرباب العلم وأهل العبادة. وأما لو نتتبع أمور هذا الخبث وظلمه مدة وزارة علي باشا وهي اثنتا عشرة سنة لأدى إلى تكذيب الناقل، وتكون مجلدات ما فعله في بغداد » اهـ.

٢ ـ علي آغا اليسرجي:

طاغية آخر من رجال علي رضا باشا اللاز. كان على شاكلة ملا علي الخصي، وربما تداخلت حوادثهما.

قال صاحب التاريخ المجهول.

«وعلى قدمه (على شاكلة ملا علي الخصي) علي عا اليسرجي من الترك، نصبه علي باشا (تمكجي باشي) أيضاً حرم أغاسي، وأخذ أموالهم قهراً، وكان لا يعرف سياسة الحكومة، ولا يدرك شيئاً غير أنه يحبس المسلمين، ويأخذ دراهمهم، كما أنه كان مولعاً بالزنى، وتزوج امرأة فاحشة مجاهرة، وجعل يخلو نهاره معها، وهو كجرأة علي أفندي (ملا علي الخصي)...» اهـ

٣ ـ حمدي بك:

هو قريب من سابقه في ظلمه وتعديه، أخذ من الخلق خفية كذا قال صاحب التاريخ المجهول، ولم يوضح عن أعماله، وما كان يقوم به، ولا بيّن وظيفته ولا مهمته

وكل ما نعلمه أنه كان خازن الوزير وهو الذي تكلم مع مندوبي الأهلين أيام حصار بغداد، فأكد لهم عزم الدولة على الفتح، وكذا بيّن جهود الوزير علي رضا باشا لتحقيق هذا العزم نال الوزارة بعد ذلك، وحصل على المنصب في جملة ولايات كقونية وأرزن الروم، فصار يدعى حمدي باشا، وهو ابن السيد علي باشا القپودان وله صلة قربى بالوزير علي رضا باشا وهو مشهور بالنهب والسلب من أموال بغداد وفي محاورته مع الأهلين وثقهم بأيمان مغلظة[1] وفي مرآة الزوراء بين الأستاذ سليمان فائق أنه رآه واستطلع منه بعض حوادث المماليك فدوّنها في تاريخه من جهة داود باشا فاستطلع رأيه، قال لم يوافق علي رضا باشا اللاز على قتله.

وكان هذا تولى التضييق على الناس، والتعدي على النساء بالضرب

(١) تاريخ لطفي ج ٣ ص ١٣٨، وج ٧ ص ٦٥

والإهانة والتجريد بأمل الحصول على مبالغ للدولة، ولحكومة بغداد[1].

كل هذا دوناه كما هو المنقول وإن الأستاذ أبا الثناء في رحلته إلى استنبول دعاه إلى أرزن الروم وكان آنئذ واليها فذهب إليه ورحب به والأستاذ أثنى ثناء عاطراً عليه ودعا له ومدح خصاله وسماه محمد حمدي باشا. قال:

«ورد بغداد في معية (علي رضا باشا). فسلت إذ ذاك تفضله... وبقي في بغداد مدة مديدة وهو في جميع تلك المدة بدر سماء وزارة ذلك الوزير وكان (الوزير) عليه الرحمة يهابه ثم رجع الأمر ما إلى الأستانة العلية، فحطته حوراء الوزارة البهية وكان بينه وبين المرحوم علي رضا باشا قرابة نسبية وذلك أنه كان متزوجاً بخالته وكان هو متزوجاً بنت درويش باشا الصدر الأعظم إلى آخر ما قال» اهـ[2]

والثناء في الرحلة يشفي ما عرفنا عنه

٤ ـ عبد القادر بن زيادة الموصلي:

وهذا لم تتناوله الألسن ولا عرفت عنه ما يكشف الغطاء عن حالته إلا أن صاحب التاريخ المجهول أوضح عنه خبره بتفصيل بما يلي:

«جعله ـ علي رضا باشا ـ على الكمرك، أتى مع الوزير علي باشا من حلب، وكذلك فشا ظلمه في بغداد ومن بعض ظلمه كان يتعاطى التجارة وهو والٍ على الكمرك، وتأتيه المكاتيب من الشام وحلب

(١) مرآة الزوراء وجاء ذكره في سجل عثماني أيضاً

(٢) غرائب الاغتراب ص ٩٩

وغيرها من شركائه وعمّاله، ويخبرونه عن أجناس البضاعة، وعن أسعارها فيرسل ما شاء، وإذا أراد تاجر من تجار بغداد أن يرسل من ذلك الجنس لم يدعه يرسل، بل يمنعه من إرساله وهذا دأبه إلى أن وقف أمر التجار.

وفي أيامه يأكل الناس أموال بعضهم بعضاً، ويأتون إليه، ويرشونه فيساعدهم على أكل أموال عباد الله، وهذا كان دأبه، ولا يبالي من أحد ولا من علي باشا، ولا يخاف من الحكيم العليم. وكان بخيلاً أبخل من كلب بني زائدة، حماراً لواطاً، يفحش في كلامه وسائر أوقاته خال من الكمال ومآثر السياسة كان منهمكاً بتحصيل الدراهم، وعاكفاً على لذاته، ومع ذلك أمور الناس موكولة نحوه، وأمراء العراق، ومشائخ العرب، وبيكات الرستاق، ومضافات بغداد، وتوابعها قرى ورستاقاً ومزارعاً وعقاراً، وإيراد داخل بغداد كله من تحت يده، من يرشوه برشوة وافرة يحكي مع الوزير، ويأخذ له المنصب من إمارة ومشيخة والتزام ميري، وضمان وما أشبه ذلك، ويصك له صكاً، ويكون ذلك الأمير وغيره بطوع عبد القادر بن زيادة

وجرى على هذه الحالة إحدى عشرة سنة إلى أن أكل جميع إيراد بغداد، وصار عنده كنوز، وكثرت أمواله وكان عنده دائماً أربعة غلمان يلوط بهم اثنان مماليكه، واثنان من أولاد الناس وكل سبت يطلع خارج البلد ويعمل وليمة، ويشرب الخمر مخمرة، وجعلها وظيفة على جلسائه من التجار كل أسبوع على واحد، وهو أيضاً يوم عليه، حمله على ذلك البخل وحب المال، ومنهم ما يودون يعملون الوليمة، ولكن يعملونها مخافة منه.

ومساوئه أيضاً شنيعة جداً حتى أنه تجرأ على رجل من أهل بغداد، أمر بقتله في مربط خيله، بسبب أنه متعرض لأحد غلمانه، قتله ظلماً،

ولم يخف من أولياء المقتول، ولا من الوزير علي باشا.

وله أخوان جعل واحداً والياً على البصرة[1]، والآخر على الحلة، ويجلبون الأموال إليه، ومع هذه الصولة ما تصدق يوماً بمائة درهم، ولا أجاز شاعراً. فحين زاد طغيانه، وتجرؤه على عباد الله، ولم يعبأ بالحاكم دمره الله تعالى، وغضب عليه الوزير، وأخرجوه من بيته مهاناً حافياً، مسكه اثنان من أوادم الوزير (رحاله) وهو ماش وجر من بيته إلى أن وصل السراي كالمشهور بين عباد الله فحبسه علي باشا، وأراد منه جرماً ثلاثة عشر ألف كيس، وجاء العزل لعلي باشا فاشتمل عنه بنفسه وأتت وزارة الشام إلى علي باشا فسيره معه إلى الشام، وجعله كهيته فبقي علي باشا ثلاث سنين في الشام ومات، وأرسلت الدولة على عبد القادر زيادة، وقدم إسلامبول وجعلوه حاكماً على (كاوور أرمير)[2]، وجعلوا إيرادها مضاعفاً عن الأول قصداً من الدولة لأن ما يمكن الدولة أن تجرمه حيث ارتفع الجرم في أول سلطنة عبد المجيد خان، ولكن سلبوا من أمواله بهذه الكيفية. » اهـ.

ولما ذهب الأستاذ أبو الثناء إلى استنبول شاهده هناك وقال: عبد القادر باشا كمركجي بغداد. وأثنى على ما رأى منه من لطف. قال: ورأيت له قبولاً عظيماً عند الرجال. وكانوا يحلونه أعلى محل ويجلونه غاية الإجلال. وكان بصدد أن يتسور وزارة بغداد. وقد أرادها له معظم الوكلاء إلا أن الله تعالى ما أراد... » اهـ[3]

والملحوظ أن الأستاذ تهرب من بيان ترجمته بقوله زيادة شهرته تغني عن ترجمته

(١) هو صالح بن زيادة. يأتي الكلام عليه

(٢) هي مدينة أزمير. وكانت تسمى بهذا الاسم

(٣) غرائب الاغتراب ص ٢٠١.

وهذه صفحة كاشفة عن آخر من أعوان الوزير.

وفي كتاب للشيخ محسن السهروردي أن أخاه صالح أفندي من مقولة التجار جعله الوزير علي رضا باشا والياً على البصرة. وفي (كتاب شعراء بغداد وكتابها) أن السيد محمد آغا سياف زادة كان قد عين والياً للبصرة وبعد بضعة أشهر توفي بالطاعون هناك. والظاهر أن صالح زيادة صار متسلماً بعده.

٥ ـ عثمان سيفي بك:

كان كاتب ديوان علي رضا باشا، وفي سنة ١٢٦٤هـ صار محصل كوتاهية وقد رآه الأستاذ سليمان فائق سنة ١٢٦٠ هـ، واستطلع منه أخبار فتح بغداد، رآه في استانبول، واجتمع به، ودوّن عنه ما علمه منه[1].

وهو الذي عمر بعض التعميرات في جامع الشيخ عمر السهروردي.. وجاء ذكره كثيراً في ديوان عثمان نورس وفي ديوان العمري، وفي ديوان الأخرس ومن أولاده هاتف بك. وهذا وقف وقفية بتاريخ ٦ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٧هـ على الذرية. وتقع البستان التي وقفها مجاورة لشارع الرهاوي في طريق بغداد ـ الأعظمية قطعة ١٠ من مقاطعة ٦ شريعة نجيب باشا ولهاتف بك من الأولاد فخري وكامل وفاطمة.

ومن أولاد عثمان سيفي مير شعبان حامي بك تردد ذكره كثيراً، وعندي رسائل كتبها له الأستاذ عيسى صفاء الدين البندنيجي. وجاء في ديوان عبد الباقي العمري ذكر ولادة محمد وحيد بن مير شعبان سنة ١٢٦٦هـ وعثمان سيفي يعد من أدباء الترك ذكرته في (تاريخ الأدب التركي في العراق). وله صلات أدبية بالشاعر الأستاذ عبد الباقي العمري وبالشاعر عثمان نورس.

---

(١) مرآة الزوراء ص ٨٧.

حوادث سنة ١٢٥٧هـ - ١٨٤١م

تسيير البواخر الإنكليزية:

طلبت الحكومة الإنكليزية من الدولة العثمانية رخصة لتسيير باخرتين من البواخر النقلية في نهر الفرات، فأذنت لها في أواخر شعبان سنة ١٢٥٠هـ الموافقة كانون الأول سنة ١٨٣٤م، وهذا الإذن تحول إلى شركة المراكب التجارية في نهري الفرات ودجلة لشركة لنج للبواخر ودام عملها من سنة ١٢٥٧هـ وهي هذه السنة. وكان الإذن قد صدر في أيام علي رضا باشا في السنة المذكورة وصورة الفرمان المنقول إلى العربية:

«حكم لوزيري علي رضا باشا والي بغداد والبصرة حالاً

قد طلبت حكومة إنكلترا لتسهيل التجارة رخصتنا العلية في تسيير باخرتين مناوبة في نهر الفرات الواقع في جانب بغداد وذلك بواسطة مرخصها فوق العادة السفير الكبير (لورد بونسونبي) ختمت عواقبه بالخير النازل الآن في دار سعادتنا، وقد وقع لسدتنا المسعودة تقريراً رسمياً بهذا الطلب وقد حرر للاستعلام عن ذلك من وزارتكم، وحيث للآن لم يرد منكم الجواب قد كررت السفارة الطلب بأن الحكومة المشار إليها لم تزل منتظرة إنهاء الأمر بناء على إفادته الواقعة ما دامت المنافع مشهودة ومحققة للجانبين وما لم يستلزم ذلك محذوراً قد صدرت من لدن الرخصة لهم بتسيير باخرتين مناوبة في النهر المذكور، وبذلك أعطيت للدولة المشار إليها رخصة رسمية، وأعطيناها أمرين شريفين خصاً لمن يجب خطابه ممن على جانبي النهر المذكور يميناً وشمالاً لتبرز لهم عند الاقتضاء. وقد جرى تسطير أمرنا العالي ليطبق العمل وبحركة بموجبه فعليه أن الأمر قد صار معلوماً لدى درايتكم المسلمة، فيجب العمل بمقتضاه حسب

رؤيتكم المشهودة مع بذل الجهد في المحافظة عليه...» اهـ[1]

وقد رأيت نص الفرمان باللغة التركية، وهو عين ما نقل إلى العربية. رأيته في ثروت فنون عدد ٩٦٥ وتاريخ ذي القعدة سنة ١٣٢٧ ـ تشرين الثاني سنة ١٩٠٩م. وهذا الفرمان قبل تكوّن شركة لنج.

وعلقت عليه جريدة الرقيب بأنهم اتخذوا أول الأمر باخرتين سيروهما في الفرات، فغرقتا فيه، ثم اتخذوا باخرتين أخريين سيروهما في دجلة، ولم يحصل لهم مانع حتى أن أوراق الشحن التي تستعملها شركة لنج تحرر عليها:

(شركة المراكب البخارية في نهري الفرات ودجلة)

إلى آخر ما قالت.

ولم تبق اليوم قيمة لما أبدته جريدة الرقيب من المطالعة.

كربلاء ـ المنتفق في أيامه:

كان أمله مصروفاً إلى الاحتفاظ بالحالة، ومن ثم تعرف درجة ضعفه فلا يرغب أن يحرك ساكناً. فرضي من كربلاء بمبلغ سبعين ألف قرش وهكذا كان أمره مع المنتفق. رضي منهم بـ (٧٠) حصاناً، و (٧٠) ألف شامي[2]. ويقدر ذلك بمبلغ سبعة آلاف ليرة تركية.

---

(١) ثروت فنون عدد ٩٦٥ نقلته إلى اللغة العربية جريدة الرقيب البغدادية بعدد ٨١ وتاريخ ٥ المحرم سنة ١٣٢٨ هـ.

(٢) الشامي عشرة قروش صحيحة إلا أنه تحولت قيمته، واختلف سعره، والقران نقد إيراني قيمته قرشان صحيحان. ذكرتهما في كتاب النقود العراقية.

حوادث سنة ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م

عزل الوالي علي رضا باشا:

لم نقف على أسباب عزله، ولكن ما علمناه أنه سخطت عليه دولته ولعل الحوادث الماضية وأوضاع رجاله وشيوع أعمالهم مما كان يكفي لعزله والضرب على يده إلا أنه لما كان أنقذ بغداد من المماليك وجعلها تابعة لدولته رأساً، لم يضره ما عمل بعد ذلك. والقول بأن الأهلين يملّون الأوضاع ويضجرون من الحالات المستمرة عليهم، لم يكن ذلك من دواعي عزله، وربما كان عزله من جراء أنه لم يستطع أن يقوم بعوائد الدولة. ذلك ما جلب عليه السخط. والصواب أن الدولة لا تشتري النعرة العامة من الأهلين ولا تقصد إساءتهم ولكن مثل هؤلاء الوزراء جعلوا لها سوء السمعة فصار كل عمل ينسبونه إليها أو أن النقمة تتوجه عليها رأساً.

جرى تحويله إلى الشام وهو كاره. وكان خروجه من بغداد إثر ورود الوالي الجديد نجيب باشا في شعبان هذه السنة.

وحسبنا أن نعرف من ترجمته تاريخ حوادثه في العراق، ورجاله الذين استخدمهم لمهمة الإدارة، وكانت بئس الإدارة، وكأن الدولة جعلتها منحة له مدة، وكل ما يقال فيه إن حالة بغداد ساءت في أيامه ونرى مؤرخينا أبدوا كتابة وتصريحاً أعماله، وأنها كانت أضر على العراق من إدارة المماليك. ضجر الأهلون من تلك الإدارة، وملّوها، فوقعوا بما هو أتعس وأسوأ. فعلموا أن إدارة المماليك كانت أهون الشرين من هذه الإدارة الجائرة، وكانوا يأملون خيراً فصاروا في مشكلة لا يستطيعون التخلص منها.

ولا يكفي التألم للمصاب، أو العويل لما وقع. ولنستنطق أقوال المؤرخين، ونورد ما أمكن إيراده، ندون ما كتب عن صفحة، أو

صفحات مختلفة. من مجموعها تظهر ترجمة الرجل، وحالته في العراق خاصة بوضوح..

قال في مرآة الزوراء:

«... وعلي رضا باشا كان من أرباب الذكاء، ومن الوزراء المخلصين لدولتهم، كان كريماً جواداً، وحليماً، خلوقاً، بلغ به الإفراط في السخاء أنه كان مبذراً، لدرجة أنه صار لا يبالي وتهاون في الأمور، فأودعها إلى جماعة ممن لا خلاق لهم من الجهال، أو الذين بلغ بهم الصلف والحمق، أن جلبوا النقمة عليه، وأفسدوا ما بينه، وبين دولته. فقد كان يرسل أيام المماليك إلى استنبول مبلغ ألفي كيس سنوياً في أيام داود باشا، ويقدم هدايا، فلم يستطع هو القيام بذلك، وخربت العمارات، وزالت بهجتها سواء للأهلين أو للأجانب وعاد الأغنياء في حالة يرثى لها بحيث انحطت تجارتهم، وصاروا لا يملكون شروى نقير، ولا فلساً أحمر. ودامت هذه الحالة حتى عزل من بغداد [illegible] هـ»[1].

وهذا منتهى الذم من صاحب المرآة، وفي حديقة الورود يذكر نص كتاب منه إلى المفتي السيد محمود يبدي فيه تشوقه إلى العراق ويتألم لفراقه، ويقول:

«فهل لي إلى دار السلام بنظرة
بعاث بها ظمآن ليس يبالي..» اهـ

وفي سجل عثماني كان من أهل طربزون، من متعلقات أحمد باشا اللاز، ولي مناصب عديدة حتى صار كتخدا والي حلب رؤوف باشا في

---

(١) مرآة الزوراء ص ١٣٥ وجاءت المحابرات الرسمية المدونة في مجموعة عندي تؤيد ذلك رأيت فيها الكتب بعدمه وبرسائل المشعرة بالعلاقة، وتقديم الهدايا المعتادة أيام داود باشا حتى أواخر أيامه، وكذا ما جرى قبله مما يوضح الحالة.

سنة ١٢٤٤ هـ، وفي سنة ١٢٤٥هـ صار والياً لحلب برتبة الوزارة، وفي سنة ١٢٤٦هـ صار والي ديار بكر، فأرسلته الحكومة إلى بغداد، فأخرج داود باشا منها، وقام بخدمة الدولة فحصل على منصب الوزارة في بغداد، وفي المحرم سنة ١٢٥٣هـ أضيفت إليه إيالة شهرزور، وفي سنة ١٢٥٦هـ انضمت إليه ولاية جدة، وفي ربيع الأول سنة ١٢٥٨هـ صار والياً في الشام، وفي ذي القعدة سنة ١٢٦١هـ انفصل منها، وفي رمضان سنة ١٢٦٢هـ توفي، وكان عاقلاً، كاملاً، وشاعراً، مدبراً، وغيوراً، وأبرز خدمة لا تنسى في القضاء على المماليك[1].

وجاء في تاريخ لطفي

«طال أمد بقائه في بغداد، وكانت له خبرة سابقة عن ولاية سورية، وهو في الأصل من أهل اللياقة والوقوف كما أن بغداد مهمة بالنظر لموقعها وبداوتها، فاقتضى نصب والٍ لها من أهل الكفاية واللياقة، فأجري التبديل بين والي الشام نجيب باشا ووالي بغداد علي رضا باشا» اهـ

ثم علق بأنه كان تحويله ناجماً من طول بقائه. وعلى كل حال كانت الحكومة تبدي سبباً من هذا النوع، ولا ترى امتداد المدة مما يقتضي أن يتبصر أكثر بعمارة المملكة وتحسين الإدارة وتزايد تكاملها[2].

وهذه بمنزلة أن يقول سيىء السيرة، وضجر منه الأهلون، فبدلته الحكومة، واتخذت معذرة أنها لم تستغن عنه من حولته وإلا كان الواجب عليه أن يعتني بالمملكة، ويتبصر في نقائصها، ويراعي رغبات

---

(١) سجل عثماني ج ٣ ص ٥٦٩

(٢) تاريخ لطفي ج ٧ ص ٣٩

الأهلين الحقة، فيحبّب نفسه إليهم بكل وسيلة، ويظهر بمظهر مقبول لدولته وللأهلين..

وفي تاريخ لطفي عند تدوين خبر وفاته

«علي رضا باشا كان والي بغداد، وكان في بغداد كما كان في الشام لا يبالي في إدارة أموره، وربما كانت بيد المتميزين لديه، فلا يستطيع الخروج عما يقومون به. فعزل عن الشام على أن يقيم في ديمتوقة. توفي في الشام. والمشهور أنه قال لا نعزل من الشام، فأثبت أنه رجل حافظ على قوله..» اهـ[1]

وزاد عبد الرحمن شرف في التعليق

«كان قد اشتهر بالسخاء والجود لحد الغاية، وتدور على الألسن حكايات كثيرة عنه، فمن ذلك أنه لم يقصده أحد، ورجع خائباً. ومما يحكى أنه كان قد طلب من كتخداه بعض الدراهم لينفقها على من قصده، فقال له وراء المخدة كيس فيه دراهم، فأجابه أنما أنفقناه قبل هذا. ومما يحكى أنه كان لابسأ كركاً، فمنحه لبعض قاصديه وبقي بلا كرك فألمه البرد. وهذه وإن كانت تدل على كرم طبعه، وعلو أخلاقه إلا أنه أفرط فيها، وخرج عن المعقول. وإن إدارته اختلت لهذه الغاية، فأصابته الديون التي لا تحصى. وعلى كل كان رجلاً فاضلاً[2]»

ولعل في هذه ما يغني عن التوضيح أكثر، وهي من معاصرين متعددين وبينهم أمثال هؤلاء الرسميين، فظهرت ترجمته واضحة..

وقال في حديقة الورود:

«تم المجلد الرابع (من روح المعاني). فصادف ذلك عزل الوزير

---

(١) تاريخ لطفي ج ٨ ص ٧٤

(٢) هامش تاريخ لطفي المذكور ص ٧٤

السابق من الوزراء، الفائق بجوده وحلمه على الوزراء، بل من اتخذ السماحة غطاءً وفراشاً، حضرة أفندي علي رضا باشا[1]

وفي هذا ما يؤكد خصاله التي بينها عبد الرحمن شرف، فهو مشهور بجوده وحلمه، وكفى وهكذا نعته سائر المؤرخين.. ولكن الأمر الشخصي غير الإدارة الحقة في تسيير مالية الدولة، فقد اختلت كاختلال مالية الوزير، ولم يجد معها تدبير وكذا لم يتمكن من إدارة المجتمع إدارة حقة.

وعلى كل حال أن المدح للوزير، والثناء عليه، وكثرة القصائد في مدحه من شعراء عديدين أمثال العمري، والتميمي، وعمر رمضان، وعثمان بورس والشيخ عبد الحسين محيي الدين وغيرهم لم يمنع أن يدون عنه المؤرخون ما دونوا، ويسجلوا ما سجلوا مع تحاشي الكثيرين واستسلامهم للقوة والصبر على المكاره، وعلى ما حصل من مصاب

وفي تاريخ الشاوي أن الوالي علي رضا باشا كان بكتاشي الطريقة وبهذا يفسر ما جرى بينه وبين السيد محمد سعيد المفتي الطبقجه لي والسيد محمود الألوسي من مباحث في أبي طالب وإسلامه بحيث أدى ذلك إلى عزل الطبقجه لي عن الإفتاء ولعل هذا سبب ظاهري لإجراء التعديل والتدخل في المناصب، وكذا يفسر ما شاع عنه من تهاونه بالفروض الشرعية المفروضة وتأثير عقيدة البكتاشية فيه[2]..

هذا، وفي التاريخ الأدبي ذكرت من الأشعار ما له علاقة بوقائع العراق في أيامه.

---

(١) حديقة الورود

(٢) تكلمت على الطريقة البكتاشية في كتاب (التكايا والطرق في العراق) عند ذكر تكاياها في العراق.

وزارة محمد نجيب

في شعبان ورد بغداد الوالي الجديد، وبعد قدومه بأيام قلائل خرج علي رضا باشا. وخلص أمر العراق للوالي الجديد، فاستقر في منصبه[1] فتنفس الناس الصعداء، وكانوا قد ظنوا أن قد صارت بغداد ملكاً لعلي رضا باشا، وأنه لن يزول ملكه، أعطيت له طعمة جزاء الفتح فأخذوا راحة نوعاً، وتوسموا خيراً في الوالي الجديد وقد حدثت في أيامه أحداث عديدة ومهمة

ويهمنا هنا أن ندوّن عن حالة القطر إلى هذه الأيام ليكون كتمهيد لما جرى في بغداد أيامه. ولعلها تكون ميسرة، وبعض حالات الولاة قد عرضت نوعاً على المبحث الأدبي والسياسي في بغداد، ونكتفي بأقرب نص من معاصر يعين مزايا القطر أو قيمته بما فيها من خير أو شر.

قال في حديقة الورود «أشرقت إذ ذاك أنوار العدل على الرعية، ولمعت في العالم نوادر السيرة العمرية، بطلعة حضرة الوزير النجيب، المخصوص من الورع والتقوى بأوفر نصيب، الحاج محمد نجيب باشا » اهـ.

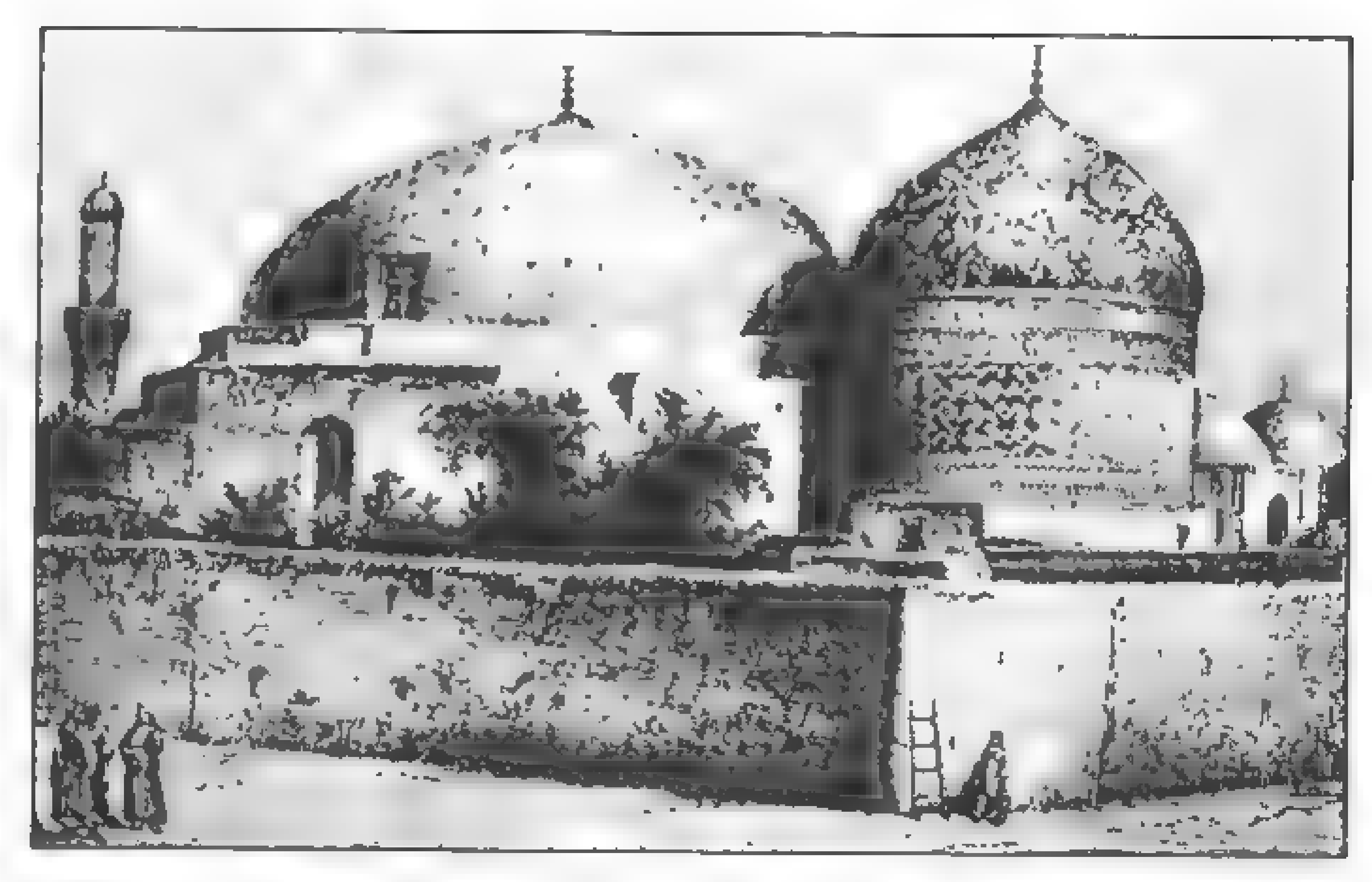
وجاء في تاريخ الشاوي أنه تركي الأصل وكان برتبة وزير، وهو من نفس أهالي استنبول ومن أشرافها القدماء أباً عن جد، وهم ذوو قدر وحشم، وكانوا ممتازين على أهالي استنبول لشرفهم وكانت سلاطين آل عثمان تزورهم يأتون إلى محلهم في الشهر مرتين أو أقل أو أزيد ولا يزورون غيرهم من الوزراء والأشراف والسكنة إلى أن قال

«كان ذا عدالة ومتانة وشجاعة يأخذ بحق المظلوم ولا تأخذه في الله لومة لائم» اهـ[2].

---

(١) التاريخ المجهول

(٢) تاريخ الشاوي ص ١٤



جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني - عن رحلة مدام ديولافوا

قتلة سليمان الغنام:

هو باني المسجد المعروف باسمه. قتله الوزير محمد نجيب باشا سنة ١٢٥٨هـ ورثاه السيد عبد الغفار الأخرس بأبيات. ولم نعرف سبب قتله.

وقعة كربلاء

كان التغلب في كربلاء قد استمر من أيام داود باشا، إلى آخر عهد علي رضا باشا اللاز، ولما ورد محمد نجيب باشا وعلم بذلك جهز جيشاً في ذي القعدة سنة ١٢٥٨هـ فحاصر البلدة. وفي ١١ ذي الحجة سنة ١٢٥٨هـ استولى عليها. وجاء تاريخ ذلك (غدير دم).

وجاء في التاريخ المجهول:

«بلدة كربلاء كانت عاصية على وزراء بغداد، فسيّر نجيب باشا العساكر إليها، وحاصرها وكان بها السيد إبراهيم الزعفراني[1]، أصله عجمي، وترأس على أوباشها وسفهائها، وأطاعه أراذل البلد والمفسدون وهم يتولون الحرب، وعامتهم من أيام داود باشا كانوا عاصين إلا أنهم يؤدون شيئاً قليلاً عوض خراجها، وكل من يعمل مفسدة من العراق، أو يأكل أموال الناس، يذهب إلى كربلاء ويجار بهؤلاء الأراذل حتى اجتمع عندهم مقدار عشرة آلاف مقاتل من أخلاف الناس وعصت أيام داود باشا، وزمان علي باشا أيضاً. فهم عصاة، بغاة، يؤذون . في كربلاء حتى أنهم أمسكوا مرة على أحد مجتهديهم السيد إبراهيم القزويني (القزويني)[2] ليلاً، ولم يطلقوه حتى أدى لهم أربعة آلاف قران من سكة

---

(١) من زعماء كربلاء ومن متعصبي الكشفية، من خدمة كربلاء في الروضة الحسينية، ولا تزال بقايا ذريته معروفة.

(٢) ترجمته في قصص العلماء، وهو ابن السيد محمد باقر معلم محمد علي ميرزا ابن محمد علي شاه وهو عم والد السيد حسن بن السيد آغا مير، ابن السيد مهدي ابن السيد محمد باقر المذكور، وترجمته في روضات الجنات أيضاً.

محمد شاه.. وكانوا مفسدين، ذوي جرأة على أعراض الناس، وأهل البلد يهابونهم، ويخافون على أنفسهم، لأنهم متى أرادوا، هجموا على بيت أحدهم ونهبوه، والحاكم الذي هو من أهل البلد طوع أيديهم ولا يعارضهم بما يفعل هؤلاء الباغون الفجرة

وفي أيام علي باشا حاصرها وخرج إليه سادات البلد، وعلماؤهم، وتكفلوا له بزيادة الإيراد، فارتحل عنهم، وكان ذلك الوزير لا يبالي بعصيانهم، ومرامه الدراهم، وقد أذن له سبعين ألف قران المثل اثنين عما يؤدونه إلى داود باشا، فرصي وتركهم

وهذا الوزير محمد نجيب باشا حاصرها ثلاثة وعشرين يوماً ويوم الجمعة التالي في الثاني من عيد الأضحى[1] جاء المشير إلى بغداد بفتحها عنوة (مبيناً) صورة الفتح، وكان قد تولى أمر العساكر فريق النظام كرد محمد باشا، وبدأ يرمي الأطواب (المدافع) من جهة واحدة، فلم يستقر أحد يقابل الأطواب إلى أن ثلم ثلمة من سور البلد (من محلة باب النجف)، ودخل العسكر من تلك الثلمة، فانهزم البرطارية[2] عسكر البلد وخرجوا منه، وشرذمة قليلة وأكثرها من أهل البلد دخلت حضرة العباس وبدأوا يرامون العساكر السلطانية، فوقف العساكر النظامية أمامهم، ورموهم دفعات بالتفك (البنادق) فتساقط أكثر الذين في الحضرة من الباغين من سكنة البلد وفقراء الناس، ونهب الجيش البلد مقدار أربع ساعات، ونادى منادي الأمان، والتجأ أكثر الناس إلى بيت السيد كاظم

---

(١) فتحت أول يوم من عيد الأضحى أو الثاني منه

(٢) البرطارية: وردت في التواريخ الأخرى سلطاسية أيضاً وهم نوع جند من الترك كانوا يستخدمون في أيام الدولة العباسية، والآن يطلقون على البلوش أو من كان على شاكلتهم، ولا يشترط أن يكونوا من القوم الذين تكوّنوا منهم في بادىء الأمر، وبنادقهم تسمى (شمخال)، ويعدون حيثُ وكان أرسلهم محمد شاه القجاري لمحافظة كربلاء

الرشتي المجتهد العالم المخالف لأصول مذهب الشيعة، ولقب مذهبه (بالكشفي)، أو (پشت سري) كما أن مذهب الشيعة الذين هم أقدم منهم يسمى بـ (البالاسرية)[1]، وهم الشيعة الأصولية، وكان بين الفريقين هؤلاء مقلدي السيد كاظم والشيعة الذين هم مقلدي الشيخ محمد حسن البالا سري[2] عداوة شديدة ظاهرة..

والذي قتل من ولاية كربلاء مقدار أربعة آلاف نفس، ومن العسكر مقدار خمسمائة نفر، ومن بعد فتحها أمسكوا السيد إبراهيم الزعفراني[3]، وجاؤوا به إلى بغداد، والسيد صالح من كبار البلد وكم واحد، فالسيد صالح نفوه إلى كركوك، وترجاه قونصلوص الإنكليز، وابن الزعفراني بقي أياماً قلائل في بغداد، وتمرض بالدق ومات وبعضهم عفا عنهم الوزير محمد نجيب باشا، وجعل عليهم والياً واحداً...» اهـ[4]

ومن هذا يعلم أشخاص الواقعة، وعواملها ومن أهمها ضعف الحكومة، وتسلط المتغلبين... وهذا شأن الحكومات الضعيفة... ولا يزال الناس هناك إلى اليوم يرغبون في حكم صارم لتكون يد الحكومة أقوى من الكل، وسلطتها نافذة على الجميع. فلم تقف حوادث هؤلاء

---

(١) البالاسرية، يطلقون على الأصولية، وأصل تسميتهم من الميرزا السيد علي الطباطبائي كان يصلي قرب رأس الإمام الحسين ﷺ وأن الكشفية يصلون في ما وراء الرأس فقيل لهم (پشت سرية) فغلب لقب بالاسرية على الشيعة الأصولية.

(٢) الشيخ محمد حسن البالاسري صوابه الشيخ محمد حسين صاحب الفصول وهذا العالم وكذا السيد إبراهيم القزويني كانوا يكفرون الكشفية وهم المعاصرون لهم ولي كتاب (عقائد الشيخية والكشفية) لا يزال مخطوطاً.

(٣) كان ممن تعهد قيادة أهل البلد في واقعة داود باشا السيد مصطفى بن الزعفراني، ولا أدري صلة هذا بذاك.

(٤) بياض في الأصل فلم يتم البحث.

عند هذا الحد، وقد ذاقوا حلاوة التعدي، فلا يفيد معهم تدبير، ولا يجدي تفاهم إلا السيطرة المكينة التي تنتصر للضعيف وتعدل بين الجميع والأسباب الظاهرية يتمسك بها كثيرون لتحقيق آمالهم المكتومة..

وذكر هذه الواقعة السيد عبد الغفار الأخرس[1] ويحاول كتّاب اليوم أن يكسبوها صبغة سياسية من إيران أو أنها دينية وجل ما هنالك أن المتمردين استبدوا بها استفادة من ضعف الدولة لا أكثر ولا أقل

وجاء ذكر هذه الواقعة في كتاب هداية الطالبين لكريم خان الكرماني، وبين أن الجيوش كانت تحترم بيوت الشيخية، وكل من التجأ إليهم كان آمناً على نفسه وماله، ولم يقتل أحد من أصحاب السيد كاظم الرشتي مع أن الذين التجأوا إلى المشاهد قد قتلوا بلا رحمة، ويقولون إن الباشا دخل بجواده في المكان المقدس وفي تاريخ سيل المعروف (سيلي) من البهائية تفصيل وتعيين لوجهة نظرهم وبين أنها جرت في ليلة عرفة من ذي الحجة سنة ١٢٥٨هـ - ١٠ كانون الثاني سنة ١٨٤٢م وفيها قتل ٩ آلاف شخص وسلب ما في الحرم مع من عاش

وجاء أن محمد شاه كان مريضاً فلم يشأ رجال دولته إخباره، فلما علم حنق، وعزم على أخذ الثأر إلا أن التدخل السياسي من روسيا وبريطانيا هدأه..

وفي كتاب قرة العين في تاريخ الجزيرة والعراق وبين النهرين تأليف محمد رشيد السعدي أن الواقعة جرت في التاريخ المذكور قال: جاهر أهل كربلاء بالعصيان فأرسل والي بغداد محمد نجيب باشا عليهم

---

(١) ديوان الأخرس ص ١٦٨

الجنود المظفرة العثمانية فانتصروا على العصاة وقتلوا رؤساءهم وعاد الأمن والسكينة» اهـ[1].

وفي تاريخ الشاوي جاء تفصيل أيضاً إلا أنه لم ينسبها للعصيان من الأهلين، بل بيّن أن بنتاً من شهرادات الدولة القجرية قد تعرض بها العصاة. واختطفوها وفعلوا ما فعلوا بها. وفي نتيجة المخابرات السياسية اضطرت الدولة على اقتصاء على عصيان هؤلاء اتخذت هذه الحادثة وسيلة أنذرهم الوالي أن يسلموا الأشقياء تنفيذاً للإرادة السلطانية فأبوا. ومن ثم ضربهم وفصل ذلك[2] والحال أن ما ذكره كان أيام داود باشا.

ولا يهمنا تفصيل الواقعة بأكثر من هذا ولكنا لا نعلم الحاكم الذي عينه الوزير لإدارتهم. ومهما يكن فلا يفترق عمن ذكروا. وعندي كتاب لأهل كربلا ذكروا فيه تفصيل الواقعة أيام داود باشا وكان مبدأ العصيان سنة ١٢٤١هـ ودام إلى المحرم سنة ١٢٤٢ وهو المسمى (نزهة الإخوان في واقعة بلد المقتول العطشان) لم يعرف مؤلفه. ومنه نسخ عديدة. عندي نسخة منها. أولها: الحمد لله الذي نصب أولياءه الخ ويبين مبادىء العصيان ورجاله وحروبه في وقائع. وهذا يفسر ما جرى مؤخراً أيام نجيب باشا. وقد أشرت إلى ما فيه أيام داود باشا في حوادث تلك السنة. إلا أن التاريخ المجهول المؤلف أوضح الحالة وعلاقة الوزراء من أيام داود باشا إلى أيام محمد نجيب باشا وحدوث هذه الواقعة بالاستيلاء على المتمدين إلا أن هذا الكتاب يعين أشخاص العصيان أيام داود باشا.

---

(١) قرة العين في تاريخ الجزيرة والعراق وبين النهرين ص ١٢٥

(٢) تاريخ الشاوي ص ١٤

حوادث سنة ١٢٥٩هـ - ١٨٤٣ م

القرعة في الموصل:

تأسست أيام محمد باشا اينجه بيرقدار. صيق على الموصل، فثارت ثائرة الأهلين وعارضوا الجندية فأرسل إليهم الوالي أحد أعوانه قاسم أفندي ليدعوهم بالتي هي أحسن، فقاموا في وجهه وقتلوه، فأحضر محمد باشا عشرين مدفعاً صوبها على المدينة، وأرسل بعض الكتائب النظامية، فدخلوا المدينة ونهبوا أسواقها، وسفكوا دماء الأبرياء، وألقي القبض على بعض الوجوه ونفوا إلى البصرة. ومن ثم أذعن الأهلون قسراً، وقبلوا بالجندية، ولكنه تجاوز حدود نظامها

السيد كاظم الرشتي مؤسس الكشفية:

توفي السيد كاظم الرشتي في ٨ ذي الحجة سنة ١٢٥٩هـ - ١٨٤٤م ذكرته في كتاب تاريخ (عقائد الشيخية والكشفية)

وعقائد الكشفية هي عقائد الشيخية موسّعة في شرح المطالب انتشرت في أنحاء عديدة من العراق وإيران وآل الرشتي معروفون في كربلاء هم من ذرية السيد كاظم. ومنهم في إيران

حوادث سنة ١٢٦٠هـ - ١٨٤٤ م

وفاة والي الموصل: (محمد باشا اليبرقدار)

كان هذا تركي الأصل من مدينة بارطين في قسطموني خدم الجندية في مصر وغيرها ثم رحل إلى الشام مكث بها مدة طويلة، فجمع له أصحاباً وأعواناً شخص بهم إلى ديار بكر، ثم إلى الموصل، ونزل بظاهر البلد قريباً من باب سنجار، فخرج عليه الأهلون وطردوه، ولما أنهي خبره إلى والي بغداد علي رضا باشا اللاز أرسل إليه فاستقدمه

سنة ١٢٤٩هـ - ١٨٣٣م وولاء متصرفية كركوك حيث بقي زهاء سنتين وشيّد فيها قصراً منيعاً جعله دار الحكومة. بناه على نهر شطرلي

ولما عزل محمد سعيد باشا آل ياسين أفندي من الموصل سنة ١٢٥١هـ - ١٨٣٥م فوضت إليه ولاية الموصل وكانت الولاية مختلة الأمن، أصابها القلق العظيم من الإمارات المجاورة لا سيما الروندزي. فتمكن من التغلب على الصعاب، وتأسيس الراحة والأمن بعد القضاء على إمارة كور باشا الروندزي وعلى إمارة العمادية، وأسس الفرعة بالوجه المذكور...

ومن مؤسساته:

١ - تعمير دار الحكومة ألزم التجار والأهلين بالإعانة لها

٢ - تعمير الثكنة العسكرية

٣ - المستشفى

٤ - جامع سوق الحنطة

٥ - جدد مزار دانيال النبي

٦ - نظم أحوال الجند، وأنشأ لهم الأفران العديدة

٧ - اهتم بناية معمل لصنع المدافع والقنابل والبارود وغيرها من الأسلحة وجلب صناعاً حاذقين فعمل ما يزيد على الثمانين مدفعاً، واليوم يرى منها مدفعان أمام الثكنة العسكرية

وكان محمد باشا شديداً فيما يرومه، قاسياً على العصاة، فظاً شرساً مع الأهلين توفي سنة ١٢٦٠هـ على ما جاء في تاريخ لطفي، وفي تاريخ الموصل للأستاذ الصائغ سنة ١٢٥٩هـ - ١٨٤٣م، وهو أول والٍ تركي أعقب إدارة المماليك ولعل شدته كانت لقطع آمال النهضة عليه والقيام ضدّه ومن ثم انحطت العلوم العربية والمدارس الدينية من

جراء زوال من يجيز المؤلفين على التأليف العربية، والحاجة إلى المعاش بإرضاء الحكومة في معرفة لغتها، واضطراب إدارة الأوقاف وإهمال شؤونها، وفتح المدارس الحديثة لاتباع التدريس الحكومي[1]

والملحوظ أن الوزير علي رضا باشا كان استخدمه قائم مقامه في حلب. ومن المستبعد أن يكون مجيئه إلى الموصل بالوجه المنقول كما يفهم مما أوضحنا سابقاً

ولاة الموصل واليزيدية:

بعد وفاة البيرقدار وجهت ولاية الموصل إلى شريف باشا برتبة وزارة. وهذا هاجم سنجار في هذه السنة. ولم تقف حوادثهم عند كور باشا وما أوقع بهم. ولعل أهل سنجار لم تصبهم تلك الحوادث ولم تصلهم نارها، فامتنعوا بجبالهم وهكذا أعقبت هذه الواقعة صولة حافظ باشا والي الموصل أيضاً، فجرت مذابح دموية قاسية. وفي سنة ١٢٦١هـ هاجمهم محمد باشا الگريدي والي الموصل أيضاً فأفحش في قتلهم وقبض على زعيمهم الشيخ ناصر. وكان هذا الوالي من أقسى ولاة الموصل عليهم. وهكذا فعل طيار باشا والي الموصل في سنة١٢٦٢ هـ ولم تنقطع وقائعهم ولا هدأت ثورتهم إلى أيام مدحت باشا[2]

أوراق الطمغا:

أحدثت في هذه الأيام الطمغا (التمغا)، ولم يسبق أن استعملت في المعاملات من بيع وشراء وما ماثل من عقود بأن تكتب بأوراق رسمية ذات قيمة، وهي المسماة بـ (أوراق الطمغا)

(١) تاريخ الموصل ج ١ ص ٣١٤ ومخطوطات الموصل ص ١٧ و ٢٠٤ وتاريخ العظمي ج ٧ ص ٨٥.

(٢) تاريخ الموصل ج ١ ص ٣١٨ وتاريخ اليزيدية

ثم إنه صدرت الطوابع، فصارت تتداول[١].

الباب والبهائية

من مدة طويلة فقد العلماء الدعوة إلى العقيدة وتباعدوا عن الاتصال بالأهلين. وبذلك أهملت عقائد الشعب أو قل الاتصال بها. الأمر الذي دعا أن يتصل دعاة آخرون من المبتدعة. وبذلك كانت لهم العلاقة مكينة بالأهلين.

وكان نادر شاه ضيق على العلماء وأحرجهم كثيراً لما رأى من مخالفتهم سياسته، ولم يتعاونوا معه. وبعد نادر شاه تنفسوا الصعداء، ورأوا احتراماً من الملوك والأمراء إلا أنهم فاجأتهم عقائد كان سببها إهمالهم العلاقة بالشعب وإرشاده. فظهر الشيخية أتباع الشيخ أحمد الأحسائي، ثم الكشفية. ثم ظهر في هذه الأيام (الباب) وهو رئيس نحلة (البابية) ومبتدعون آخرون منهم (البهاء).

كان ظهور الباب (علي محمد الشيرازي) في إيران بتاريخ ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٦٠هـ ـ ١٨٤٤م، فمال إليه كثيرون. ولما أعلن دعوته قامت الدولة الإيرانية في وجهه، وكذا العلماء وأعلنوا تكفيره وعارضوه بشدة إلا أن الكثير من الإيرانيين تابعوه لأسباب سياسية عدا الدعوة، وأسباب أخرى وآخرون تبعوا العلماء فكانوا شطرين. وانتشرت الدعوة في إيران. وغالب المتصوفة منهم.

وفي هذه السنة كان مقدّمهم في بغداد محمد بن شبل العجمي ويبلغ من معه نحو خمسين أو ستين رجلاً وهذا الداعية كان من أتباع السيد كاظم الرشتي. حبسه الوزير نجيب باشا كما حبس المرأة (قرة

---

(١) تاريخ لطفي ج ٨ ص ١٢.

العين) في بيت المفتي (هو أبو الثناء الآلوسي) فوجدها أثناء المباحثة معها كافرة فتركها. وبعد ذلك أطلقوها وسيّروها إلى بلاد العجم، وسيروا محمد الشبل إلى الدولة[1].

كتب الوزير بخبره إلى استنبول بأن أهل كربلاء والنجف وعلماءها لم يقبلوه فجيء به إلى بغداد، وكتب محضر من علماء بغداد في أمره بعد أن دوّنوا ما ذكره، فقدم إلى استنبول وسجن هو في بغداد فاستطلعوا رأي الدولة فيه. وعلى هذا أرسل، وسجن في الترسانة العامرة (دار صناعة السفن) وصدرت الإرادة السنية بذلك كما فهم من الأوراق الرسمية[2].

وغالب من تبعه كان من الكشفية. وإن قرة العين متأثرة بغلاة التصوف. وتعد هذه المطالب من أول ما عرف عنهم. وكان قد ولد الباب في أول المحرم سنة ١٢٣٥هـ - ١٨١٩م وهو متأثر بالكشفية. التف حوله جماعة ناصروا هذه الدعوة. ومال إليه استغلاليون في الدين والسياسة فرأت دولة إيران خطراً فيه يهدد سلامتها. ومن ثم حدثت معارك. وبعدها أمرت أن يقتل هذا الداعية فقتل رمياً بالرصاص في تبريز بتاريخ ٢٧ شعبان سنة ١٢٦٦هـ - ٨ تموز سنة ١٨٥٠م، فلم تطل دعوته أكثر من ست سنوات. وله (كتاب البيان)، ومجموعة مخطوطة قد حوت غالب رسائله. كتبها كاتبه الخاص محمد حسين بن عبد الله من كتاب وحيه. وعندي هذه المجموعة بخطه. ومن كتاب وحيه ميرزا أحمد القزويني.

ولما قتل عاد الكثير من أشياعه إلى الإسلام لتحقق كذب دعوته، وأصر آخرون على ما عندهم إلا أنهم تشتتوا. ومن بقي منهم كتم عقيدته

---

(١) التاريخ المجهول بتلخيص.

(٢) تاريخ لطفي ج ٨ ص ٨٤.

وأظهر التشيع. وآخرون هربوا إلى العراق باسم الزيارة فتركوا أثراً.

ومن هؤلاء حسين علي بن عباس النوري ورد العراق في غرة المحرم سنة ١٢٦٧هـ ـ ١٨٥٠م كان استأذن في سفارة طهران للتوجه إلى العتبات بقصد الزيارة فبقي في بغداد وكان يختلف إلى السليمانية ومنها إلى جبل سرگلوا ويعود إلى بغداد وبالنظر إلى المخابرات الرسمية وشكوى إيران في أنهم لم يهدأوا من إلقاء بذور الفتن قررت الدولة العثمانية تبعيده ومن معه بعد أن أقام ببغداد إحدى عشرة سنة وبضعة أشهر في خلالها درس ابنه عباس أفندي المسمى أخيراً بـ (عبد البهاء) العربية على العلامة عبد السلام الشوّاف.

وفي سنة ١٢٧٩هـ أظهر دعوته في بغداد إبان تفيهم وجمعهم في (الحديقة النجيبية) وتسمى اليوم بـ (المحيدية) أعلن أنه ناله الظهور أي صار (إلهاً) ووضع (عقيدته الحديثة) بزعم أن الباب بشر به وهي لا تختلف عن عقيدة أهل الحلول والاتحاد والوحدة أو أعاد إلى الذاكرة دعوة أهل الإبطان عيناً في تعطيل الصفات أي أنهم عندهم الباري ليس له وجود بالمعنى المعروف ولا صفات وإنما يظهر ذلك في الأشخاص، وأن عقيدة الباطنية على هذا بل إن هذه لا تختلف عن تلك قبلها عيناً باسم جديد وسمى نفسه (البهاء) ومنه اشتقت البهائية وصار ابنه بعده يدعى عبد البهاء.

وعقيدتهم تلخص في عبادة الأشخاص أو عقيدة التجلّي الناجمة من وحدة الوجود ومن أصول عقائدهم قيام قائمهم ومتابعة دعوته وهي عدم التقيّد بالرسوم الدينية أو (التكاليف الشرعية) وهي (عقيدة الباطنية) و (غلاة التصوف) على هذه العقيدة فلا يختلفون في عقيدة عن هؤلاء فالعقيدة هي عين عقائد الإسماعيلية والباطنية الآخرين من غلاة وغيرهم وهكذا كان بدعوته يريد أن يحقق ما قيل في المهدي من أنه

يأتي بدين جديد وهو على العرب شديد. نفي إلى استنبول ومنها إلى أدرنة وصلوا إليها في ٢٨ جمادى الثانية سنة ١٢٨٠هـ ومن ثم انفصل منه (صبح الأزل) وكان اختاره الباب ليكون داعية. وهو أخو البهاء فعارضه البهاء، وصرف الدعوة إلى نفسه بداعي أنه كان مستودع الأمر، وأن مستقر الدعوة هو البهاء، دون صبح الأزل، فاستغلها لنفسه.

ومن ثم حصلت بينهما مشادة فأبعدوا من أدرنة في بداية سنة ١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م فجعل صبح الأزل واسمه (ميرزا يحيى) في ماغوسه من (جزيرة قبرص). وأما البهاء وأتباعه فقد نقلوا إلى (عكا) فأقاموا بها. والبهاء مالت إليه الرغبة لقرب اتصاله بإيران واستمر في دعوته. وتابعه الباطنية وقسم كبير من الكشفية. والغربيون حاولوا الاستفادة من هذا الانشقاق فنصروهم. وكانت الإشادة بذكرهم تأييداً لسياسة التفريق فظن الناس أنه جاء بعقيدة جديدة. وهي قديمة جداً لا تختلف عن عقائد الإسماعيلية وغلاة التصوف.

توفي البهاء في ٢ ذي القعدة سنة ١٣٠٩هـ - ١٦ أيار سنة ١٨٩٢م وله مؤلفات منها (الإيقان) و (جواهر الأسرار)، و (الأقدس)، و (الطرازات)، و (الإشراقات)، و (الألواح)، و (الكلمات المكنونة) وغير ذلك. ويشك كل الشك أن يكون كتب هذه الكتب كلها. وإنما كتب له ابنه (عباس أفندي). وكان خلفه. وسمى نفسه (عبد البهاء) وهو أقدر من أبيه بكثير بل هو الذي أوجد والده وأذاع شهرته. وغير دعوته وعدّل فيها فجعلها عامة بعد أن كانت تهدف الانفصال عن العرب بدين جديد.

أظهر عبد البهاء مؤلفات عديدة له. وفي أيامه اكتسبت نشاطاً بما أذاع عن والده وعلى لسانه. وتوفي في ٢٨ تشرين الأول (نوفمبر) سنة ١٩٢١م فخلفه شوقي وهو المعروف بـ (الرباني). ابن ضيائية خانم بنت

عند البهاء. ووالده ميرزا هادي أفنان الشيرازي من نفس أسرة حسين أفنان. وهذا جاء بعد الاحتلال البريطاني إلى بغداد وشغل مركزاً مهماً، وبسببه انتشر البهائيون في بغداد. وحسين أفنان بن فروغية خانم بنت البهاء.

وعلى كل لم تكن عقيدتهم جديدة بل تستند إلى (الأفلاطونية الحديثة) وتسمى الإشراقية. وهي مادية صرفة تعتقد بأن العالم هو الله. والباطنية وعلاقة التصوف على هذه العقيدة. وكل ما دعوا إليه مذكور في كتب غلاة التصوف.

وأهم مباديهم الوحدة والاتحاد والحلول وإنكار التكاليف ونفي صفات الباري وأنها لا تظهر إلا في التجلي أو الإشراق في الأشخاص ومن هنا نشأت (عبادة الأشخاص) فلا تختلف عن أهل الإبطان بوجه وافترقوا عن الشيخية في أن الحلول والإشراق لا يستدعي أن يكون في الأئمة بل يصح أن يكون في غيرهم. وبذلك قبلوا فكرة التصوف دون الشيخية. وكلهم (عبادة أشخاص) واعتقاد الألوهية فيهم. وأن الباري لا يظهر ولا يعرف إلا في أمثال هؤلاء الأشخاص.

كتبت رسالة في عقائدهم وتاريخ ظهورهم وتطور معتقداتهم. وهنا ذكرت العلاقة والأثر والتأثير في حينه بالقطر العراقي.

حوادث سنة ١٢٦١هـ - ١٨٤٥ م

الطبقجه لي ومدرسته:

آل الطبقجه لي من الأسر العلمية المعروفة ببغداد. منهم السيد أحمد الطبقجه لي كان مفتياً ببغداد، وله شرح كلمة التوحيد والأجوبة الحكمية على الأسئلة الهندية. توفي سنة ١٢١٣ هـ. وإن ابنه السيد محمد كان من العلماء أيضاً وله شرح على كتاب والده في كلمة

التوحيد. وجعل داره مدرسة للعلوم وجعل المتولي عليها والمدرس فيها الشيخ داود رأس أسرة آل الشيخ داود تكلمت عليها في كتاب المعاهد الخيرية. وتوفي السيد محمد سنة ١٢٦٥هـ بعد وقف المدرسة بسنة واحدة ولم يعقب وسيأتي الكلام على السيد محمد سعيد المفتي

حوادث سنة ١٢٦٢هـ ـ ١٨٤٥ م

الوباء:

في هذه السنة سنة (١٢٦٢ هـ) وقع الطاعون ببغداد، وفي كثير من الأنحاء العراقية.

وفيات

وذكر في حديقة الورود من وفيات هذا الطاعون

١ ـ عبد الفتاح الشواف وهو مؤلف حديقة الورود في مدائح أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسي كتبها في حياة الأستاذ أبي الثناء. وهي أول كتاب كتب في حياته وتعد من خير المراجع في تاريخ العراق الأدبي والسياسي وغالب الوقائع في أيامه ذات علاقة به فجلا السيد عبد الفتاح صفحة من هذا التاريخ. توفي في شوال هذه السنة رحمه الله تعالى.

هذا. ووقفت الحديقة عند كتب فأتمها الأستاذ أبو الثناء. ثم إنه لم يستطع الدوام عليها فأكملها أمين فتوى إبراهيم بن بكتاش واستمر فيها قليلاً فتم المجلد الأول من هذا الكتاب الجليل

ثم إن السيد نعمان خير الدين الآلوسي ابن أبي الثناء ألحقه بمجلد ثان جاء صفحة متممة لأدب عصر أبي الثناء الآلوسي وفيه بيان صلاته بالعلماء الأفاضل والأدباء الأكابر وحتصر الحديقة الأستاذ عبد السلام

الشواف أخو عبد الفتاح الشواف وجد الأساتذة محمود عزت ومصطفى عزت

أوسعنا البحث في (التاريخ الأدبي في العراق)، وفي كتاب (ذكرى أبي الثناء) بمناسبة مرور مائة سنة على وفاته

٢ ـ العلامة السيد إبراهيم القزويني في كربلاء. توفي في الوباء في هذه السنة. وله ذكر في حديقة الورود

حوادث سنة ١٢٦٣هـ ١٨٤٧ م

في هذه السنة:

١ ـ أنعم السلطان على الوزير نجيب باشا بسيف مرصع، ثمين لما قام به من خدمات، تلطيفاً له. أرسله مع أحد القرناء (الندماء) وهو راغب آغا[١]..

٢ ـ قدمت لمراقد الأولياء الكرام ستائر تغطى بها المشاهد. أرسلت إلى بغداد مع ابن الوالي نجيب باشا وهو جميل بك[٢] ويلاحظ أن نجيب باشا له ابن آخر هو أحمد شكري بك[٣]

٣ ـ أبطل بيع الرقيق والأسير بفرمان سلطاني[٤]

٤ ـ بدرخان بك متسلم قضاء الجزيرة التابع للموصل كان قد عاث بالأمن، وتجاوز على الأهلين، ولم يلتفت إلى النصائح، ولا أصغى للتنبيهات فاقتضى تأديبه، فسيّرت إليه الحكومة قوة عسكرية بقيادة

---

(١) تاريخ لطفي ج ٨ ص ١٣٢
(٢) تاريخ لطفي ج ٨ ص ١٣٣
(٣) تاريخ لطفي ج ٨ ص ١٣٧.
(٤) تاريخ لطفي ج ٨ ص ١٣٣

عثمان باشا.. فقضى على عائلته وكان متحصناً في مواطن منيعة جداً..

معاهدة أرضروم
(بين إيران والعراق)

هذه المعاهدة عقدت بين دولة إيران (الدولة القجارية) أيام محمد شاه وبين الدولة العثمانية أيام السلطان عبد المجيد في أرضروم وكانت في ١٣ جمادى الآخرة من سنة ١٢٦٣هـ ـ ١٨٤٧م[1] وقد غلط من قال كانت سنة ١٢٦٤ هجرية وتستند إلى معاهدة ١٩ ذي القعدة سنة ١٢٣٨هـ ـ ١٨٢٣م المعقودة في أرضروم أيضاً بين إيران (الدولة القجارية) أيام فتح علي شاه وبين الدولة العثمانية أيام السلطان محمود الثاني وهذه تستند أيضاً إلى معاهدة ١٧ شعبان سنة ١١٥٩هـ ـ ١٧٤٦م أيام نادر شاه وفيها تقرير الحدود كما كانت أيام السلطان مراد الرابع بموجب المعاهدة المعقودة في أوائل شوال سنة ١٠٤٩هـ ١٦٤٠م

والمعاهدة الأخيرة غيرت كثيراً في حدود (رهاب) أو (رهاو) ووردت في المعاهدة بلفظ (دهاب) غلط[2] فجعلت شرقيها البلاد الجبلية لجهة إيران وغربيها للعراق كما منحت (المحمرة) وميناءها لإيران وكذا (جزيرة الخضر) و (لكركة) والسواحل الشرقية من شط العرب ابتداء من المحمرة إلى مصب شط العرب في البحر وتركت الأراضي المذكورة بعشائرها لإيران كما أن إيران تركت كل دعوى في لواء السليمانية

---

(١) معاهدات عمومية مجموعة سي ج ٣ ص ٥

(٢) رهاب بمعنى الماء العذب أو المفيد كانت قرية صغيرة في صحراء بالقرب من جبل بانبرده من جبال درتنك ساقه أحد أمراء رهاو نحو سنة ١١٨٠ هـ أو ١١٩٠ هـ وبنى فيها جامعاً ودار حكومة واتخذها مقر إمارته فصارت لواء رهاو بدل (لواء درتنك) وإليها ينسب آل الرهاوي

وبلدته وتعهدت بأن لا تتدخل في تملكها في ذلك ولا تتعرض به وقرر فيها أن يشرع عقب عقد المعاهدة بأمر (تحديد الحدود). وأما العشائر فمنع كل تجاوز يقع منه، وأن دولتها مسؤولة عنه وأما العشائر الذين لا تعرف تابعيتهم فيجبرون في اتخاذ موطن، وأن يكونوا تابعين إحدى الدولتين.

وباقي المطالب إقرار لما جاء في المعاهدات السابقة من ألفة وأخوة ورعاية للحقوق الجوارية ومن مراعاة زوّار واتصال تجاري . وما ماثل.

وهذه المعاهدة تمت بعد مخابرات سياسية لسنين عديدة. وعندي جملة كبيرة من هذه المخابرات لا تزال مخطوطة

وبهذه المعاهدة رفع النزاع المستمر من أجل بابان ومن أجل عشائر كعب وعشائر الحدود الأخرى بل كانت السبب في القضاء على بعض الإمارات المتقلبة بين الطرفين بل إن الدولة العثمانية استغلتها للقضاء على عائلة بابان ولكن إيران لم تتمكن إلا بعد حين

تحديد الحدود

(بين إيران والعراق)

إن تحديد الحدود شرع فيه بعد تصديق المعاهدة المذكورة أعلاه مباشرة وتكونت لجنة لهذا الغرض وكانت العشائر والإمارات المجاورة تحدث القلاقل بلا علم من الدولتين بسبب النزاع على المراعي أو لضرورة كانت تراها، فتحدث معارك.

وربما كان بعض هذه بإيعاز عند اشتداد حالة التوتر بين إيران والعراق فاشتدت الحروب وكادت تقضي على الدولتين دون جدوى مما أدى إلى ضعفهما ولما رأت الدولتان أن ذلك مضرّ بمصالحهما تقاربتا لما

عرفنا من نتائج وخيمة إلا أن محمد علي ميرزا حاول أن يعيد إلى الأذهان وقائع نادر شاه أو حوادث عباس شاه فلم يفلح. وبعد وفاته سنة ١٢٣٧هـ - ١٨٢١م هدأت الحالة وتم الصلح بين إيران والعراق سنة ١٢٣٨هـ - ١٨٢٢م وأكد هذا الصلح بمعاهدة سنة ١٢٤٥هـ - ١٨٢٩م[1].

عزمت الدولتان على تحقيق الصلح بعد مخابرات سياسية كثيرة[2] فعقدتا المعاهدة على أن يجري تحديد الحدود فوراً، وأن يبدأ من خليج فارس ويمضي التحديد حتى يصل إلى أرضروم (أرزن الروم) فوقع ذلك فعلاً واختار العثمانيون الفريق درويش باشا وبصحبته خورشيد بك كاتباً وأوعز إلى الأخير منهما بتدوين ما يعرض من مواطن ومن سكان وأحوال اجتماعية وصناعة وعشائر وما ماثل. واختارت إيران أحد رجالها وعهد إلى أحد رجال الروس والآخر من رجال الإنكليز فقاموا فعلاً وأجروا التحديد إلا أنه لم يتم لما حدث من أوضاع وحالات طارئة.

وإن الفريق درويش باشا كتب تقريراً بالتحديد طبع عدة مرات إلا أنه مختصر بالرغم مما حوى من فوائد. وإن خورشيد بك صار (باشا) كتب (سياحتنامة حدود) فجاء كتابه هذا مكملاً لذلك التقرير ولم نقف على مثلهما في إيران فكانا خزانة معلومات في أحوال العراق لم يتركا فيهما شاردة ولا واردة فيما كان عليه العراق وما هو عليه في أيامهما أما ما حدث بعد ذلك فمعلوم. ولعل علاقة خورشيد بك بالعراق دعت إلى هذا التفصيل.

أدركنا الوصفين نزاع الحدود ومداه، وحالة القطر، فكشفا ما لم

(١) رحلة المنشي البغدادي ص ٩ وتاريخ العراق بين احتلالين ج ٦

(٢) عندي مجموعة خطية باللغة التركية مشتملة على هذه الوثائق والمخابرات السياسية.



ناصر الدين شاه ـ عن رحلة مدام ديولافوا

يكن معروفاً، وعينا تاريخ النزاع ومولدته، فعلمنا صفحات كثيرة عن العراق، وأدركنا أن لا أمل في توسيع الحدود أو الاشتغال بأمر لم يؤد إلى نتيجة صالحة

دام تحديد الحدود إلى نهاية سنة ١٢٦٨هـ - ١٨٥١م من أيام نجيب باشا إلى أيام نامق باشا الكبير ومن ثم اشتدت الحالة فحدثت الحرب مع روسيا فوقف العمل ولم يتقرر الحد بين إيران والعراق وقبيل الحرب العامة الأولى أي في سنة ١٩١٣م أعيد النظر في التحديد فلم يسفر عن نتيجة حاسمة

وإذا كانت الحدود لم تحسم لحد الآن فقد ترك لنا هؤلاء الأفاضل معلومات جمة لم يتعلق بالقصر في مختلف أوضاعه إلى أيامهما وهذه لم تظهر في حينها وإنما كشفت عنها الأيام وحدنا مثل هذه ولم نر إلا القليل من نوعها

ومن جهة أخرى حدث عما يجاور الحدود العراقية من أصقاع وعشائر بحيث لم يبق خفاء وزال الإبهام ومن ثم عرفنا الأوضاع فانكشفت انكشافاً تاماً

وفي أيام الدولتين الحاضرتين تم التفاهم من طريقه وجرت محاولات لتحديد الحدود وأن ينهي أمرها، فلا يبقى نزاع أو ما يسمى بالنزاع فقد ترك الفريقان الآمال أو لم يجدا ما كان يشعر به من كان قبلهما فحصل التفاهم ولم يشأ أحد أن يعيد التجربة

وهل رأينا من كتب مثل ما كان كتب في تقرير درويش باشا وخورشيد باشا بأمل اتصال المعرفة بين أيامنا؟ لم نقف على شيء من ذلك أو لم يظهر. ومن جهة أخرى لم نعثر على ما كتبه الإيرانيون في تحديد الحدود لنعرف وجهات النظر، أو ما توسع فيه كل فريق كما أنهم لم يكتبوا عما جرى في هذه الأيام.

والملحوظ أن عشائر الحدود وإمارة بابان وكعب كل هذه كانت تثير القلاقل. ويعرف هذا من وقائع العراق وحوادثه في مختلف الأزمان. ومن ثم تتعين الأوضاع

حوادث سنة ١٢٦٤هـ - ١٨٤٧م

غلاء وقحط:

قلّت الغلال وارتفعت الأسعار في هذا العام. وفي سواد العراق من نزع أولاده لزيادة القحط[١]. ولا يستغرب وجود غلاء وقحط، فالوسائط النقلية والمخابرات الخارجية تكاد تكون مفقودة، ومثل هذه لا تؤدي إلى سد الخلل. وكثيراً ما يقع أمثالها في ممالك عديدة حتى في العراق الوافر الخيرات والمزارع

فيلق العراق والحجاز:

في هذه السنة تأسس فيلق باسم (فيلق العراق والحجاز) وجعل (مشيره) عبدي باشا ناظر المدارس العسكرية، ودعي إلى استنبول حمدي باشا فريق بغداد، وأرسل مكانه عزمي باشا برتبة فريق[٢]

حوادث سنة ١٢٦٥هـ - ١٨٤٨م

البصرة - الأسطول:

في هذه السنة أمرت الدولة بلزوم إصلاح الأسطول في البصرة من جديد، وبعثت بـ (پير بك) من أمراء البحرية، مع بعض الضباط الموظفين للشروع بالعمل[٣]

---

(١) المسك الأذفر ص ١٣٦

(٢) تاريخ لطفي ج ٨ ص ١٦٥

(٣) تاريخ لطفي ج ٨ ص ١٧٧.

عزل الوالي محمد نجيب باشا:

يوم الجمعة ٢٢ شعبان سنة ١٢٦٥هـ عزل الوالي عن بغداد ومنهم من قال كان عزله في رجب. وقد مرّ من حوادثه ما يبصر بما قام به من الأعمال إلا أن الوثائق ليست كافية للقطع بما هو معروف عنه من الحوادث، الأمر الذي اضطرنا أن ننقل ما قاله المؤرخون فيه. جاء في مرآة الزوراء:

«خلف علي رضا باشا اللاز في ولاية بغداد وكان والي الشام وهو قادر على إيقاع ما هدد به لمهارة الكافية في ضبط الإدارة وتمشية الأمور فهو من الوزراء الذين اختارتهم الدولة للمهمة. مآثره لا تنكر. ولكنه كان قد بلغ في أيامه الضم والعسف بالأهلين حدّاً فائقاً. تجاوز طوره وكان يحمل أفكاراً بالية الأمر الذي جعل الدولة لا تنتفع منه، وكذا الأمة..» اهـ[1].

ويريد أن يقول إن تمسكه بالطريقة القادرية تمسكاً قوياً صده عن النظر في أمور الدولة ومال بكلّيته إلى نقيب الأشراف السيد علي الكيلاني تعلق به تعلقاً كبيراً ولحق أنه ساعد على تنظيم أمور الوقف القادري، فنهج السيد علي نهجاً معقولاً، فصار يتمتع آل الكيلاني من هذا الوقف إلى اليوم ومن الغريب أن يشير الأستاذ سليمان فائق إلى ذلك في حين أننا نراه يميل إلى (النقشبندية) كثيراً وقد قبلت القادرية.

وفي سجل عثماني أنه من الكرج، تخرج من الأقلام، وتولى الدفترية وغيرها.. وتقلّب في مناصب عديدة وبعد أن ولي منصب الشام مدة وجّه إليه منصب الوزارة ببغداد في ربيع الأول سنة ١٢٥٨هـ

---

(١) مرآة الزوراء ص ١٣٥

وعزل في رجب سنة ١٢٦٥ هـ، وتوفي في رجب سنة ١٢٦٧هـ ودفن بأبي أيوب، وكان مدبراً قديراً، ذا ثروة[1]

وفي هذا بيان حياته الرسمية، وفيه ما ينافي قول لشوي عن أصله.. وكان مدحه عبد الباقي العمري بقصائد في مناسبات عديدة وكذا مدح ابنه.

مما عرف به:

١ ـ النجيبية حديقة من مؤسساته، وتدعى اليوم (المجيدية)، وفي أيام مدحت باشا تحدت حديقة، ثم شيد فيها قصر لناصر الدين شاه ليقيم فيه مدة بقائه في بغداد وتطورت حتى صارت (مستشفى) وهذه البستان يعدها (البهائية) من المواطن المقدسة لأنها خيم فيها (البهاء) سكنها بخيامه مع المنفيين معه مدة ١٠ أيام أو ١٢ يوماً إلى أن جرى سوقهم وتبعيدهم وأن البهاء فيها أعلن الوهيته ومن جراء ذلك صار يعد من الأماكن المحترمة عندهم. ويأتي الكلام على المستشفى في حينه

٢ ـ سقاية نجيب باشا. أنشأها سنة ١٢٦٤م في المنطقة (براثا) وللعمري (عبد الباقي) قصيدة هنأ بها الوزير اندرست هذه السقاية ولم يعرف تاريخ خرابها[2]

٣ ـ شريعة نجيب باشا. اسم محلة في الأعظمية عرفت باسمه ولا تزال.

(١) سجل عثماني ج ٤ ص ٥٤٦.

(٢) تاريخ مساجد بغداد ص ١٣٧ والمعاهد الخيرية

والي بغداد

عبد الكريم نادر باشا

(عبدي باشا)

مدة وزارته قليلة، لا تتجاوز ثمانية عشر شهراً ولا يؤمل خير من والٍ يبقى زمناً كهذا. ولعل التجارب بصرت الدولة بمراعاة ذلك، فصارت هي تدربه بالوجه المرغوب فيه لديها، لا أن يسير بعقله وترتيبه كأن الشاهد لا يرى ما يرى الغائب. وفي الوقت نفسه تحذر منه وتخشى تمكنه وتغلبه. فأوقعها الخوف في مهالك أعظم ومصاعب أجلّ.

كان فرمانه مؤرخاً في أوائل شعبان سنة ١٢٦٥هـ - ١٨٤٩م ويتضمن أن الوزير الحاج محمد نجيب باشا قد انفصل وأودعت مهام ولاية بغداد إليه، وهو متصف بالأوصاف المطلوبة، وقف على أحوال الإيالة، كان هناك مدة، فأودعت إليه إيالة بغداد وشهرزور وأن تتولى إدارة البصرة متصرفية. فأودعت إلى والي طرابلس الغرب السابق المشير الوزير محمد راغب باشا، وأوصيا بمراعاة المتوطنين والسكان من الأهلين والتبعة ومراعاة وسائل راحتهم ورفاههم، وأن يلاحظ أمر طاعتهم وانقيادهم والتأليف فيما بينهم، وأن يكون سلوكهم مرعياً، ومعاشرتهم بتيقظ وبصيرة وأن تدار شهرزور بقائممقام (متصرف) حسن الإدارة[1]

وأبو الثناء الآلوسي نعته بخير النعوت وأطراه وذكر ما رأى منه من لطف. قال في نشوة المدام:

«حققت أنه لما سمع ـ الأستاذ سليمان فائق ـ بحلولي تلك المعاهد، وتحقق قرب وصولي مدينة آمد، رفع الأمر لحضرة فيلسوف

---

(١) سجل المحكمة الشرعيه

الوزراء، ومن ابتهجت بوزارته العادلة سابقاً الوزراء، ذي الحسب الزاهر، والنسب الباهر، الذي لم يقل لسلطان بغيره (عبدي)، وإن يكن قال فهو نادر، السيد عبد الكريم نادر باشا الشهير بعبدي باشا. »
اهـ[1]

إلى آخر ما قال. ومثله من أكثر ما جاء في غرائب الاغتراب[2]

أثنى عليه الأستاذ الآلوسي، وكرر القول في مدحه. رآه في ديار بكر المعروفة بـ (آمد) لما رأى من لطف وحفاوة فمدح أخلاقه الطيبة.

وكل ما علمنا عنه أنه ذهب إلى (فينّا) من بلاد النمسا للتحصيل، وفي سنة ١٢٥٦هـ صار رئيس أركان الجيش برتبة مير لواء. وتقلب في مناصب عديدة، وفي ربيع الأول سنة ١٢٦٤هـ نال منصب المشيرية للعراق والحجاز برتبة الوزارة، وفي رجب سنة ١٢٦٥هـ منح ولاية بغداد، وعزل في صفر سنة ١٢٦٧ هـ، وهكذا استمر في صعود حتى نال السردارية والسر عسكرية[3]، ثم نزعنا منه. وفي سنة ١٣٠١هـ مات في رودس[4]. والشاعر عثمان نورس كتب (أثر نادر) من (مجموعة الظرف على لسان الأدب) باللغة التركية. تحوي بعض غزليات الوزير عبد الكريم نادر، وخصص لها الجزء الأول من مجموعته هذه، وفيها بعض أشعاره، والباقي محرراته بقلم نورس. ويذكر أنه رافقه من سنة ١٢٦٤هـ فرأى منه كل لطف وكرم كما شهد منه الأدب الجم، والشجاعة والقدرة، والحب للعلوم والمعارف وأثنى عليه كثيراً وجعل هذه المجموعة خاطرة وذكرى لتلك الأيام.

---

(١) نشوة المدام ص ٤٧
(٢) غرائب الاغتراب ونزهة الألباب ص ٣٩
(٣) السردار القائد العام، والسرعسكر بمقام وزير الدفاع
(٤) سجل عثماني ج ٣ ص ٣٥٨

وذكر في الجزء الثاني منها بعض غزليات علي رضا باشا اللاز وجعلها ذكرى أخرى، وبهذا جمع ما يتعلق بأيام الوزيرين وبعض الغزل.

وفي تاريخ الأدب التركي أوضحت الكلام في الشاعر عثمان نورس ومحرراته. ويأتي الكلام عليه في حينه

القلعة:

وفي هذه السنة بنيت (القلعة) وتم بناؤها. وفي ديوان الفاروقي أبيات تشعر بعام البناء سنة ١٢٦٥ هـ. وهذه القلعة تحوي في أيامنا (وزارة الدفاع) وكانت معروفة من العهد العباسي. وفيها أثر لا يزال محل اشتباه الباحثين ويسمى بـ (القصر العباسي). وفي أوائل العهد العثماني كانت مشغولة ببيوت للأهلين وحمام ومرافق أخرى وفي أيام السلطان مراد الرابع بني فيها جامع القلعة. وكانت فيها دار الضرب وتكية. وذكرها أوليا جلبي ونسب الجامع إلى السلطان مراد الرابع وقبله كان عمره السلطان سليمان في حين أن رقيمته معروفة[1] وتدل على أنه في حين تأسيسه

حوادث سنة ١٢٦٦هـ - ١٨٤٩ م

لم يظهر فيها من الحوادث ما يستحق الذكر

حوادث سنة ١٢٦٧هـ - ١٨٥٠ م

عزل الوالي:

في هذه السنة عزل الوالي عبدي باشا وقد مرّ ما يوضح حياته الرسمية.

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤، والمعاهد الخيرية

والي بغداد محمد وجيه باشا

(وجيهي باشا)

وهذا الوالي كانت مدة حكمه أقل من سابقه، فلم يطل مقامه أكثر من عشرة أشهر، فلا يستطيع أن يتعرف بالشعب، ولا بإدارته ولا اختيار موظفيه. ولا شك أنه لم يقع في زمنه ما يستحق الذكر. والظاهر أنه (محمد صالح وجيهي) المذكور بين ولاة الموصل من سنة ١٢٦٤هـ إلى سنة ١٢٦٥ هـ[1]

وفي مرآة الزوراء:

«إن وجيهي باشا أودع أمور الإدارة إلى نامق باشا، ولم يتدخل لا في خيرها ولا في شرها، وطلب أن يعفى عن هذا المنصب، وأنهى به إلى نامق باشا نصب مشيرية فيلق العراق إليه ...» اهـ[2].

وجاء في سجل عثماني

«إنه من أهل يوزغاد، ثم صار رئيس البوابين وفي سنة ١٢٤٣هـ صار قائمقام وال في أدرنة، وبعدها تولى مناصب عديدة وولايات منها ولاية الموصل في ربيع الأول سنة ١٢٦٣هـ (كذا) وهكذا حتى ولي بغداد في صفر سنة ١٢٦٨هـ (كذا) وانفصل في صفر سنة ١٢٦٨هـ (كذا) وهكذا صار في ولايات عديدة بعدها وتوفي في ١٦ ربيع الآخر سنة ١٢٨٤ هـ وكان عارفاً بالأمور الملكية، مدبراً»[3]. ولم يتم سنة ١٢٦٧هـ فعزل

---

(١) منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء ص ٢٩٥ لياسين بن خير الله الخطيب العمري نشر بتحقيق الأستاذ سعيد الديوه جي

(٢) مرآة الزوراء ص ١٣٦

(٣) سجل عثماني ج ٤ ص ٦٠٤

هذا مع العلم بأن له ابنٌ اسمه محمد صالح فهل هو الذي ولي الموصل؟ مع الإشارة إلى أنه نفسه ولي الموصل ولا شك في أنه كان هو نفسه والي الموصل.

واقعة الوردية ـ الحلة:

وفي تاريخ الشاوي ورد أنه في أيام ولايته كان زعيم الفيلق السادس في بغداد وملحقاتها المشير محمد نامق باشا وقد وقعت بينهما عداوة وبغضاء وأساسها الوقائع والثورات التي حدثت من عشائر الفرات فأراد الوالي تسكين الفتن سياسة وخالفه المشير، فكان من رأيه أن يؤدبهم حرباً وجرت المخابرات ولم رجعت إلى استنبول فعهد المشير بضربهم وتأديبهم لتأمين شرف الحكومة، فوافقت الدولة، ومن ثم خرج بجنوده، فضربهم ضربة قاصية، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وأخبر استنبول بذلك فصدر الأمر بعزل الوالي ونصب المشير نامق باشا والياً مع زعامة الفيلق وتسمى هذه الواقعة بـ(واقعة الوردية) لأن اجتماع العشائر للحرب كان في أراضي مقاطعة الوردية[1] والظاهر أن هذه الواقعة هي التي عُرِفَتْ بـ(وقعة بني حسن) الآتي ذكرها... بل لا يوجد غيرها.

عزل الوالي:

في صفر هذه السنة سنة ١٢٦٧هـ عزل الوالي وجيهي باشا. وفي يوم السبت ٥ شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٧هـ خرج من بغداد قاصداً استنبول.

---

(١) تاريخ الشاوي ص ٢١ ـ ٢٢

ولاية نامق باشا الكبير

كان هذا الوالي مدركاً للأمور كما نعته بعض المعاصرين من العراقيين، ومهاباً في أعين الناس يتكلم العربية بإتقان، وكان لا يداهن في أمور الحكومة، مقدماً في الحروب، عاقلاً، حازماً.

أتته الوزارة في صفر، وفي آخر هذا الشهر جاءه الفرمان من السلطان بالحكومة التامة وأنه والٍ على العراق من الموصل إلى البصرة، وأطراف بغداد، يولي عليها من شاء من قبله لا من قبل الدولة

وقد هنأه الأستاذ عبد الباقي العمري بقصيدة.

جاء في تاريخ جودت باشا أنه كان من المعمرين، وهو في عصرنا من أقدم مشيري السلطنة وفي سنة ١٢١٩هـ تقدم في المناصب العسكرية بسرعة حتى نال في ١ شعبان سنة ١٢٦٥هـ منصب المشيرية لفيلق العراق والحجاز ثم إنه في أوائل سنة ١٢٦٨هـ حصل على منصب الولاية ببغداد فجمعت فيه العسكرية والملكية معاً فكانت هذه ولايته الأولى في بغداد.

وبقي فيها إلى ٢٩ شوال سنة ١٢٦٩هـ فعين في هذا التاريخ لمشيرية المدفعية العامرة، فعاد إلى استنبول وهو المعروف بـ (نامق باشا الكبير) ولم يذكر هذا المؤرخ شيئاً من أعماله ببغداد(١)

نفي وتبعيد

سير مع الوالي المعزول وجيهي باشا سبعة رجال نفوا مقيدين أرسلوا إلى استنبول، فكان ذلك باكورة أعماله، ومن هؤلاء مشايخ العشائر:

---

(١) تاريخ جودت باشا ج ١٢ ص ١٩٣ وفيه تفصيل

١ ـ ظاهر المحمود شيخ زوبع.

٢ ـ كريدي شيخ الخزاعل.

٣ ـ مع كريدي ثلاثة من سادات قومه، وقيل معه ستة

قال صاحب التاريخ المجهول «وهنا ذكر شيء يلزم تحريره وهو أن المنفيين إلى إسلامبول كريدي الخزاعي ومعه من قومه، وظاهر المحمود الزوبعي، فإن ظاهراً قد تكلم مع كريدي على الهزيمة، وقال له اليوم نحن عرب، وجنس واحد، وإنا مقتدر على الفرار هل لك أن تهزم معي، فسكت عنه كريدي، ووشى على (ظاهر)، فمسكه المبعوثون معهم وهم الجنود، وضربوا ظاهراً ضرباً موجعاً. ومن بعد ذلك أيضاً انهزم من المأمورين بإيصالهم إلى إسلامبول من فوق الموصل، وركض عامة ليله، واختفى وقت الفجر بأشجار سدر، ورأى رجالاً على جمال فصادفوه وعرفوه، وهم من شمر، غزو. فأركبوه معهم وأوصلوه إلى محلهم، وأرسل إلى أهله، وتحول من مكانه الأول، ونجا بنفسه، وبدا يظهر العصيان، ويقطع الطريق، وأخذ بعض الأغنام لرعايا الحكام، وغار (كذا) مرة ثانية ومعه عصيبن أخو نجم الريدان المحبوس عند الحكام في بغداد، فأخذوا غنماً مقدار عشرين ألف رأس ودواب وخيل، وكروان أموال أمتعة كان مرسولاً إلى هيت بمقدار جسيم» اهـ.

هذا. وقد تكلمت على قبيلة زوبع في (عشائر العراق) في المجلد الأول، وأن رئيسها ظاهر المحمود عمنا عنه أول وقعة سنة ١٢٦٧[1]

آل بابان وانقراض إمارتهم:

إن هذه الإمارة دامت مدة طويلة وأولها رئاسة دينية، ثم وليت

---

(١) التفصيل عن نحو عن في المجلد الثالث من عشائر العراق.

الإدارة. وفي بادىء أمرها كانت سلطتها قليلة لا تتجاوز شهربازار. بدأت في أواسط القرن الحادي عشر الهجري، فتوسعت بالسيطرة على العشائر الكبيرة حتى تمكنت. وقد مرّ بنا من حوادثها ما يعين مكانتها.

وغالب وقائع العراق متصلة بها وبإيران معاً، فلم يتيسر للدولة القضاء عليها ولكن شعرت بما يحيط بها من غوائل، ومثلها إيران فاضطرتا على مراعاة السلم والهدوء بينهما بعد أن علمنا ما علمنا من حوادث محمد علي ميرزا. وبعد وفاته تمت المصالحة بينها وبين إيران فعقدت معاهدة سنة ١٢٣٨ هـ. وسنة ١٢٤٥ هـ، وجرت مفاوضات عديدة لقطع نزاع الحدود من وجوهه المختلفة في أراضيه وإماراته.

وبذلك تمت معاهدة سنة ١٢٦٣هـ المذكورة. وهذه المعاهدة في الحقيقة تعد السبب في القضاء على إمارة بابان وانقراضها بعد جدال عنيف ونضال بالغ الحد. ويتلقى الأسباب من أهمها خمول طرأ على البابانيين أو شعروا بمجاري الأحوال فأذعنوا رهبة أو رغبة. ولم يخالفوا ما حدث من تبدل من جراء أن الدولة اتخذت التدابير وكانت عزمت عزماً أكيداً في القضاء على الإمارات في العراق. وشجعها ما حدث من الوقيعة بالرواندزي وبأمراء العمادية.

قامت بتدابير تمهيدية من حين عقد المعاهدة مع إيران أو قبلها إبان المفاوضات واستمرت في تدبيرها إلى أن تم لها ما أرادت. وفي خلال المدة وتأميناً لمطلوبها عزلت (نجيب باشا)، وجعلت عبدي باشا (عبد الكريم نادر) مشيراً ثم والياً ونامق باشا كذلك مشيراً ثم والياً، فاختارت أكابر رجالها للمهمات مع توقع ما يحدث سواء في بابان أم في المنتفق من حوادث..

وكلاهما في بابان. وكتبت كتاب (شهرزور ـ السليمانية) أوضحت فيه عن هذه الإمارة وانقراضها وهنا أقول:

بن الدولة عزلت أحمد باشا بن سليمان باشا من إمارة بابان سنة ١٢٦٤هـ ـ ١٨٤٧م ودعته إلى استنبول ومنحته مناصب مهمة. وجعلت أخاه الأصغر منه عبد الله باشا مكانه، وليها بصفة قائمقام (وهو بمعنى المتصرف في هذه الأيام) وهذا عزل سنة ١٢٦٧هـ ـ ١٨٥٠م وذهب إلى استنبول سنة ١٢٦٨هـ وتقلب في مناصب عديدة.

ثم حلّ محله عزيز بك من آل بابان. وكان نامق باشا اعتمده في أول وروده إلا أنه بعد مدة قصيرة عزله إذ قطع بأن آل بابان عادوا لا يصلحون للحكم. وبالتعبير الأولى أرادت الدولة إقصاءهم عن الإدارة فانتزعت منه الإمارة سنة ١٢٦٧ هـ.

وفي الحقيقة كان انقراضهم من تاريخ المعاهدة المعقودة مع إيران سنة ١٢٦٣ هـ. وأول قائمقام عرف بالسليمانية من غير البابانيين إسماعيل باشا فهو أول متصرف من العثمانيين.

وقد أثنى عليه أبو الثناء الالوسي وبيّن أنه كان صادق الخدمة لدولته، وأنه ممن صحبه زمن المرحوم علي رضا باشا وقد خدم أحسن خدمة في حادثة السليمانية فأنست به استنبول، وأنه رأى فيها من حسن معاملته فوق المأمول[1]

وفي عشائر العراق الكردية (ص ٩٨) وفي كتاب لواء شهرزور ـ السليمانية تفصيل أكثر.

الحلة في أيامه:

قال الشاوي: كان الوالي نامق باشا شجاعاً حقوداً على العصاة، فكل من يخرج عن طاعة الحكومة يقدم له السيف لا السياسة. وكان الموظفون في أيامه يخافون بطشه ويبذلون كل جهد لينالوا رضاه

---

(١) غرائب الاغتراب ص ١٦٠.

وكان قد عين لقائممقامية الحنة خلف أغا إلى آخر ما قال[1] وحكى ظلم خلف آغا.

مشيخة المنتفق

في ٢٣ شهر ربيع الثاني سنة ١٢٦٧هـ - ١٨٥١م تغلب شيخ المنتفق منصور بن راشد (بن ثامر السعدون وهو منصور باشا) من مشائخ المنتفق على فارس بن عجيل[2]، وصار شيخاً بالسيف بدل فارس المذكور، وكلاهما قبل هذه المادة ساد قومه مرتين، الواحد يعقب الآخر، ولم ينقطع القتال بينهما إلى أن آل الأمر في هذه الواقعة إلى الشيخ منصور وهو من أمراء المنتفق. وفارس كان أبوه شيخاً في وزارة داود باشا وانتصر عليه الشيخ منصور، فانتدب للشيخ منصور الشيخ وادي شيخ زبيد، سار من طريق الحلة، وقصد الفزعة لمنصور، ووقف الفريقان طوائف المنتفق قسمين، قسم مع فارس، وقسم مع منصور وزبيد معهم، فأولاً كان الغلب لجماعة فارس، ومن بعد صارت الهزيمة على فارس وقومه، وقتل عبد الله أخو فارس وكان شجاعاً معدوداً أشجع من فارس المذكور، ومسك جماعة وادي فارساً وأبقاه وادي عنده محجوراً عليه» اهـ[3]

أصل المنتفق

قال: «وهؤلاء المنتفق ذكر مؤرخو البصرة عنهم، ومنهم السيد إبراهيم الرفاعي وكان عالماً فاضلاً (قال): إن قبيلة المنتفق أصلها حسنية

---

(١) تاريخ الشاوي ص ٢٢

(٢) منهم اليوم الشيخ علي بن ناصر بن فارس العجيل وعجيل هذا أخو سعدون بن محمد بن ثامر السعدون

(٣) التاريخ المجهول

من أولاد الحسن رضي الله عنه لا جميعهم بل رؤساؤهم، ومن عداهم من قبائل متفرقة، وذكر عنهم أن وجودهم في هذا المكان سنة لستمائة بعد الهجرة، سكناهم في أراضي البصرة، ولهم أراض مزارع ونخيل تبع لكوك يأكلونها، وجعل (بريد الرودعي المذكور) لهم تاريخاً مستقلاً مختصراً، وعدّ أمراءهم به مفصلاً، هذا طالعت به، ووجدته عند واحد من أهل البصرة ونقلت منه هذين السطرين لأجل اللازم» اهـ[1]

وفي هذا ما يؤيد أن الأمراء سادة حسنيه، وذكرت في تاريخ العراق أصلهم وزمن ورودهم بنصوص قطعية ولم نجد ما يؤيد وجودهم قبل عهد المغول وفي النص المنقول ذكر للمبالغة في القدم[2].

وكنت تكلمت في أصلهم في تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ وفي كتاب الأنساب للسيد ركن الدين الحسني ما يوضح عن تاريخ ورودهم العراق ومن تفرع منهم مما أوضحناه في عشائر العراق (ج ٤) وحوادثهم مبينة في المجلد الثالث من تاريخ العراق فيما بعده.

المجلس الكبير في بغداد:

كانت صدرت الإرادة بشأن تأليف هذا المجلس في رمضان سنة ١٢٦٧هـ - ١٨٥٠م، وكان تأليفه في بغداد استناداً إلى (خط كلخانه) المعلن بوقته[3] وصار يعد أول خطوة لقبول الإدارة القانونية وأن يكون الحكم بيد الأمة أو أن تشترك الأمة في أعمال الحكومة وقد تكلمت على ذلك فيما سبق.

---

(١) التاريخ المجهول.

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ وج ٦ في حوادث كثيرة. وفي عشائر العراق المجلد الرابع بحث في أصلهم.

(٣) مجلة لغة العرب ج ٥ ص ٢٧ وصاحبها عرفه خ ص وخط كلخانة هو فرمان التنظيمات الخيرية.

قبيلة بني حسن:

ذكر الأستاذ أبو الثناء أنه في جزيرة ابن عمر سمع بواقعة للوزير نامق باشا تدل على انتصاره على (عشائر بني حسن) وورد إليه كتاب يخبر بما جرى. ذكرها الأستاذ (محمد أمين العمري الكهية) في قصيدة. ومن ذيلها أبيات في تاريخ هذا الانتصار كما سطر الأستاذ الشاعر عبد الباقي العمري بعض أبياتها[1].

ولم نر فيها تفصيلاً للحادث. والظاهر أنها كانت أيام وجيهي باشا وعلى يد نامق باشا. وكان ممن حاربه بنو حسن القبيلة المعروفة.

رحلة الأستاذ أبي الثناء إلى استنبول:

كان الأستاذ أبو الثناء قد ضاق به الحال بسبب العزل وتجريده من الوظائف لمهمة مثل (تولية أوقاف مرجان). فذهب إلى استنبول (مروق). خرج من بغداد في غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٦٧هـ - ١٨٥١م وفي سفرته هذه كتب ما شاهد وذكر من لقي حتى وصل إلى استنبول وسمى رحلته هذه (نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول). ثم عاد إلى بغداد فدوّن ما مرّ به في طريقه وكان رجوعه إلى بغداد في ٥ شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٩هـ - ١٨٥٢م وكتب بذلك رحلة دعاها (نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام).

ثم إنه بعد عوده سنة ١٢٦٩هـ - ١٨٥٣م كتب ما جمع فيه بين الرحلتين وزاد توضيحاً في رحلته المسماة (غرائب الاغتراب ونزهة الألباب) فكانت أبدع ولم يستغن عن الرحلتين الأخريين. ففي كل واحدة من هذه الرحلات الثلاث ما ليس في الأخرى فكانت حرية معرفة.

---

(١) نشوة الشمول ص ٤٨ والأشعار في هذه الحادثة مذكورة في هذه الرحلة.

ربح هذه الرحلات وإن لم ينجح في مسعاه وما ذهب من أجله فالطغيان لم يكن من الولاة كما توهم وإنما كان ذلك مقصود الدولة فخاب أمله وعاد بالخذلان، إلا أنه ترك لنا ثروة أدبية وعلمية وتاريخاً ناطقاً وكان يعلم ما كان يشوبه من افتراء وتدليس وبيّن أنه لا يخلو هناك من مناصر يذب عنه ولكن تغلب أهل الشقاوة فقضي على آماله

حوادث سنة ١٢٦٨هـ - ١٨٥١م

نفي وإبعاد:

في يوم الخميس سلخ شهر ربيع الآخر سنة ١٢٦٨هـ نفى نامق باشا مقدار مائة رجل من أهل الجنايات إلى البصرة كانوا في السجن، وأكثرهم لم يستوجب النفي، ولكن ساقهم عملاً بقواعد التنظيمات التي هي مدار أحكامهم وسياستهم[1]

صالح العيسى شيخ المنتفق:

في غرة جمادى الثانية قدم إلى بغداد الشيخ صالح بن عيسى[2] من أمراء المنتفق وكان أبوه شيخاً على المنتفق، أرسل عليه الحكام، ونزل خارج البلد، في باب المعظم وقصد الحكام يسيّرون معه عساكر إلى بلاده ويجعلونه شيخاً عوض الشيخ منصور بن راشد وفي ثالث يوم قدومه عبّروه دجلة من الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي ونزل (باب الجديد)، وسمع أن عرب زبيد مرامهم يقتالونه فطلب من الوزير نامق باشا أن يسير إلى بلاده من الجانب الشرقي لئلا يظفر به

---

(١) كذا قال صاحب التاريخ المجهول وكان من الناقمين

(٢) الشيخ صالح بن عيسى بن محمد بن ثامر السعدون وهو الذي بنى قلعة صالح بين العمارة والقرنة والآن هي قصبة وكان والده عيسى الحريق شيخاً على المنتفق



ساعي بريد هجان - عن رحلة وليم لوغ

أعراب زبيد، فما أذن له الوزير بالمسير مما رامه المذكور فعند ذلك أغارت أعراب زبيد ومعهم أحو وادي فحل، وابن أخيه سمرمد وأخذوا من سواد العراق أغنامه وأمواله، وقطعوا طريق الحلة وأخذوا بعض الحاجات، وتبيّن وجه تعدّيهم، وخلع الطاعة، وبان صريحاً أنهم يريدون أن يقاتلوا الشيخ صالح العيسى، فعند ذلك أذن الوزير له بالمسير على الجانب الشرقي من بغداد على طريق جسّان وبدرة وألحقوه بمدد بعض العسكر من أعراب نجد راحلين، وهم من عقيل وكان ظهوره يوم ١٣ من جمادى الأخرة» اهـ[١]

غارات زبيد:

«في أوائل جمادى الآخرة كثرت الغارات من أعراب زبيد حتى أنهم وافقوا في دجلة خمس سفن محمّلات أموالاً للتجار، فعاقوها عن المسير، وهؤلاء هم أعراب وادي. ومع هذه الغارات الجمّة يسمع الوزير ولم يرسل عسكراً لعنان هؤلاء الباغين، وذلك بعكس عادة الوزراء الماضين في العراق، فإنهم إذا سمعوا بأن أعراباً أحدوا، ركبوا بأنفسهم، أو أرسلوا من يقوم مقامهم لأجل فك أموال الناس من المعتدين.

وهذا الوزير جمع العساكر في الديوانية، ولم يحارب هؤلاء المتجاسرين والذي أحوجهم إلى خلع الطاعة بطشه بهم ومماشاتهم على غير المعتاد، فإنه قد ذكر في تاريخنا هذا أنه سيّر إلى إسلامبول مقدار عشرين رئيساً من رؤساء العرب، وبعضهم محبوسون بالقلعة مهانين ينقلون الأحجار والتراب على ظهورهم، وهم من كرماء العرب

---

(١) التاريخ المجهول. وفي عشائر العراق ج ٣ ص ٣٥ بيان عن وادي الشفلح وإخوته، والملحوظ أن سمرمداً هو ابن حمد أخي وادي، ورئيس زبيد اليوم مزهر ابن سمرمد.

وشجعانهم وهذا الفعل مباين لعادة لملوك الماضين» اهـ[1]

المسيب وأطراف بغداد:

ثم قال «وفي ١٤ جمادى الآخرة في يوم الأحد أتى الخبر أن أعراب زبيد أتباع وادي أخذوا المسيب، ونهبوا ما فيها من الأهالي، ونهبوا الطعام الذي هو مخزون للدولة، وأن من حول بغداد من الأعراب خافوا على أموالهم وأنفسهم وحصروا منزلهم قرب المدينة، وبقيت أمور الناس معطلة وجميع الطرق مخوفة، ولا يمكن لأحد أن يطلع من البلد، ويسير مقدار ساعتين إما ينهب أو يقتل كما وقع مراراً

وأعراب وادي نازلون بالدورية وهو مكان قريب من الحلة مقدار نصف فرسخ والعساكر بالبربرة وهو مكان طرف بند الحلة بل هو من الحلة، وحصروا البلد، ولم يقدر أحد أن يذهب خارجها، وانقطع الخبر من بغداد إلى الحلة وعلت الأسعار بالحسين (كربلا) وبالمشهد (النجف) والحلة والمزارع التي حول بغداد آن حصادها ولم يمكنهم أن يحصدوها مخافة الطريق وبقي أمر الخلق مضطرباً فلم يجدوا ملكاً يصون أموالهم ولم يتفق بالعراق الحلال واختلال كما في هذه الأيام

ثم إن الوزير نامق باشا يوم ٢١ رجب أطلق سمير الزيدان من مشايخ شمر، وكان مسجوناً» اهـ[2]

الوالي في نظر الغربيين:

لا ينظر الغربيون إلا إلى مصالحهم. قالوا

كان في حكمه مشهوراً بتعصبه على المسيحيين والأجانب، وذكروا له حادثة اتخذوها دليل ذمّه، وذلك أن شامياً من تبعة فرنسا كان صيرفياً

---

(١) التاريخ المجهول

(٢) التاريخ المجهول

يمثل بعض البيوت التجارية في بيروت، ركب يوماً حصانه، فأدى به طريقه إلى سوق الهرج، وفي هذه الأثناء كان نامق باشا ذاهباً إلى الصلاة يوم جمعة وموكبه مؤلف آنئذ من فرسان الجندرمة يتقدمهم ضابط كبير، وجاء القواصون بعدهم يتقدمهم رئيسهم (قواص باشي)، ثم كبار موظفي الدولة، والوالي يأتي بعدهم راكباً حصانه، ويتبعه الكهية ثم الإمام، وعدد كبير من رجال الدين.

وكان قد اعتاد الناس أن يقفوا و ينحنوا عند مروره، كما أنه إذا مرّ خيّال بهذا الموكب ترجّل احتراماً إلى أن يمضي الموكب. أما الشامي فيظهر أنه كان يجهل التقاليد، فلم يترجّل، فلما شاهده نامق باشا بهذه الحالة عدّ ذلك سوء أدب أو صلافة منه لا سيما بعد أن علم أنه نصراني فأمر الجندرمة بإنزاله عن حصانه فأخذ هؤلاء يوجعونه ضرباً مبرحاً بمؤخرة بنادقهم (قونداق) حتى أسالوا منه الدماء، وبقي طريح الفراش بضعة أسابيع. أما القنصل الفرنسي فقد احتج احتجاجاً شديداً على هذه الفعلة القاسية، كما أن السفير الفرنسي باستنبول قدم احتجاجاً مماثلاً للباب العالي طالباً تعويضاً مالياً للمعتدى عليه (٣٦٠٠٠) فرنك فكانت النتيجة أن استدعي نامق باشا إلى استنبول بعد أن حكم مدة (٩) أشهر[1].

يعزو العربيون عزله إلى هذا الحادث. وأعتقد أن اضطراب الحالة كانت السبب الرئيسي.

عزل نامق باشا:

مما مرّ عرفنا الحالة السياسية، و الأوضاع الحكومية أيام نامق باشا، فكانت الأمور مرتبكة، والناس في ريب من أوضاعهم. علا

(١) كتب بغداد وسكة حديدها بلغة التركية، وكتب بغداد لنجيب شيحه بالعربية والفرنسية.

صوت المتنفذين وصارت الأموال غير مصونة، والطرق محتلة فالعراق أصابه انحلال واختلال لم ير مثلهما في عصوره الماضية. فعزل هذا الوالي

وجاء في مرآة الزوراء:

«إن نامق باشا عهدت إليه إيالة بغداد ومشيرية فيلق العراق، فترك المشار إليه راحته ليل نهار، وسعى جهده لمصالح الإيالة وتدبير أمورها، وتنسيق إدارتها. قام بذلك بنفسه، فاتصل بالإصلاح من أصله.. ولكنه من جراء التداوي المتوالي قد بدت فيه الأمراض المكتومة، والعلل العارضة، فظهرت القلاقل، ونزلت المحن. نهض أهل الشقاوة من كل صوب، فتوالت إقداماته وبرزت العلائم المبشرة بقرب التنظيم والتوجيه.. إلا أن ذلك أدى إلى أن رجال الدولة صاروا لا يرون بقاءه فعزل..» اهـ[1].

وقال الأستاذ الألوسي:

«وكنت سمعت عن والي باشا في الآخرة خبراً يتلوّن تلوّن الحرباء في قبوله الأذهان وهو عزل الوزير، الذي لحضرة السلطان حسن ظن به، والمشير الذي لا يستشير سوى عصبه، ذي المهابة التي حفظت بغداد عن أن تنتهبها يد أهل البغي والفساد وصدت مفسد العشائر عن تخريب المنائر والمنابر، أعني نهمة محمد نامق باشا، زاده الله تعالى بالأنظار الخاقانية انتعاشاً، ونصب الوزير الذي ندر مثله فيمن استوزر والمشير الذي فجر عقله نهر نطلع فيه على مرآة الإسكندر، حضرة ذي العزم الجلي، رشيد باشا الشهير بالكوزلكلي، فلم يطمئن قلبي بهذا الخبر، وحسبت راويته جاء بالصقر والنقر، حيث إن الوالي الأول من

---

(١) مرآة الزوراء ص ١٣٦.

نظرة حضرة السلطان بأعلى محل، وقد اطلعت على اتفاق معظم الوكلاء على السعي في عزله، لما اطلعوا على اضمحلال العراق، واختلال أهله، وأن بغداد بعد أن كانت شجرة لا يبلغ الطير ذراها

قد تراخى الأمر حتى أصبحت
هملاً يطمع فيها من يراها

وأنه لا يستطيع الطير أن يطير، ولا الأسد الوثاب أن يسير، ما بين باب حلتها وبصرتها، بل ما بين باب كرخها ومقبرتها، وتعذر على الساعي الخريت، الذهاب من باب المعظم إلى هيت وتكريت، حيث كثر القتل والنهب في جهاتها الأربع، فعدا كل من اشتمل عليه سورها يفتت مما عراه اليرمع، فلم يبق لحضرة السلطان لهم سمعاً، وعلموا منه أنه يحب المشير المشار إليه طبعاً، فتركوا لما أيسوا العراق على ما فيه، ولم يعبأوا بانقطاع ما كان يسيل من الذهب والفضة من واديه، حتى إذا وصلت إلى آمد رأيت الخبر أظهر من أن يجحده جاحد، فقلت سبحان مقلب القلوب، الشاهدة أفعاله بأنه الرب المتصرف وما سواه مربوب، وملأ التعجب من قلبي أركانه وإن كنت تحققت أنه رفع الله تعالى قدره نصب مشير الطوبخانة، وكان هذا النقض والإبرام في أول ذي القعدة الحرام[1]، فنسأل الله تعالى شأنه أن يوفق كلًّا فيما نصب له، ويزيل عن العراق ما أسال عرق القربة، ويسبل عليه فضله» اهـ[2]

وجاء في حديقة الورود:

«ولما دخلتها ـ مروق ـ جعل سمعي يفت حنظل أخبار بغداد،

---

(1) في تاريخ جودت باشا أنه عزل من بغداد، وعين إلى المدفعية في ٢٩ شوال سنة ١٢٦٩

(2) نشوة المدام. مخطوطتي رقم ٧٥. والمطبوعة ص ٤٩

ويتجرع ما أجرى الله تعالى على يد وليها من سموم الأكدار والأنكاد، وذلك أنه أفسد البر، وحلف ليكثرن فيه الهرج والمرج فبرّ، فعصفت بي عواصف الغيرة، فقذفتني في بيداء الحيرة، ومقلتني في بحار التشويش، فجعلت أتشبث بكل حشيش، وشرعت أغري على طلب وزارتها كل من أراه، وإن كنت أعلم أنه لا يصلح أن يكون والياً على خراه، ولم أدر ما أودع في بطون الأقدار، وما ينتجه يلاح الليل والنهار، فأصبح يطلبها مثك (فنك) ذباب وهو لعمري أقذر من الطفياء وأهون من معناه القحاب لم يزل ماله في زيادة وهو مع ذلك أبخل من كلب بني زائدة. وانقضت الأيام والأمر بين نقض وإبرام.

ولما خرجت سمعت في الطريق بأن الوالي قد عزل على التحقيق، وأنه قد نصب بدله من لم يكن يخطر ببال، ولم يمكن أن يرى برصد الفكر في سماء الحيل، وهو المشير العديم النظير الوزير رشيد باشا الكورلكلي لا رأته المكاره بدر سماء الوضع الجلي، حتى إذا دخلت ديار بكر، سمعت من زيد وعمرو مزيد الثناء عليه، وأنه المشير المشار بنان التعظيم إليه (إلى أن قال) ثم سرت متوجهاً معه إلى بغداد... » اهـ[1].

ولعل في هذا ما يعين أوضاع بغداد، ودرجة الأمن، وفي ذلك تأييد لما جاء في التاريخ المجهول. تألم الأستاذ الآلوسي لحالتها، فلم يقصر ببيان. وذكر عن وادي شيخ زبيد ما يؤيد. وهذا لم ير مسيطراً فتسلط وإن الأستاذ سليمان فائق أيد اضطراب الحالة، وإن كان حاول التوجيه، وهو الكاتب البليغ القدير والسياسي الماهر.

---

(١) حديقة الورود ص ٦٤٨

حوادث سنة ١٢٦٩هـ ـ ١٨٥٢ م

الوالي محمد رشيد باشا الكوزلكلي

يدعوه العراقيون (أبا ماظر)[1] وهذا طالت أيامه أكثر من سابقه، عهد إليه بمنصب ولاية بغداد في ذي القعدة سنة ١٢٦٨ هـ، ودخل بغداد في ٥ ربيع الأول سنة ١٢٦٩ هـ.

ولما كان الأستاذ محمود الآلوسي في ديار بكر، وواليها آنئذ عبدي باشا (عبد الكريم نادر) وردها هذا الوالي فاستقبله عبدي باشا وجماعة بينهم الأستاذ الآلوسي

قال الأستاذ الآلوسي في حديقة الورود:

«واتفق أن ألح عليّ بانتظاره والي هاتيك الديار حر الأخلاق، عبدي باشا، يسر الله له من الخير ما يشاء، فلم يمكني إلا الامتثال، لما أن الوالي المشار إليه على غاية الإفضال، فمكثت نحواً من ثلاثة أشهر منتظراً له، مستشرفاً حله ومرتحله، حتى إذا قدم مع بعض الأعيان، وآل الخبر إلى العيان، رأيت منه في هاتيك الديار، ما أنطقني فأنشدت من دون اختيار:

سمعت بوصف الناس هنداً فلم أزل
أخا صبوة حتى نظرت إلى هند
فلما أراني الله هنداً وزرتها
تمنيت أن قد زدت بعداً على بعد» اهـ[2]

وقال في رحلته نشوة المدام ما نصه:

---

(١) الماظر العوينات في لغة العراقيين مأخوذه من النظر ويقولون (أبو ماظر)، والمعروف المتداول (كوزلكلي) نعت لهذا الوزير بلفظه التركي

(٢) حديقة الورود ص ٦٤٨

«وفي اليوم السادس والعشرين من محرم الحرام، وكان من حيث المطر والهواء أهون الأيام، ظهر خبر حسن، وأبرّ أثر، وهو خبر ولي الوزراء، على دخول مدينة مَدَ السوداء، وتنوير أرجائها بأنوار طلعته الغراء، فذهبت مع وجوه البلد، وهم كأصابع الكف في العدد، إلى حضرة واليها، ومن إليه مرجع أهليها، فجلسنا عنده على أحسن حال، ثم قمنا جميعاً للاستقبال، فقعدنا برهة من الزمان في خيمة نصبت عند كشك السريان، حتى إذا لاح خميس ذلك الوالي، وأقبل نحونا ركابه العالي، أسرعنا لاستقباله، واستكشاف حالي حاله، فأدركنا ذلك الشهم، على نحو غلوة سهم، فإذا هو والٍ رشيد ومشير مأمون له احتفال برعيته حتى كأنه ينظر إليهم بأربعة عيون، وقد صحبه سبيل الأجلة الأمجاد، مولانا (محمد عبد الرؤوف أفندي البرلبه وي) قاضي بغداد، ورأيناه سجل المفاخر، قد ورث الفضل كابراً عن كابر، وكذا صاحب ذو الخلق النفيس عبد الله أفندي نائب نابلس، وكان منتسباً إليه منذ كان مشيراً في إيالة كردستان فيقال إنه حمله إلى جربوت وتوسط له بالنيابة فملأً من عيابه رسومها على الوجه المرسوم إملائه، وقد أمره برفاقته إلى محل إقامته، وهو حسب القياس والاستحسان حري بالاستصحاب، فقد وقع الإجماع على عمله في المصالح المرسلة إليه بالسنّة والكتاب، وقد جمعنا العشاء مع المومأ إليه في بيت المفتي، فرأيت منه ما يقضي بمزيد محبته ويمني، ولم نزل نجتمع كل ليلة عند الوزير معه، فنكاد نحيي بحلو سمر الليل أجمعه، وقد علمت من أمر الوالي، في هاتيك المعالي أنه لا نظير له بين الوزراء، ولا نظرت مثله عين الوزراء

ولما كانت ليلة الخميس سادسة صفر، صنع المفتي وليمة لم يبق فيها ولم يذر، فبعد أن رفعت ألوان الطعام، ونصبت في البين موائد الكلام، قال: غداً إن شاء الله تعالى غدة سفرة السفر، فامتلأت آنية

الفؤاد سروراً، وكنت من قبل بمعتقة الهموم مخموراً » اهـ

ثم استمر في ذكر أنه أخذ الأهبة للمسير، وبين المنازل التي سار بها، والمواطن التي طواها... حتى وصل إلى بغداد مساء الخميس خامس شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٩هـ - ١٨٥٢م

قال الأستاذ أبو الثناء:

«سرت متوجهاً معه إلى بغداد، ولم تزل تهبّ عليّ من أنفاسه ما يصدع الرأس ويكرب الفؤاد (ثم ذكر ما أصابه من حمى فقال):

حتى إذا ذهبت أورثت ضعف الأعصاب، وكم من خبيث أورث الأخبث لما ذهب.. فتركت لذلك كل الأمور، ولزمت بيتي فلا أزار ولا أزور

لـزوم الـبـيـت أروح فـي اختياري
عـدمـت قـبـالـه مـائـدة الـبـروز
فـلا الـوالـي يـمـيـز قـدر فـضـلـي
ولـسـت عـلـى الـحـواشـي بـالـعـزيـز
ولـسـت بـواجـد حـراً كـريـمـاً
أكـون لـديـه فـي كـنـف حـريـز» اهـ[1]

وفي هذا اليوم كان ورود الوزير رشيد باشا بغداد... كما ذكر ذلك الآلوسي، جاءا معاً... ولا شك أن المعتاد من الاستقبال والاحتفال جرى بالوجه اللائق... وقد مدحه الفاروقي بقصيدة.

جمع إعانة:

جمع الوزير الأعيان والعلماء، وبينهم صبغة الله الحيدري والسيد

---

(١) حديقة الورود ج ٢ ص ٦٤٩.

محمود الالوسي المفتي السابق وطلب منهم إعانة على أهل بغداد، لأنه ورد خبر في شوال من استنبول يفيد أن الارس (الروس) أي المسقوف تحركوا على محاربة السلطان واقترح الوزير من الوجوه أن يقبلوا ما طلب منهم، وأن يجلبوا الناس على ما أراد..

وفي ذي القعدة بدأوا يجمعون الدراهم من أهل بغداد، فحملوا على المقتدر ألف قرش صاغ ومنهم أكثر، وبعضهم أقل، والمتوسط مائة قرش، والفقير خمسة وعشرون قرشاً، وأهل الفاقة لم يحملوا شيئاً، جعلوا القسمة على كل دار بحسب الترتيب مائة قرش وأسهل الأطراف طرف باب الشيخ ادعوا أن أكثرهم فقراء، والنقيب تشكى بحال أهل طرفه، ورق لهم الوزير لضعفهم، ثم إنهم شرعوا في جمعها[1]

مشيخة المنتفق:

وفي ذي القعدة من هذه السنة حبس الوزير فارس بن عجيل، وعزله من مشيخة المنتفق، وألبس الشيخ منصور بن راشد الخلعة على مشيخة المنتفق، فصارت الإمرة إليه، وطلع من بغداد يوم ٢٨ من ذي القعدة هو ووادي بك يريدون أن يسيروا إلى ديرة المنتفق، وكان صالح ابن عيسى شيخاً على المنتفق من أيام نامق باشا » اهـ[2]

وجاء في كتاب قرة العين

«وفي سنة ١٢٦٩هـ انتشبت الحرب بين قبائل المنتفق والجنود العثمانية، وانكسرت الجنود العثمانية عند نهر الفرات بمحل يقال له (المعيسل) وقتل قائدهم (تركي سمز) قتله مشاري السعدون من مشائخ المنتفق» اهـ[3].

---

(١) التاريخ المجهول.

(٢) التاريخ المجهول.

(٣) قرة العين ص ١٢٥.

هو مشاري بن عبد الله بن ثامر السعدون وله من الأولاد بدر ومحمد وعبد اللطيف وعبد العزيز ولهؤلاء أولاد وأحفاد.

قبيلة عنزة ـ الطارمية:

«في ذي القعدة أغار أعراب عنزة على جمال حول الطارمية للجمّالة عقيل وغيرهم، فأخذوا منها (٩٠٠) بعير، وبعد بضعة أيام كان قادماً إلى بغداد تسعون حملاً من الشام بقية كروان فرآها أعراب عنزة، ورئيسهم ابن هذال[١]، فأخذ الحمول والجمال، وكان داخل الحمول دراهم فضة وذهب، وأخذوا دوابٌ وما أشبه ذلك من درب الحلة...» اهـ[٢].

سدة الصقلاوية:

«في يوم ٥ ذي الحجة سنة ١٢٦٩هـ ظهر الوزير محمد رشيد باشا إلى الصقلاوية بقصد أن يسدّها وفي المحرم من سنة ١٢٧٠هـ أحكم سدّها أحسن ممن قبله من الوزراء...» اهـ[٣].

وجاء في تاريخ الشاوي أن الوزير أمر أن يفتح نهر غير نهر الصقلاوية (غربي الفلوجة من جهة الجزيرة) وأن يجري فيه الماء إلى قرب بغداد وأن يغرس في جانبيه أشجار التوت لتربية دود الحرير (دود القز) ففتح هذا النهر في محل نهر الكهاية المدرس الذي كان فتحه كنعان آغا وكان حاكماً هناك فسمي باسمه ثم نقل إلى قضاء الحي وهو الذي عمر قبة سعيد بن جبير (رض) ووضع له تاريخاً على قبره وكان القائممقام في الدليم سرّي أفندي فسمي هذا النهر الجديد ـ (السريه)

---

(١) راجع عشائر العراق المجلد الأول ص ٢٦٨

(٢) التاريخ المجهول

(٣) التاريخ المجهول

وفي أيام الوالي عبد الرحمن باشا تبين ضرره على أطراف بغداد والكاظمية وقلّ ماء الحلة فسده سدّاً محكماً[1] فكانت سدة السرية موجودة قبل ورود سري باشا بكثير.

حوادث سنة ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣ م

حرب روسيا والدولة العثمانية:

في صفر هذه السنة جاءت الأخبار بانتصار الدولة العثمانية على المسقوف وكانت الواقعة عظيمة، وقد عرفت درجة العلاقة من جراء الإعانة التي جمعت للدولة..

وشاع الخبر في بغداد أن شاه العجم ناصر الدين شاه أعان الروس وبعث لهم مهمات وأطعمة وأنه اتفق مع الأعداء فصعب الأمر عليهم خصوصاً أهل خانقين، وكان القائممقام هناك محمود بك، فهمّ أن يجمع جيشاً تأهباً للطوارئ، ومثله الوزير محمد رشيد باشا جهز عساكر من عقيل، لعين السبب فاضطرب أهل بغداد، واستولى عليهم خوف عظيم، لقلة عساكر البلد وضعف الناس عن عادتهم الأولى من قلة أموالهم وسلاحهم، وانهدام سور البلد فعلت الأسعار عن مألوفها وفي ربيع الأول أتى الخبر إلى قنصل الإنكليز أن الشاه رجع عن الحرب، وفرّق عساكره المجموعة لأجل حرب بغداد، وأظهر الصلح، وسببه كان من إمام الجمعة، وهو رجل كبير، مسموع الكلام عند الشاه، وعند جميع أهل إيران، فطلب من الشاه أن يترك هذه الأمور بداعي أنا إسلام والعثمانيون إسلام، ويكون الحرب نصراً للكفّار، وهذا لا يجوز في الشرع، فترك ذلك.

---

(١) تاريخ الشاوي بتلخيص ص ٢٥

وأما رشيد باشا فإنه همّ بالمسير إلى أطراف كرمانشاه وكان من الجيش النظامي مقدار ألف نفر في بغداد كانوا خارجين عن الزمرة من سنين. أخرجهم الحكام لعلل في أبدانهم. لم ينفعوا للحرب على عادة النظام، فأمر الوزير بترجيعهم إلى العسكرية مجمعوا منهم مقدار أربعمائة نفر وبورود الخبر عن الشاه أنه ترك الحرب، أمر الوزير أن يخلّي سبيلهم، وترك جمع العساكر، واستراح الناس من هذه الفتنة وفي هذه الحرب اشترك الشيخ شامل الترکي[1]

وبهذا أردت أن نعرف تلقي العراق لهذا الحادث وهذه حرب القرم المشهورة. ولا مجال هنا للتوضيح عنها

مفتي بغداد أبو الثناء الآلوسي:

هو أبو الثناء محمود شهاب الدين الآلوسي توفي في ٢٥ ذي القعدة من سنة ١٢٧٠هـ ـ ١٨٥٤م. وكان من خيرة من أنجب العراق في بيان صفحات تاريخية عديدة عنه، وفي رحلاته وسائر آثاره. أدبه جمّ، وعلمه وافر، وقلمه سيّال. اشتهر في مختلف الأقطار في تفسيره، وعرف برحلاته إلى استانبول وعنها إلى بغداد، وعرفت في الحقيقة الأسرة به، وإن كان قد تقدمه بعض الآلوسيين مثل والده السيد عبد الله الآلوسي وكان مدرس الأعظمية نحو أربعين سنة، ومدرس المدرسة العلية ولأبي الثناء مؤلفات عديدة وأفردت له كتاباً في حياته بعنوان (ذكرى أبي الثناء الآلوسي) بمناسبة مرور مئة سنة على وفاته وفصلت ما له من مؤلفات وترجمة في مجموعة عبد الغفار الأخرس وله المكانة العظيمة في التوجيه العلمي والأدبي وفي مؤلفاته ما يكشف عن أحوال العراق السياسية والعلمية والأدبية كما أنه عرف علماء الأقطار التي مرّ بها في

---

(١) التاريخ المجهول

رحلته إلى استنبول وكتب (شهيّ نعم) في ترجمة شيخ الإسلام عارف حكمت وترجم أساتذته وبعض معاصريه. وهو لا يزال مخطوطاً عندي نسخة مخطوطة منه وله الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب وكتب عديدة مثل الفيض الوارد... وله (نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول)، و (نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام)[1] ثم جمع هاتين الرحلتين في (غرائب الاغتراب)[2] وفي كل من هذه ما لا يوجد في الأخرى ولا في التلخيص وطبعت كلها. وتفسيره مشهور طبع مرات... ومقاماته غزيرة المادة. وكل مؤلفاته مهمة.

وفي مؤلفاته تعرض للحوادث التاريخية فأفصح عما فيها من غموض وبالتعبير الأولى أظهر عظمة في حياته ولا ريب أنه خلد تاريخ العراق وبذلك خلد نفسه بما أبداه من حقائق تاريخية.

وكانت توجيهاته العلمية والدينية عظيمة وله أكبر الأثر في بيان العقائد الحقة وإيضاح عقائد المتصوفة ونقدها نقداً علمياً... وكتب في اللغة والنحو والبلاغة أيضاً. أعقب وأنجب أولاداً وأحفاداً كان لهم الذكر الجميل في العلوم والآداب وسائر ضروب الثقافة.

حوادث سنة ١٢٧١هـ ـ ١٨٥٤م

المشيرية والهارونية والدجيل:

عرفنا أن الوزير قام بأعمال مهمة ومن أجلّها (المشيرية) أو (الوزيرية). وهي المقاطعة المعروفة بهذا الاسم. وتتصل ببغداد من جانب الرصافة. اندثرت بعد حين وانقطع الماء عنها. وفتح نهر الهارونية

(١) طبعت في مطبعة ولاية بغداد الأولى في منتصف ربيع الثاني سنة ١٢٩١ هـ والثانية في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٣ هـ.

(٢) طبعت في أواخر ذي القعدة سنة ١٣٢٧ هـ في مطبعة الشابندر ببغداد.

في لواء ديالى بالقرب من المقدادية (شهربان) وهذا لا يزال معموراً ولم يتبين لنا تاريخ القيام بهذا العمل بالضبط ومن أعماله أنه أمر بكري نهر الدجيل في بلد التابعة لقضاء سامراء[1]

حوادث سنة ١٢٧٢هـ ـ ١٨٥٥ م

اعمال عمرانية:

إن هذا الوزير قام بأعمال زراعية مهمة أمر بكري نهر التين، ونهر الشاه، والعوادل، والطلمية، وأبو جماع، والناشية، والشوملي الكبير، والشوملي الصغير، وفتح نهر الجربوعية وكل هذه في لواء الحلة ولم يتعين لنا بالضبط تاريخ عملها وعلى كلٍّ كانت في أيام هذا الوالي[2]

البواخر بين بغداد والبصرة:

ومن أظهر أعمال الوزير أنه اشترى باخرتين لنقل أموال التجارة والأهلين بين بغداد والبصرة سمى إحداهما (بغداد)، والأخرى (البصرة) وهما لم تصلا إلى بغداد في حياته وإنما وصلتا إلى بغداد بعد وفاته. وصارت تجني فوائدهما[3]

حوادث سنة ١٢٧٣هـ ـ ١٨٥٦ م

زوبعة هائلة:

هاجت ريح شديدة في أواخر الربيع في رمضان، فأظلمت الدنيا

---

(١) تاريخ الشاوي ص ٢٦.
(٢) تاريخ الشاوي ص ٢٦.
(٣) تاريخ الشاوي ص ٢٧.

وذلك من العصر إلى ما بعد العشاء، ثم انكشفت، وقد أرخ ذلك الفضل عبد الغفار الأخرس بقوله: (لاح الغبار) أو (حن الغبار)، وهي سنة ١٢٧٣ هـ.

وفاة الوزير:

في يوم الأربعاء ٢٢ من ذي الحجة توفي الوزير محمد رشيد باشا الگوزلگي ببغداد ومنهم من قال في ٢٢ ذي القعدة ومنهم من بين أنه توفي في ٢٦ ذي الحجة. وجاء عنه في التاريخ المجهول المؤلف:

«حسد كل من يتعاطى المعاملة في البيع والشراء حتى إنه أعطى دراهم لأناس يجلبون الأغنام من القرى، وهو شريك معهم على زيادة الدراهم. وكان يأتي إلى بيت بعض التجار، ويسأل كم يملك فلان التاجر، وكم يملك فلان، وهو حسود قد فاق بالحسد، ويأتي إلى مخازن التجار ويستكشف عن دفترهم، ما تملكون؟، وما عندكم من المال؟ وقد تحكم به الملل الخارجية كاليهود والنصارى. ومن حين ورد بغداد إلى أن هلك ما تصدق على فقير بدرهم واحد، وهو كذوب، حسود، قاسي القلب، بخيل، ما سمعنا له بخصلة حسنة».

وفي أيامه:

١ ـ رفع إيرادات بعض المقاطيع الأميرية وهي الشكرخانة، والمومخانة والمصبغة، فجعل إيرادهن على الكمرك، وزاد بعضاً من رسومها على الرفتية فصار يعد عمله حسناً.

٢ ـ في أيامه جعل على رأس الغنم عشرين قرشاً، وقبله كان يؤخذ على رأس الغنم ١٣ قرشاً.

٣ ـ الإعانة (١).

(١) أخذها لحرب المسقوف والعثمانيين.

(٢) صار يكرر الأخذ على سبق تلك ليجعلها سنة تؤخذ كل سنة.

(٣) أخذ من جميع سكان بغداد لبناء المسناة الواقعة على شاطىء دجلة المحاذية لقرية الأعظمية، وهي مسناة قديمة من أيام العباسيين والعادة أنها تبنى إما من أوقاف النعمان أو من مال السلطان (من صندوق الدولة)، وهو غصبها من الناس، وأخذ ثلاثة أضعاف ما يجب أن يصرف لها.

٤ ـ أنه كان يضمن بعض الأنهر إلى بعض أولاد وجوه الناس بقيمة زائدة ثم يجبرهم على الأداء.

٥ ـ أنه كان يتراخى في حقوق الناس، ويتهاون في قضاء حوائجهم ورأيه مصروف إلى تحصيل الدراهم، وفكره مشغول بتدبير الحيل التي يستلب بها أموال العباد

٦ ـ إنه حفر نهراً في أيامه سمي بـ (المشيرية) وبـ (الوزيرية) أخرجه من تحويلة الخالص، وجعله نهراً، وأمر أن لا يزرع أحد الشلب بالخالص لانحياز الماء إلى نهره الجديد، وبسبب ذلك كانت تعلو أسعار التمن (الأرز) حيث لا يكون جنسه مزروعاً إلا في مكان واحد، وهو بأطراف الشرقية (أنحاء الفرات) بأماكن معلومة في الهندية والدغارة فقط.

والخلاصة أن الكلام على ظلم الوزير محمد رشيد باشا وتجاوزه الحدود مما لا يحصى[١].

وهذا التحامل ظاهر من صاحب التاريخ المجهول. ونحن ننقل ما قيل فيه والأعمال تقدر مكانة الرجل. وصاحب مرآة الزوراء من مادحيه. قال:

«إن هذا الوزير كان قد أكمل التحصيل في فرنسا، وقضى مدة طويلة

(١) التاريخ المجهول.

هناك، وكان يعد من دهاة العالم في عصره في فنّ الإدارة الملكية، وله آراء صائبة. وفي أيام نمق باشا قمت الثورات والاضطرابات من جراء شدة بطشه، وكمال صولته، فعرض وهن على الإدارة واعتراها خلل. فتخذ طريق الصمح، ومراعاة الحكمة في الأمور.

وهذا الوزير راعى كل حيطة، وأدرك أحوال العراق، وعرفها معرفة كاملة وهدأ الحالة كما يرام، ونظم الأمور. وشمر عن ساعد الجد في أمر إعمار الملك وتكثير وارد الخزينة، واهتم للأمر وأخذ له أهبته، فتوسعت الواردات، وكتسبت مالية الدولة ترتيباً نوعاً، ووفى الديون المتراكمة، وغالب رواتب الفيلق، وأحيا بعض المقاطعات المندرسة من أيام علي رضا باشا اللاز، وبذل ما أمكنه في أمر إنعاشها واستمرت أشغاله هذه ليلاً ونهاراً بمدة أربع سنوات. وكان المأمول أنه سوف يدرك نتائج أعماله هذه وتظهر آثارها وظهورها. إلا أنه اخترمته المنية، وانقضى أجله المحتوم(١).

فأم بما يعود لحكومته بالنفع. ولم يلاحظ أن الموظف المتعصب يضر بالأهلين. ولعل سبب ذلك ما قاله صاحب التاريخ المجهول من التشديد على الأهلين وأبو الثناء الآلوسي يذكر ما تألم به منه في الطريق، ويقول: لا يميز قدر فضل

اليهود في أيامه

«من أهم من يصح ذكرهم آل دانيال وهم صالح دانيال وإخوته، تقدموا عنده، وكانوا في أيام الشيخ وادي شيخ قبائل زبيد يضمنون بعض الأراضي والبقية يشترونها بالسلف قبل أوان الشلب وحلول موسمه..

وفي أيام هذا الوزير أيضاً قويت كلمتهم، وامتزجوا معه امتزاج

(١) مرآة الزوراء ص ١٣٧

منظر نهر الفرات في الحلة - عن رحلة مدام ديولافوا

الماء مع الخمر، وانتفعوا منفعةً بيّنةً، كل ذلك بالتفات الوزير لهم وتبيينهم له وجه المنافع الجارية على غير المعتاد، بظلمهم على العباد، إلى أن توغلوا في الأمور، وتقدموا عنده حتى إنهم أخفوا عليه الحال وأخذوا يأكلون من أموال الميري لتوجهه لهم، ولم يستيقظ من هذه الغفلة إلا قبل موته بأيام قلائل، وقد آل أمرهم إلى أن ما كان يزرع في ملحقات بغداد من حنطة وشعير أو رز يشترونه ويحتكرونه حتى تعلو أسعار ذلك، فيبدأون ببيعه حسب مرامهم. هذا مما ثبت عند الخاص والعام صراحة وإعلاناً منهم بيّن، وقد انقطع سبب البائعين والشارين من الأهالي والسكنة، فصار الطعام محوزاً ومدخراً تحت أيديهم، فأسعار الطعام غالية دائماً في بغداد ونواحيها..

وهؤلاء اليهود هم أساس فساد المملكة يلقون الفتنة بين شيوخ الأعراب والولاة، فاستقام أمرهم (١٥) سنة بهذه الكيفية إلى مدة انتهاء هذا الوزير. وهم باقون على هذه الحال، وقد جمعوا دراهم جمة. ولو أردنا أن نذكر كل ما عملوه لطال التحرير، وقصر التقرير، ولكن أوجزنا التسطير في ذكر أصحاب التسعير.

وقد وضعوا بدعاً في أراضي الهندية لم تكن في الزمن السالف، ومن ذلك أن موطناً فيه ماء يقال له (أبو بغال)، جعلوا عليه أعواناً يأخذون من المار إذا كان راكباً أو كان حمل على دابته قوارب (كذا) ثلاثة دراهم ونصف، مضاعفوه، وبدأوا يأخذون خمسة عشر قرشاً وأحياناً عشرين قرشاً، ومع هذا يضمنونه من الملتزم بثلاثين ألف قران[1]

---

(١) القران يطلق على البيشلك. ثم صارت قيمته قرشين صحيحين. وأصله نقد إيراني أوضحت عنه في كتاب النقود العراقية. وذلك أن فتح علي شاه في السنة الثالثة من سلطنته أمر أن يضرب على نقوده لفظة (صاحبقران). وتداول استعماله بتخفيف هذا اللفظ فصار يطلق على النقد المضروب (قراناً) وشاع كذلك.

ويلزم بأيديهم (٢٣٠,٠٠٠) قران وسبب ذلك أن الملتزم لتلك الأراضي لا بد أن يقدم كفيلاً، وهم يكونون كفلاء لضامن بشرط أن يضمنهم (أبو بغال) المكان المذكور، فيضطر الملتزم إلى إعطائهم ذلك بثمن بخس، ويحصل الضرر على الضامن، وتحصل محذورية على أموال السلطان»اهـ[1]

وعميد أسرتهم في أيامنا مناحيم دنيل توفي في تشرين الثاني سنة ١٩٤٠م وكانت ولادته في أيار سنة ١٨٤٦م. وتوفي ابنه العين عزرا مناحيم بلا عقب في آذار سنة ١٩٥٢م ـ ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١هـ وكانت ولادته سنة ١٨٧٤م.

نظرة في أعمال هذا الوزير

طالت مدة حكمه خمس سنوات. وكان أول ما قام به تحسين الحالة الاقتصادية في البلاد لا سيما الزراعة، وشجع قسماً من العشائر على الاستقرار. أقطعهم أراضي واسعة. وهو أول من استقدم البواخر لنقل البضائع التجارية بين بغداد والبصرة، واستدعى كبار المتمولين ببغداد، وفاوضهم في تأسيس شركة كبيرة لهذه الغاية، فأوصت هذه الشركة المعامل البلجيكية بصنع باخرتين (بغداد)، و (البصرة) ولكن الوالي مات قبل أن تصلا إلى بغداد أو لم تصل إلا واحدة منهما

هذا وإن أسواء الماضي كثيرة، فتولدت قناعة في أن الولاة كلهم من نوع واحد، وأنهم لا تمايز بينهم، فصارت حوادثهم تصرف إلى العكس ولا شك أن العمل النافع يذكر صاحبه ولو بعد حين

وأعماله الأخرى المارة مهمة وليس لنا إلا أن ندوّن اختلاف وجهات النظر. فإن صاحب التاريخ المجهول كان ضيق الفكرة. يكتب

---

(١) التاريخ المجهول.

ما سمع من التذمرات، ولم يبصر بعيداً. وهذه الأعمال لا تنكر ولكن حرصه على منفعة الدولة وإصراره بالأهلين مما جلب النقمة عليه.

وفي سجل عثماني أنه مملوك حسن باشا وكان أحد ضبط الجيش، أرسل إلى أوروبا للتحصيل، ولما عاد عهد إليه بالمدفعية العامرة، ثم صار فريقاً هناك، وهكذا تقلب في مناصب كبيرة حتى إنه في ذي القعدة سنة ١٢٦٧هـ (كذا) ولي منصب بغداد ومشيرية العراق والحجاز وفي المحرم سنة ١٢٧٤هـ (كذا) توفي وكان ماهراً في الفنون، قديراً في أمر الإدارة، كسب صيتاً حسناً ببغداد وكان له ابن صاحب ثراء[1]

والأستاذ أبو الثناء الآلوسي تذمر من هذا الوالي وبين أنه لا يميز قدر فضل فكان أبلغ وصف وبعل السياسة حذلته، فكان آلتها الفتاكة فأهملت شأن مثل الأستاذ أبي الثناء ولم يكن أول سارٍ عزّه قمر لقت الدولة تدقيقات سيئة فحرمته من كل ما كان يأمل، وسلبته وظائفه الدينية

مفتي بغداد الأسبق

(الطبقچه لي)

في شوال هذه السنة توفي مفتي بغداد الأسبق الأستاذ السيد محمد سعيد الطبقچه لي وهو ابن العلامة الشيخ محمد أمين من بيت علم ومن أبناء عمه الأعلى الأساتذة السيد محمد ووالده المفتي الأسبق أحمد المفتي وكان المترجم ولي الإفتاء ببغداد في أول مجيء الوزير علي رضا باشا اللاز وبعده ولي الإفتاء الأستاذ عبد الغني جميل وبعد عزله

---

(١) سجل عثماني ج ٢ ص ٢٩٣

عاد إلى الإفتاء ثم خلفه الأستاذ أبو الثناء الآلوسي. ويعد من أفاضل المدرسين. وكان من أساتذته والده وعبد الرحمن الروزبهاني. وله مؤلف في تقسيم العلم قدمه إلى الوزير داود باشا وعندي مخطوطته. ومن أولاده السيد محمد نافع والد الأستاذ صاحب المعالي فخري الطبقجه لي ووالد الأستاذ عطا الطبقجه لي. وللمترجم أخ هو محمد أسعد من أفاضل العلماء واسمه جابر وأولاده في محلة... وآل القبارة وآل مصطفى الخليل من أولاد أعمامهم[1].

حوادث سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٧م

الوزير
السردار الأكرم عمر باشا

قدوم الوزير الجديد:

في يوم وفاة الكوزللكي كان من الموجودين أشد من رجال الدولة السيد مصطفى فائق الدفتري المرسل من جانب الدولة، وخيري باشا المنصوب على الجيش النظامي[2] وكلاهما عاجز عن سياسة الحكومة، فاستحسن وجوه البلد والرؤساء وغيرهم ممن له يد بالحكومة أن يكون الدفتري قائممقاماً إلى أن يأتي الوالي الجديد إلى بغداد من جانب الدولة وقام بأمور العسكرية خيري باشا، ولا يتعاطى الحكومة وإنما تعهد (بالنظام) الجيش النظامي، والاثنان لم يقطعا في أمر مهم، وبعد شهرين انتشر الخبر في البريد وجاء إلى بغداد أن حضرة السلطان أنعم على عمر باشا السردار الأكرم بوزارة العراق مع انضمام ديار بكر والموصل

---

(١) المسك الأذفر ص ٩٦ وهناك ترجمة ولده محمد أمين وأخيه محمد أسعد.
(٢) المعروف أنه (النظام) مخصصاً من الجيش النظامي.

وكركوك واربل وما حولها من قرى الأكراد ومن بغداد والمشاهدة إلى البصرة.

نزل من هناك في مركب دخان (مركب بخاري) وقدم حلبًا، ومنها مرّ بالسنجك (قضاء عانة) وصل إلى عانة، ولم يعبر منها حتى توجه إلى هيت، فعبر قبل أن يصل إليها، وجاء على طريق الجزيرة إلى الصقلاوية، ودخل بغداد من الجانب الغربي من باب علاوي الحلة، ومعه العساكر النظامية والسوارية أي (الفرسان الخيالة) والهاينة ويزيدون على الأربعة آلاف.

وكان دخوله بغداد يوم الخميس الساعة الخامسة (عربية) نهاراً في ٤ من شهر رجب سنة ١٢٧٤هـ ولما دخل بغداد عبر الجسر[١] .

والصواب أنه دخل بغداد يوم الخميس ٤ شهر رجب الموافق ١٨ شباط سنة ١٨٥٨م.

وقال الأستاذ سليمان فائق إنه دخل بغداد في ٥ رجب، وفي اليوم السابع قرىء الفرمان بالوزارة وهنأه بها الرفيع والوضيع.

أخبرني الفاضل الأستاذ (بيتولد ريكوفسكي) المستشرق البولوني أن عمر باشا هذا أصله مجري (هنغري) ومثله في تاريخ الشاوي دخل الجيش التركي مسلماً وكانت له المكانة في الجيش وصحبه إلى بغداد ضباط پولونيون منهم (إسكندر باشا) وهذا جرح في فتن الحلة في طويريج.

وكل ما علمته منه أن إسكندر باشا أصل اسمه (إيلي نيسكي) وكان متزوجاً ببنت اسمها فاطمة من بوسنة. وبعد أن جرح عاد إلى استنبول

---

(١) في الأوراق نقص لما بعد ذلك، فبقي بياضاً ولعله بيان الاحتفال الذي أجري له. التاريخ المجهول

وكان قائد فرقة فمات سنة ١٨٦١م وجعلت الدولة تقاعداً لبنته أمينة...

وهذا الوالي جعل نصب عينيه أمر تشكيل الجيوش النظامية، واتخاذ أساس لها يعول عليه ولتأمين ذلك قام بأعمال من شأنها أن أفسدت عليه أمره، فلم يراع حسن الإدارة أو السياسة المقبولة ويتعين هذا مما جرى من وقائع أيامه، فخابت آمال حكومته فيه، ولم يقم بالأمر بوجه صحيح. ولا دارى الأهلين بحكمة وتدبير.

قال في مرآة الزوراء:

«السردار الأكرم عمر باشا[1] ولي بعد وفاة رشيد باشا الكوزلكلي. ذاع صيته، وولد رعباً في الأوساط والأهلين وفي ثالث يوم وروده هدم القلاع في أنحاء الديوانية والهندية دفعة واحدة، وأمر بإخراج (الهايتة) من الجيش وهم المعروفون بـ (باشي بوزق) دون تريث، وطلب من جميع الجهات الحدية في المدن والعشائر وسارع في الأخذ ذلك ما ولّد اضطراباً في الأهلين والعشائر. فرأوا هذا الحادث أشد من وقع الصواعق ولكن الوزير كان تأثيره كبيراً - أصابهم الخوف منه، فلم يستطيعوا أن ينسوا بنت شفة ملأ الرعب قلوبهم

وفي خلال بضعة أيام تمكن من أخذ خمسمائة نفر من بغداد وحدها، وسارعت القرى المجاورة في الإرسال وجاء الخبر من قائممقام خراسان[2] ينبىء أن الأهلين والعشائر تركوا مزارعهم وهربوا من أوطانهم وكذا ظهرت ثورات وقلاقل من جراء ذلك في العشائر والمواطن المختلفة. فزادت الاضطرابات في كل موطن، وأدت الحالة

---

(١) في مجموعة الآلوسي رقم ٢٥٩١ سماه عمر لطفي باشا وجهت إليه وزارة بغداد في المحرم سنة ١٢٧٤ هـ.

(٢) يقال له خراسان وخريسان والأصل طريق خراسان مخفف والآن يسمى (لواء ديالى). ونهر خريسان هو النهر الذي يسقي القرى وأصله نهر طريق خراسان.

إلى وقوف الأعمال ولكن عزم الوزير لم يصبه فتور، وصار يبعث بالجيوش متوالية لإسكان الفتن. واستمر في أخذ الجندية من الحلة والنجف وكربلاء وما جاورها من الأنحاء العراقية ولم يطرأ خلل على همته.. حتى إنه تولى قيادة الجيش بنفسه لعشائر الشامية والهندية فأبدى القدرة والكفاءة في إدارة الجيش فعلاً، وبرهن على تغلبه على الغوائل بأدنى همة. إلا أنه رأف بالناس، وأهمل أمر تجنيد الجيش النظامي[1].. من أعماله

١ ـ هدم القلاع:

كان الكورلكلي قد عمر سبع قلاع في أنحاء الهندية، وأطراف سوق الشيوخ، فأمر بهدمها، وسرّح من فيها من الهايتة. ولا نزال نشعر بضرورة بقائها، أو بناء قلاع جديدة. فلما عاين الأعراب في أنحاء الهندية ذلك عادوا لا يعأون بالوزير ولا يخافونه.

٢ ـ الهايتة:

يشتغلون في الجيش براتب فسرحهم هذا الوزير. وكان لهذا الأثر السيىء بأطراف الهندية وغيرها. وأمله أن يأتي بالجيش النظامي محله إلا أن الموانع من تشكيله كانت كثيرة.

٣ ـ إكرامية:

كان هذا الوالي يظن أنه إذ أكرم وجوه البلد وأنعم عليهم ببعض المنح يأمن كل غائلة، ويتمكن من تنظيم الجيش الجديد، فلا يجد معارضاً. فأكرم القاضي والنائب والمفتي والنقيب والسيد أحمد الموالي وأعضاء المجلس كل شخص خمسة آلاف قرش صاغ، وللنقيب

---

(١) مرآة الزوراء ص ١٣٨.

والمفتي والسيد أحمد كل واحد سبعة آلاف وخمسمائة قرش صاغ وللقاضي والمفتي لكل واحد منهم عشرة آلاف قرش صاغ فبلغت ٦٣ ألف قرش صاغ، ومنهم من أهل الذمة واحد من اليهود، وآخر من النصارى.

وهذه تلقاها الناس إسكاتاً لا كرماً منه لأنه يريد أن يحرر مضبطة ويرسلها للدولة العلية، فإذا طلب أن يختموها فلا يترددون يحاول أن لا يخالفوا رأيه فيما يريد..

والملحوظ أن مما ذكر من هدم القلاع وتسريح جيش المهدية لا يبعد أن يكون قد قصد بها التخويف، ويقع الرهبة ليقوم بأعماله، ولكن لم يخف على الناس أمره، فولدت شعث والحق أنه لم يكن للقلاع شأن إلا المحاصرة لمدة، فالنهاية غير خاصة منها، والإمداد لم يكن سريعاً.. والحكومة فقدت هذه الفائدة أيضاً، ولا تزال إلى اليوم تشعر بفائدتها ما دامت الدولة تشعر بضعف.

٤ ـ الجيش النظامي:

كانت آمال هذا الوزير مصروفة إلى إيجاد جيش قوي لحراسة المملكة، والاحتفاظ بكيانها من الأعداء المتربصين لها من كل صوب، يلتمسون مواطن الضعف وهذا الأمر تولى سمرة من تاريخ تأسيس الجيش النظامي وقانونه فلم يتمكن الولاة من تنفيذه في العراق بالرغم من الجهود المبذولة وكان الإخفاق حليف هذا الوالي أيضاً

ويوضح نفسية الأهلين في أيامه ما جاء في التاريخ المجهول. قال:

«لا يدرك ـ الوالي شيئاً من سياسة الحكومة وخرب ما حول بغداد بعدم تدبيره وغروره، لأنه أراد من جميع العرب القاطنين حول

البلد (عساكر نظام). وهذه الإرادة منافية لطباع العرب الساكنين بنواحي بغداد، ويفرون منها فرار الجبان من الأسد» اهـ.

آراء الأهلين كانت بهذه المثابة ملّوا الظلم، ولا يريدون أن يخدموا في دولة لا علاقة لها بالشعب ولا يرغبون في تقوية ظلمها عليهم.

وجاء في التاريخ المذكور:

«في يوم الأربعاء ١٣ شوال الساعة ١١ طلع الوزير من بغداد إلى أطراف الحلة ليمهدها، ويرتب قوانينها وفق الإدارة اللائقة أو على حسب إرادته، ولم نعرف ما يحدث من مرامه، وأخذ معه الكهية، والشيخ بندر شيخ المنتفق المعزول، ومحمد أمين أفندي كاتب العربية[1]، وصالح اليهودي ابن دبيل والخلاصة قد أمر على أهل الحلة خمسين نفراً بطريق البدلية، فضجروا من ذلك، وأخذوا بالفرار من بلدهم، ثم استغاثوا به، فلم يغثهم حتى أنهم قد حرروا عرضاً، وجاء به مقدار مائة رجل فأكثر، وصاحوا صيحة واحدة فأهالوه، وأنكر منهم ذلك، ومع هذا فإن سكنة الحلة ليس عندهم داركة أو معرفة ولا نباهة كنباهة أهل بغداد، فإنه لما قرأ الفرمان على أهل بغداد، فرؤساؤهم ووجوه أهل بغداد قد أتوا بأولادهم مقادير طوعاً منهم وأدخلوهم في السراي حتى إن المفتي أتى بولده وأدخله النظام، وكان إذ ذاك المفتي بذاك العصر محمد أفندي الزهاوي.

ومن بعد ذلك لما عاين الوزير امتثال أهل البلد (بغداد) وانقيادهم له، كل من أدخل منهم ولده. وأتى بدل عنه رضي بذلك، وأخرجوا أولادهم. ولما عاين الوزير ضجر أهل الحلة وعدم انقيادهم له وشاهد

---

(١) هو محمد أمين العمري المعروف بـ (الكهية)

منهم التكلف، وهم صاحون، صاحون أمامه في الطرق والأسواق، أمر بمسك كل من جاء إليه بالعرض وهم كثيرون فمسك منهم مقدار مائة نفر، وأخذ منهم أربعين نفراً وسرّح الباقي.

فالخلاصة برجاء والي بلدهم القائممقام جعل الذين يؤدون بالبدلية ثلاثة وأربعين نفساً. والذين مسكهم مقدار أربعين نفساً منهم من بقي في النظام بلا بدل لضعفه، ومنهم من أتى ببدل عوضاً عنه وأطلق نفسه من النظامية.

وعلى أهل الحسين (كربلاء) جعل خمسين نفساً، وأخذ منهم بالبدلية ثم تحركوا بحركات فاسدة وقتلوا اثنين من أهل البلد، واحداً من كربلاء وآخر نظام، وهربوا، ورأى منهم العيلة والخيانة ويظهر منهم إشارة خلع الطاعة، فأمر النظام وأدخل عليهم عسكراً وافراً وأمر بمسك كل من يصادفونه فصادفوا مقدار ثلاثين نفراً فمسكوهم غصباً وأتوا بهم إلى بغداد مقيدين، ذليلين، وأدخلوهم إلى النظام.

وجعل على المشهد ثلاثين نفساً، فلما عاين أهل النجف ما فعل بأهل الحلة وأهل كربلاء أبانوا وجه الطاعة وامسكوا ثلاثين نفساً بدلاً عنهم، وأتوا بهم إلى بغداد بالطاعة والانقياد وخلصوا مما حصل من الوزير على القريتين المذكورتين.

ثم أراد الوزير من الأعراب الذين هم بأطراف الهندية ونواحيها، ومن الشامية والديوانية، من أهل الهندية تسعين نفساً، ومن الديوانية والشامية من الأعراب الذين هم حول الديوانية مائة وثمانون نفساً، فجميع الأعراب الذين هم بأطراف الحلة خلعوا الطاعة، وأبانوا المحاربة والقتال، ونهبوا أموال المترددة لا سيما الخزاعل، فإنهم قد خلعوا الطاعة، وكان إذ ذاك الرئيس على أعراب الخزاعل

ومن والاهم مطلق[١] بن كريدي

ولما أظهروا عدم الطاعة قد سيّر عليهم الوزير عسكراً من بغداد وكان الأمير على العساكر (شبلي باشا)، ثم أتبعه بعسكر ثان وعليهم الرئيس إسكندر باشا[٢]

والخلاصة أمدهم بأربع دفعات من العساكر النظامية والسوارية (الخيالة) والهايتة ووقعت بينهم حروب دفعات، وفي الأكثر تكون النصرة للأعراب على عسكر الوزير المذكور إلى أن آل الأمر إلى أن شبلي باشا أراد الصلح معهم وأخبر بذلك الوزير، فقال له الوزير لا تتصالح معهم إلى أن آتيك» اهـ[٣]

وفي تاريخ الشاوي ما يكمل هذه الوقعة بتفصيل أكثر مما لا محل لذكره.

ومن هذا النص الحرفي المنقول على علاّته ظهرت الحالة ولضعف الدولة، وحاجتها إلى استخدام الجيش في مواطن أخرى سبب كبير في عدم الإصرار على أخذ الجندية. وقد جرت تطورات متوالية في ترتيب الجيش وتنسيقه حتى تكامل. عزمت الدولة على تطبيقه. وإن عمل الوالي لم يكن من تلقاء نفسه. وفي سنة ١٢٦٥هـ طبع (بيان القرعة العسكرية)[٤]

(١) مر ذكر والده كريدي. والخزاعل ذكرتهم في عشائر العراق ج ٣ ص ٢٤٥.

(٢) إسكندر باشا بولوني خرج في طوبريخ. ذكره لي الأستاذ ميتولد ريكوفسكي المستشرق البولوني المذكور سابقاً.

(٣) التاريخ المجهول.

(٤) طبع باللغة العربية. منه نسخة في خزانة الأوقاف رقم ٤٧٨٤.

حوادث سنة ١٢٧٥هـ ـ ١٨٥٨م

بقية الحوادث السابقة:

قال المؤرخ المذكور:

«ثم طلع الوزير في المحرم بنفسه، ومعه حملة عسكر، ونازلهم إلى أن تنحوا عنه، ولحقهم بني أطراف السماوة بلا قتال منه ولا منهم ثم في آخر المحرم وقعت محاربة بين الأعراب وبين عساكر الوزير ونشبت الحرب فيما بينهم مقدار ست ساعات، وانتصر الأعراب على العسكر وقتل منهم مقدار خمسمائة نفس، وقتل القليل من الأعراب، ثم في اليوم الثاني ارتحل العسكر عن مكانه بأمر الوزير، ونزل الحربوعية وفي اليوم الثالث ارتحل ونزل هو وعساكره الحلة خائفين، ولو لم يرحل وجنوده معه لبيتوه ليلاً وهجموا عليه وعلى معسكره وأكثروا فيهم القتل حتى إنه لما كان في مقدمه الأول وهو وعسكره أمامهم هاجوا عليه في الليل وهجموا على العسكر، وقتلوا مقدار مائة نفر فأكثر

ولما ظعن العسكر وهو معهم ودخل الحلة أعلم الناس أنه يريد سد الهندية التي هي مدار قوة العرب لأنه ما زالت الهندية مكسورة لم يقدر عليهم الوزير حيث إنهم يتحصنون بأهورها وبطائحها، ويعيشون في أطراف الأراضي البعيدة ولم يتمكن منهم الوزير ولا عسكره، لأنه يكون ما حولهم من جميع الجهات ماء محيط بهم مقدار ست ساعات، وبعض الأماكن أكثر وأمر بإرسال عشرة آلاف جراب وخمسمائة مسحاة لأجل سد الهندية والدفتردار قائممقام في بغداد قد أمسك بما أراد الوزير من الجربان...» اهـ[1].

وهنا تنقطع الحوادث وقد عرفت الأوضاع، وأن الوزير علم أنه

---

(١) التاريخ المجهول.

لا يتمكن على الأعراب. وأكبر مانعة وجود الأهوار، فهي عثرة في طريق الجيش.

ولم يكن قد حسب لها حسابها حتى شاهدها عياناً، وكان يظن أن الجيش الموجود لديه يكفي لقضاء على غائلة العشائر في حين أن القوة وإن كان لا يستهان بها وكافية للتنكيل بهم إلا أن الموانع الأرضية والأوضاع الطبيعية لم تحقق آماله، فقام بمهمة سد الهندية وأظهر ذلك تعميراً لمغلوبيته، وفي كل أعماله هذه لم ينجح إلا أنه أبرز قدرة وأظهر شجاعة بالغة الحد، وليس من الصواب توجيه اللائمة عليه وإنما كان ذلك منهاج دولته كما تقدم فاختررته إلا أنه لم ينجح.

أخبار الشاه ـ الهماوند:

«في هذه الأثناء وردت الأنباء بأن ناصر الدين شاه وافى إيالة (سنة) بجيش يبلغ عشرين الفاً. فاضطربت عشائر الحدود العراقية لهذا الحادث وقلقت راحتهم، وإن السردار نهض بما تيسر له من الجيش وسار نحو الحدود فورد السُليمانية، وهناك عَلمَ برجوع الشاه

أما الوزير فقد اتخذ وجوده وسيلة للقضاء على غائلة (الهماوند)، لما قاموا به من سلب راحة الأهلين، وإيقاع الأضرار بهم من نهب وغصب.. فمضى إليهم الوزير ودمرهم، كما أنه جنّد ما استطاع تجنيده من لواء شهرزور، وأقام بمهمة تحكيم القلاع وإنشاء ما يقتضي من تحكيمات في الحدود، ورتب الأحوال هناك بالوجه المطلوب..» اهـ[1].

وهذه القبيلة ضربها السردار الضربة القوية ذلك ما دعا أن تتألم دولته للحادث فغضبت من فعلته. ولعلها كانت تريد أن تماشي هذه القبيلة حذر أن تستغل إيران وضعها، وتجلبها لجانبها ففاجأه الباب

---

(١) مرآة الزوراء ص ١٣٨، وبغداد لنجيب شيحة

العالي بالعزل ولم يوافق على ضربه[1] ولعل تشويش الحالة بسبب الجندية مما أدى إلى عزله فاتخذت قضية الهماوند وسيلة وإلا فإن الهماوند لم يدمروا بل لا يزالون على ما هم عليه. ذكرتهم في كتاب عشائر العراق الكردية[2].

غزية:

«بعد أن أتم الوزير مهمته في لواء شهرزور علم أن قبيلة غزية عبرت الفرات، وعاثت في أنحاء بغداد فأحدثت أضراراً كبيرة، وكثيرة، وألحقت بالناس خسائر وكان قائد الجيش في بغداد علي باشا وهو ابن السر عسكر حافظ باشا وكان أخرق، عارياً من كل دراية، غير متصف بصفة الإنسانية . خالياً من كل لياقة وكان عارفاً به، فلم يعتمد عليه، وفي خلال ثلاثة أيام سار الوزير كالبرق الخاطف بما لديه من الجيش فوصل إلى قرية دلّي عباس وصار يتحرى موطناً من دجلة للعبور على هذه القبيلة، قال الأستاذ سليمان فائق وفي الأثناء كنت ـ أنا قائممقام خراسان ـ حاضراً هناك لاستقبال الوزير، فأعلمته أن أولئك العربان مضوا إلى الشامية، وعبروا الفرات فعادوا. .» اهـ[3]

والملحوظ أن غزية متكونة من مجموعة عشائر منها (الحميد) حميرية، والرفيع، والبعيج وعشائر أخرى ملحقة بها. ذكرتها في المجلد الرابع من عشائر العراق ويعدون في عداد الأجود. وكانت إمارتهم كبيرة ولها مكانة إلا أن أكثرها مال إلى الأرياف.

---

(١) مرآة الزوراء ص ١٣٨

(٢) عشائر العراق الكردية ص ٧٧.

(٣) مرآة الزوراء ص ١٣٩.

حوادث أخرى:

١ ـ تعمير في مشهد الحسين رض:

قد وسّع الشيخ عبد الحسين الطهراني المرسل من قبل ناصر الدين شاه ابن محمد شاه القجري الصلح الغربي وجدد بناء الصحن الشريف الحسيني. وأنشد الشيخ جابر الكاظمي الشاعر تاريخاً لهذا البناء بالفارسية في عدة أبيات، وله تاريخ بالعربية أيضاً[١]

٢ ـ الغلاء وأسعار الأطعمة:

في هذه السنة بل في حكومة السردار الأكرم صار غلاء في بغداد، فكانت وزنة الحنطة بسعر (٤٥٠) قرشاً رائجاً، والشعير بسعر ٣٠٠ قرش رائجاً[٢].

وفاة الشيخ عبد الرحمن الطالباني:

من مشاهير شيوخ الطريقة القادرية. وهو ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ محمود. عاش في كركوك وتكيته فيها مشهورة في الطريقة ذكراً كبيراً. وأثنى عليه في سياحتنامة حدود. ومن مؤلفاته (مثنوي) و (ديوانه) و (ترجمة بهجة الأسرار). توفي في جمادى الأولى سنة ١٢٧٥ هـ. وآل الطالباني معروفون. ذكرته في الأدب التركي والفارسي[٣]

حوادث سنة ١٢٧٦هـ ـ ١٨٥٩ م

عزل الوالي:

انفصل السردار الأكرم عن بغداد ومشيرية العراق والحجاز يوم ٢٧

---

(١) التاريخ المجهول ومرآة الزوراء ص ١٣٩

(٢) مجموعة الكليدار السيد عبد الحسين

(٣) ترجمته في عثمانلي مؤلفري وفي كتاب مشاهير الأكراد

صفر سنة ١٢٧٦هـ (٢٥ أيلول سنة ١٨٥٩ م)[١] على ما جاء في مرآة الزوراء: «إن الوزير في مدة يسيرة وقف على حالة العراق، واطلع على نفسيات الأهلين، فعرف خطأه فيما زاوله من الأعمال الجسيمة المختلفة بسرعة وعلى عجل، فعاد إلى صوابه، ورجع بحسن تدبير عن بعضها، وشرع في بعض المهام حسب طبيعة الأمور ومجراها، وأدرك حالات الموظفين رديئهم وجيّدهم، وفرق بين الأهلين. ولكن حادث الهماوند كان قد قام به دون استئذان من الدولة، فقبل بعض أهل الشقاوة منهم، ذلك ما اتخذه أنداده في استول وسيلة للتشنيع عليه مما أدى إلى عزله ودعا إلى عرقلة سير الأعمال» اهـ[٢]

إن الدولة كانت لها سياسة خاصة مع الهماوند فلم تشأ إضاعتهم، وأن يخرجوا من يدها فيلجأوا إلى إيران فتخسرهم، ولها الأمل أن تستخدمهم عند الحاجة، ولكن الوزير لم يستطلع رأي دولته في ضربهم. فلم يدرك نواياها وعجل بالأمر مما دعا أن تتدارك الحالة بعزله أو جاء هذا ضميمة إلى ما أوجب المعروض أعمال أضرت بالأهلين

والسبب الأصلي خذلانه في أمر التجنيد وفي معارك عشائر الديوانية وتلك الأنحاء.

كان خروجه من بغداد في ١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٧٦هـ (١٥ تشرين الثاني سنة ١٨٥٩ م)[٣].

والملحوظ أن هذا الوزير كان في أيامه الدفتري مخلص باشا، و(الكهية) الأستاذ عبد الباقي العمري، فأخذ مخلص باشا بعض الأعمال المنوطة بالكهية تحكماً منه، فكتب العمري إلى الوزير بعض الأبيات

(١) مجموعة الآلوسي رقم ٢٥٩١

(٢) مرآة الزوراء ص ١٣٩

(٣) مجموعة ابن جموشي

فاستجلب رضاه، وأعاد لقلمه الأشغال التي أخذها الدفتري منه[1]..

وله مقطوعات في مدحه أيضاً.

الوالي مصطفى نوري باشا
كاتب السر

وجهت ولاية بغداد إلى عهدة هذا الوزير في غرة ربيع الأول من سنة ١٢٧٦ هـ. ودخل بغداد في ١٢ شعبان سنة ١٢٧٦ هـ[2].

قال في مرآة الزوراء: «كان السبب في شلّ حركة الحكومة. لا يستطيع أن يكتب اسمه، ومع هذا يعرف بـ (كاتب السر) فأدى نصبه إلى سلب الأهلين ومالية الدولة. ورد بغداد. وكان لا يعرف إلا الأكل والبلع مادة ومعنى، فهو شغله الشاغل، وفي أيام حكمه نحو ١١ شهراً أضرّ بمالية الدولة نحو ثلاثين ألف كيس بلا مبالغة. وكان كتخداه محمد باشا الميرميران واسطة الرشوة. كان لا يتأخر عن الأخذ من مجيدي فضة واحدة إلى ألفي كيس، وصار قدوة الموظفين في الارتكاب. وأخبار هؤلاء كانت تلوكها الألسن في المجالس والمحافل، وحكاياتها تنقل إلى مسامع العالم بواسطة الجرائد. الأمر الذي دعا إلى أن ترسل الدولة سليمان بك أحد الأمراء العسكريين للتحقيق عن أحواله، فجاء بغداد، وفي مدة قليلة أتم مهمته وعاد إلى استنبول. فكانت النتيجة أن عزل.. فأنقذت مالية الدولة من النهب، ونجا الأهلون من الارتكاب والغارة..» اهـ[3].

وهنا لا ننس أن الأستاذ سليمان فائق كان عارفاً بأحوال الولاة

(١) ديوان العمري ص ٤٣٠ و ٤٢٧ و ٤٢٨.
(٢) التاريخ المجهول ومجموعة الألوسي رقم ٢٥٩١.
(٣) مرآة الزوراء ص ١٤٠.

والموظفين ينطق بالكثير مما لم تتيسر معرفته لمن كان خارج الوظيفة، أو لم يكن بوظيفة مهمة تستدعي الاطلاع سرد أحواله . وأشار إلى ما هنالك من إسرافات، وبين أن من جملته ما كان يعطى إلى الوالي من المصاريف السفرية. وهي نحو ألفي كيس..

البو محمد ـ العمارة

في أيام هذا الوزير أظهر الشيخ فيصل رئيس عشائر البو محمد في لواء العمارة العصيان على الحكومة وكان ذلك اعتماداً على ما حصل بيده من المدافع بواسطة بعض الأمراء الإيرانيين. فعند ذلك أرسل الوالي للتنكيل بهم وتأديبهم أمير اللواء محمد باشا الديار بكري ومعه من الجنود النظامية والهيتة مع المهمات والمدافع وغيرها الشيء الكثير فأتى إلى المحل الفاصل بين دجلة ونهر الجحينة (الكحلاء).

وكان البو محمد جمّاً غفيراً فرماهم أمير اللواء محمد باشا بالبنادق والمدافع وفرق جموعهم، وأنزل الجنود والعساكر في محلهم واتخذه مقراً للأردو أي الفيلق وإلى الآن يدعو عشائر العمارة ذلك المحل بـ (الأوردي).

مرّ الشيخ فيصل وقومه إلى المحل المسمى بـ (الرير) الواقع على الجحلة وفي وسط أهوار العمارة وله فيها حصن حصين (قلعة). وفي أطرافها قرية. فلما علم بذلك أمير اللواء ساق الجيوش خلفهم وحاصرهم في قلعتهم واستولى عليها وأخذ المدافع التي بأيديهم وغنائم كثيرة جاء بها إلى بغداد[1].

---

(١) تاريخ الشاوي ص ٤٢. وجاء ذكر البو محمد في كتاب عشائر العراق ج ٣ ص ٦١ وفيصل هذا هو ابن خليفة وكان لا يزال في قيد الحياة أيام مصطفى نوري باشا وما جاء في (موجز تاريخ عشائر العمارة) من أنه توفي سنة ١٢٧٢ هـ غير صواب (ص ١٨)



منظر مدينة كربلاء ـ عن رحلة مدام ديولافوا

ومن محل الأوردي (القيلق) بقي محافظاً على اسمه مدة وفي أيام الوزير نامق باشا أعاد الأوردي إلى محله. وهناك تجمع كثيرون. ومن ثم تكونت المحلة باسم (العمارة) ويأتي الكلام عليها.

المنتفق:

إن هذا الوالي من حين وروده نقض ما كان أبرمه رشيد باشا فاستهان بالمنتفق (كذا قيل)، وعد نفسه قادراً على إخضاعهم متى شاء، فالمعى أن يكون سوق الشيوخ مقراً للجيش واتخذ وخامة الهواء وعفونته سبباً، ولم يعرف ما حمله ولا كان في الإمكان سد الأنهار بصورة محكمة، والتسلط على المنتفق عند حدوث مخالفة من الشيوخ[1]

أبدى ذلك سليمان فائق بك وقال: والسياسة الصحيحة مكتومة طبعاً وكأنه لا يعرف ضعف الحكومة، أو أراد أن يستر أمرها وبين أن الوالي دفع الجيوش المرابطة وأعاد للمنتفق سلطتهم. وأرجع إليه ما أخذ..

قال الأستاذ سليمان فائق إن الوزير فعل ذلك تبعاً لإرادة مخلص الدفتري ببغداد وبذلك حاول ستر الوضع فالدولة كلما شعرت بضعف تركت الحالة فلا تعرض نفسها للخطر، فتقع في غائلة، ومتى رأت من نفسها قدرة وسلطة تدخلت..

وحينئذ عهدت بقائممقامية لواء المنتفق إلى منصور باشا السعدون[2] والقائممقامية تعني المتصرفية إذ ذاك

(١) رسالة المنتفق ومرآة الزوراء.

(٢) سليمان بك رسالة المنتفق، ومجلة لغة العرب، والتاريخ المجهول

حوادث سنة ١٢٧٧هـ - ١٨٦٠م

ولاية أحمد توفيق باشا

أخبر البرق من الموصل بعزل الوالي السابق مصطفى نوري باشا، ونصب أحمد توفيق باشا. فبدأ يعزل وينصب في القائممقامين والموظفين.. وفي ٢٢ شعبان سنة ١٢٧٧هـ ورد الفرمان بالبريد وقرئ علناً في السراي يوم الاثنين بحضور أرباب الحكومة والوجوه حتى المختارين[1] وهذا الوالي كما جاء في مرآة الزوراء ألغى المصاريف السفرية وكانت تبلغ نحو ألفي كيس وأنقذ المالية من الإسراف. وللأستاذ عبد الباقي العمري أبيات في نصبه وأخرى في عزله

وجاء في مرآة الزوراء:

«إن الولاة الذين كانت ترسلهم الدولة لا يعلمون عن العراق، ولا يجدون من الزمن ما يبصرهم به بل قد يكونون في حاجة إلى معرفة بعض أسماء الأهلين والموظفين فلم ترسخ في أذهانهم، وإنما يستدعي ذلك وقتاً طويلاً فكيف يتمكنون أن يقفوا على أحوال العراق وعاداته ومصطلحاته، وهو في كل أمر من أموره يباين الممالك الأخرى.. فلا يستطيع الوالي هذه المعرفة للاتصال بالأهلين خلال مدة ولايته، وإذا كانت البلدان الأخرى متماثلة، فالعراق ليس كذلك. وإن الوالي أحمد توفيق باشا كان قائممقاماً مدة، ودام في رئاسة الجيش نحو سنة. فكان عارفاً بالمهمة، وله كفاءة وقدرة على العمل إذ كان يتطلع للمصلحة من طرف خفي، ويعلم بالنافع والضار فجاء المنصب عن خبرة فاتصل به مباشرة اتصال عارف فمنع الإسراف في المالية وأزال الحيف الذي أجراه الوالي السابق في الالتزامات وتوقى المصاريف الزائدة فاقتصد

---

(١) التاريخ المجهول.

كثيراً. وفرّ نحو عشرين ألف كيس سنوياً للخزينة في خلال شهرين..

ووردت إليه الأوامر السلطانية مشعرة بلزوم التحقيق عما أخذه الوالي السابق، وإظهار ما عمله، ليعلم الناس أن غرض الدولة العدل، والعمل لهدم كل باطل، بلا تحاشٍ ولا محاباة. أما أعضاء المجلس فلا تؤمل منهم الفائدة، ويبهم الجاهل أو الغافل أو المداري الذي يميل مع الأهواء.. أزال مثل هؤلاء فحقّ «مجلس»، ونقّاه من المغرضين الذين لا يعرفون إلا مصالحهم الذاتية، ولا يبالون بالمصالح العامة. والأهلون قد أدبتهم التجارب، بل أفسدت أحوالهم لما رأوا من أراذل جاروا واعتسفوا، فلم يكن لهم بدّ من المماشاة فأفسدوا أخلاقهم، أو رضوا بالبداوة ووحشتها فصاروا لا يميلون إلى الحضارة والحوادث المنسية أكثر مما عرف ودوّن، فكانت أضرار العراق كبيرة جداً، لا تعوّض بوجه..» اهـ[1].

وهل كان في استطاعة هذا الوالي أن يعمر ما دمرته العصور، أو ينقذ القطر من الورطة التي أصابته؟ كنا نود أن نسمع مثل هذه اللفتات والتألمات المقرونة بذكر أعمال أولئك الولاة الطغاة لنعلم الحالة وإنما اعتاد أن يلتفت عند ذكر كل والٍ جديد إلى بيان أحوال الماضين وفي هذا ما يكفي للمعرفة.

الخط البرقي:

وكان يسمى بـ (الخط التلغرافي) ومحله (التلغرافخانه) أي إدارة البرق وهذا الوالي أحمد توفيق باشا قد جرى في أيامه تأسيس (إدارة البرق) وكان ذلك في سنة ١٢٧٧هـ ولم تتم المخابرة إلا سنة ١٢٨٢ هـ.

---

(١) مرآة الزوراء ص ١٤٢.

المنتفق:

جرت في أيام توفيق باشا المزايدة بين الزعيمين في المشيخة وهم الشيخ منصور، والشيخ بندر ناصر آل ثامر السعدون، فأسندت إلى الأخير منهما في ٢٠ شوال سنة ١٢٧٧هـ ببدل سنوي قدره ٤٩٠٠ كيس، والكيس يعتبر خمسمائة قرش[1]

الثلج أو الوفر:

في هذه السنة أمطرت السماء (الثلج) وهو المعروف عندنا بـ (الوفر). ولم يكن يعهد مثل هذا من زمان بعيد[2]

التحقيق عن أسباب عزل مصطفى نوري باشا:

جاء في التاريخ المجهول عن سبب عزله ما نصه

«من جملة الأسباب الظاهرة عياناً (كهيته) الذي هو روح كرمته، فإن الكهية كان متجاهراً بأخذ الرشوات ظاهراً بلا مبالاة، وقد اطلعوا على رشواته عياناً، وقد تحررت مضبطة من جانب بغداد بتدبير توفيق باشا مشعرة بقبول هذا الكهية الرشاوى وأخذها جهراً، وعرضت لدى حضرة السلطان عبد المجيد فقطع رأيه وأرباب مجلسه بعزله، وجاء مصرحاً في المضبطة أن نوري باشا يعلم بقبول الرشوات من الكهية، يأخذها من الأهالي ومن ذوي المناصب والقائممقامية وغيرهم، فلأجل هذا قد عزلوه. وقد تصرح من أحد الرشاوى عند توفيق باشا أن الكهية المعزول قد رتبوا دفتراً بما أخذه من شيوخ العرب والقائممقامية ورؤوس العسكر الموظفة لا النظامية ستة عشر ألف كيس حساب إسلامبول

---

(١) رسالة المنتفق

(٢) مجموعة السيد عبد الله الألوسي. و (الوفر) من (برف) الفارسية وهو لغة قسم كبير من الأكراد يطلقون به (وفر). والواو تنوب كثيراً عن الباء

وفي شهر رمضان المبارك قدم من الدولة العليا عطا بك الملقب بالكاشف على المحاسبة مع الكهية معروف وإثبات الرشاوى، وصار القرار يخرجونه بعد العيد من الحبس لأنه محبوس في أودته (غرفته) التي كان يتعاطى بها الحكومة، وعليه حرس شديد عظام، يخرجونه على إثبات الرشاوى وغيرها وبقي محبوساً ثمانية أشهر، ثم أطلقوه اهـ[1]

وفي سجل عثماني أنه أي مصطفى نوري باشا ابن حسن آغا المقيم في قنديللي مات أبواه وهو صغير، فرعاه زوج جدته جعفر آغا، وكان حارساً قصر كركصو وفي سنة ١٢٢٨هـ استخدم في البلاط الداخلي، ثم دخل دائرة الحربية بسطنبية، فنشأ هناك حتى أنه في ذي الحجة سنة ١٢٣٨هـ صار كاتب لسر، ثم ولي ولايات عديدة ومناصب، وفي أوائل سنة ١٢٧٦هـ صار ولياً ببغداد، ومشيراً لفيلقها وفي أوائل سنة ١٢٧٧هـ عزل، ودخل في الأعيان الكرام، وتوفي في أوائل سنة ١٢٩٦ هـ، وكان شيخ الوزراء، ومستقيماً[2]

وفي تاريخ عطاء أنه بعد انفصاله من مجلس الترم القاعد، وقال إنه متق، صادق ومستقيم، وهو من الأخيار في دينه، ومخلص لدولته[3]

ومن هذا يفهم أن ما اتهم به غير صحيح، وأن ذلك كان من الوالي اللاحق فبعثت الدولة بعض رجالها من حقق فكشف عن براءته

---

(١) التاريخ المجهول

(٢) سجل عثماني ج ٤ ص ٤٨٣

(٣) تاريخ عطاء ص ٢ ـ ٤ ـ وأسهب في ترجمته

حوادث سنة ١٢٧٨هـ - ١٨٦١م

عزل الوالي أحمد توفيق باشا:

يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الأول سنة ١٢٧٨هـ جاء البرق مخبراً بعزله وفي يوم الخميس ١٥ رجب سنة ١٢٧٨هـ ضحوة توجه إلى استنبول، وشيّعه الأعيان وجملة من الباشوات والقائممقام الحالي منيب باشا متصرف البصرة

كان نشأ في الجيش، فصار ميرالاي، وميرلواء، وفريقاً وفي سنة ١٢٧٦هـ صار رئيس الفيلق السادس ببغداد، وفي رجب هذه السنة حصل على منصب ولاية بغداد، ومشيرية الفيلق السادس برتبة الوزارة. ثم انفصل وتقلد مناصب أخرى عديدة وتوفي في ١٣ ربيع الأول سنة ١٢٩٥ وقد سمع أنه سيء الحال[1].

محمد نامق باشا

(وزارته الثانية)

نال منصب بغداد للمرة الثانية برقية وردت ويعرف عندنا بـ (نامق باشا الكبير)، كان قد جاء قبل ذلك في قضية كربلاء لما أن فتحها نجيب باشا. فتكون ولايته هذه ثالث مرة من مرات مجيئه إلى بغداد

وفي جمادى سار من استنبول في باخرة قاصداً بلدة حلب وفي يوم الأحد ٢ شعبان من هذه السنة دخل بغداد[2]، وصلى في حضرة الإمام الأعظم وفي اليوم الثاني من قدومه عهد بمنصب (الكهية) لمحمد

---

(١) سجل عثماني ج ١ ص ٣٠٤.

(٢) مجموعة السيد محمود شكري الآلوسي دخل بغداد يوم الأحد ٣ شعبان وفي رسالة سليمان فائق أنه ورد بغداد في ٣ شوال

أمين المفتي ببغداد. وفي اليوم الثالث عزل تفكجي باشي الحاج أحمد آغا[1] وجعل بدله الحاج علي آغا أحد أتباعه. كان قادماً معه من استنبول.

وكان هذا الوالي يحمل رتبة (مشير) في الدولة العثمانية[2]

وللسيد شهاب الدين الموصلي في وزارته قصيدة.

جاء في تاريخ جودت باشا أنه نال منصب المشيرية للمدفعية العامرة، وتقلّب في مناصب أخرى عديدة منها أنه قلد منصب (سرعسكر) ومنه نقل إلى ولاية بغداد بانضمام مشيرية العراق والحجاز في ٢٤ من شهر ربيع الأول سنة ١٢٧٨هـ وفي سنة ١٢٨١هـ منح الوسام المرصع، وألحقت ببغداد شهرزور والموصل والبصرة تولى أمورها العسكرية والمالية بالاستقلال وفي سنة ١٢٨٤ نال للمرة الثانية منصب (سرعسكر).

وهكذا تقلّد مناصب عديدة، وعمّر طويلاً وفي كل مهماته ومناصبه راعى الاستقامة والعفة إلا أنه كان ممسكاً، مشتهراً بالبخل، ومما جمعه من رواتبه وتراكم لديه تكونت ثروة طائلة، ويعد من مثري العصر وهو من أهل الوقوف والعلم بالأمور لكنه يتصلّب في رأيه، ولا يلين لآراء الآخرين وكان في بداية أمره يعد من المتفرنجين إلا أنه مال مؤخراً إلى مشايخ الخلوتية وسلك طريقتها، فالتزم طريق الزهد والصلاح. وواظب على الصلوات المفروضة[3] والخلوتية لا تكتفي

---

(١) الحاج أحمد آغا: هذا هو المعروف بـ (لاغا) وهو الذي تنقل حكايات في ظلمه وعسفه. وكان مملوك (أحمد آغا) والد الحاج حسن بك الكوله مند (والد كامل وكمال ومدحت)

(٢) نجيب شيحة

(٣) تاريخ جودت باشا ج ١٢ ص ١٩٤.

بالزهد وحده. وإنما لها دخائل الملاة.

وهذا الوزير كان قد خطب بأهل بغداد بعد قراءة الفرمان، فذكر أنه سوف يعمل بشدة في حق من يحاول الإخلال بالأمن، أو يعبث بالراحة كما أنه لا يتقرب إليه إلا من كان يحسن عملاً

حصر اهتمامه في مالية الولاية وكانت في حالة فوضى لا توصف، وضع للخزانة ثلاثة مفاتيح وضع أحدها لدى أمين الصندوق، وآخر عند الدفتري، وثالثاً احتفظ هو به. وأوصى أن تقدم إليه لائحة يومية يفصل فيها الوارد والمصروف، ومنع من التصرف بدون إذنه، وأفرز من المبالغ الاحتياطية قسماً لإصلاح حالة الجيش في بغداد، ودفع بانتظام رواتب الأفراد وسائر موظفي الدولة. ومن جراء اقتصاده حمل قافلة من البغال في رأس كل شهر بمبالغ طائلة إلى استنبول فسرّ السلطان بها، وأمر أن يشيد بها قصره. وكأنه جاء بغداد للقيام بهذه المهمة

ومما يحكى أنه كان يجمع المبالغ، ويقرأ كل يوم دعاءة عند الخزانة يطلب من الله تعالى دوامها وحراستها وزيادتها صباح مساء فتكون لديه مجموع عظيم فأرسله لبناء القصر المذكور

ومن أعماله أنه شرع بإنشاء (الثكنة) وتعرف بـ (القشلة)، وأن مدحت باشا أكملها، وأتم إنشاءها

وفي أيامه وصلت الخزنتان (بغداد) و (البصرة) إلى بغداد، وأودعت إدارتها إلى رئيس أطباء الجيش

وكان في سنة ١٨٥٩م ـ ١٢٧٥هـ حصل الإنكليز على امتياز في تشغيل البواخر في نهري دجلة والفرات فلم يحلّ عام ١٨٦١م حتى كان للإنكليز مركب يقال له (لندن). والظاهر أن هذا كان بعد أن تم السماح لهم أيام علي رضا باشا اللاز بالوجه المذكور.

ومن أعماله أنه شرع ببناء (الدميرخانه) أي (دار الحدادة)، وجلب من أوروبا عمالاً لعمل الأسلحة.

بلدة العمارة

ومن أعمال هذا الوالي أنه أنشأ معسكراً على نهر دجلة عرف بـ (الأوردي) أي الفيلق. ثم توسع بعد ذلك فأصبح بلداً كبيراً يقال له (العمارة). والملحوظ أن الأراضي التي تكوّن فيها الأوردي قديماً كانت معروفةً بـ (العمارة)، ذكرها مؤرخون عديدون في أزمنة مختلفة وقد غلط من ذكر أنها نالت اسم (عمارة) بعد ذلك التاريخ لما نالت من عمارات[1] وفي سيدي علي في كتاب (مرآة الممالك) وفي يوسف المولوي في كتاب (قويم الفرج بعد الشدة) جاء ذكرها في القرن العاشر فما بعده[2].

وكانت أقامت الحكومة الأوردي أيام مصطفى نوري باشا واستمر وفي أيام الوزير نامق باشا أعاد المعسكر إلى محله ومن ثم تكوّنت فيه بلدة سميت بـ (العمارة) واعتبرت قائممقامية (متصرفية) فعرفت باسم الأراضي التي بهذا الاسم ثم صار (لواء العمارة) معروفاً بين ألوية العراق المهمة

الخدمة الإجبارية في الجيش:

كانت تأتي الوزير الأوامر من الدولة بإرعاج في التجنيد، فكان يتماهل. عرف ما قام من ضجة سابقاً، فلا يرغب في إثارتها إلا أنه جعلها عقوبة فكل من يسرق أو يشرب الخمر، أو كان لا شغل له،

---

(١) موجز تاريخ عشائر العمارة ص ٢١

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤

يأخذه للجندية ويرسله إلى البصرة ومن هناك كانوا يذهبون إلى اليمن، وقلّما كان يعود منهم أحد. وكان هذا الوالي من ثاني يوم ولايته بدأ يعاقب من يوقع جريمة بأخذه للجندية ويرسله إلى القلعة ويجعله في عدد العساكر النظامية[1].

المنتفق:

تلقى الوالي مراسيم الطاعة من الشيخ صالح شيخ مشايخ المنتفق بقول والكلام له ما يتبعه، وقد مرت حوادث المنتفق، ولم يروا هدوءاً في كل أيامهم، والمشادة عبر منقطعة من الاثنين إذا قويت المنتفق ثارت، وإذا شعرت الدولة بقدرة نهضت لاكتساح المنتفق، والحرب بينهما سجال والأمل مصروف إلى لزوم القضاء على هذه الإمارة والتشويش مطلوب لتسهيل هذه المهمة

سفر الوالي إلى البصرة:

«في يوم السبت ١٦ شعبان سنة ١٢٧٨هـ طلع نامق باشا من بغداد في مركب الدخان إلى البصرة ومعه منيب باشا والي البصرة الذي كان والياً على البصرة أيام السلطان عبد المجيد، وعلى تعمير أنهر العراق أجمع في أمور الزراعة. وفي يوم الثلاثاء من هذا الأسبوع أنزلوا في مركب الدخان الصغير مائة وعشرة أنفس من الرجال أهل الجنايات، حرامية وقاتلين أنفساً نفياً إلى البصرة مع المحافظة وفي أيديهم الكلنجات[2] بناء يشغلونهم في الأعمال الشاقة في البصرة، وذلك بأمر

---

(١) التاريخ المجهول

(٢) الكلنجة لفظة تركية مستعملة عندنا إلى آخر العهد التركي وهي قيود من خشب تضرب بمسامير فتمسك بها الأيدي. وقد شاهدناها تكراراً ومراراً في أيدي الجند الهاربين

هذا الباشا، ومن بعد وصولهم إلى البصرة انهزموا، ويقال إنهم خمسة وخمسون رجلاً، وما بقي منهم محبوس سوى سبعة أو ثمانية ثم جاؤوا إلى بغداد، واشتغلوا بالسرقة يختفون في النهار، ويسرقون في الليل من البيوت.

ثم إن الوزير نامق باشا ابتدأ بزيادة الحرس حتى يمسكوا هؤلاء المفسدين، وظف بعض العساكر، وجماعة من أهل البلد يدورون في الليل فمسكوا البعض منهم، وحبسهم في القلعة مقيدين مكبّلين في الحديد. اهـ[1].

نعلم أن محمد منيب باشا عيّن متصرفاً على البصرة (قائممقاماً) سنة ١٢٧٧ هـ، وسافر إلى بغداد في غرة صفر سنة ١٢٧٨هـ ثم عاد إلى البصرة في التاريخ المذكور، أو في ١٢ شعبان سنة ١٢٧٨هـ ومعه نامق باشا والي بغداد والسيد علي نقيب أشراف بغداد ومكثا في البصرة بضعة أيام ثم رجعا. وأما منيب باشا فقد أخذ ينفذ الأوامر المعطاة له من نامق باشا، فأدّب العصاة، وأعلن أن محافظة الأملاك والمحاصيل وجباية الميري من وظائف الحكومة، فلا يحق لأحد التدخل في أمرها، وطرد عشائر المنتفق من التدخل، واستحصل بقية جباية الميري، وثبّت لأهل البصرة أملاكهم، وأمنهم في أوطانهم، وقمع الفتن.

وكان الأخرس قد مدح الوالي بقصيدة طلب فيها أن يصلح البصرة لما أصابها من خراب. وكذا مدح منيب باشا والي البصرة[2].

وفي أواخر سنة ١٢٧٨هـ تعين منيب باشا رئيساً لمجلس الإعمار في بغداد وعهد إليه بمهمة السداد في الجزائر وإصلاح مستنقعاتها،

---

(١) التاريخ المجهول عيناً

(٢) ديوان السيد عبد الغفار الأخرس ص ١٧١ و ١٧٤

وتخليص البصرة من وخامة الهواء[1]

القاضي ومنيب باشا

تاريخ البصرة:

إن متصرف البصرة محمد منيب باشا كان قد كتب له المرحوم الشيخ أحمد نوري الأنصاري القاضي (تاريخ البصرة) مختصراً في ۱۱ شوال سنة ۱۲۷۷هـ مبيناً حالتها الماضية، وما تحتاج إليه من إصلاح، والكتاب على اختصاره مفيد نافع. فاهتم المتصرف في أمر إصلاحها.. وترجمة هذا المؤرخ في كتاب (أعيان البصرة). هذا التاريخ منه نسخة في خزانة آل باش أعيان

الشاعر عبد الباقي العمري:

هو الشاعر المعروف وكهية بغداد. سقط في الساعة السادسة من ليلة الأحد من طارمة الحرم من بيته سنة ۱۲۷۸ هـ، وتوفي ليلة الاثنين سلخ جمادى الأولى أو غرة جمادى الثانية في تشرين الثاني، وكان خروجه للاستنجاء للتوضؤ لصلاة العشاء، ودفن في باب الأزج قرب قبة الشيخ عبد القادر الكيلاني وكانت ولادته سنة ۱۲۰۳ هـ وديوانه مطبوع وله آثار أخرى منها نزهة الدنيا في محامد الوزير يحيى الجليلي من أمراء الموصل[2].

وديوانه كشف صفحة من تاريخ العراق للعلاقة بوقائعه وتثبيتها، أبدى أشعاره في مناسبات كما كشفت صفحة عن العلاقات الأدبية فيه وفي النزهة. ذكرت ذلك مفصلاً في التاريخ الأدبي.

---

(۱) الزوراء عدد ٥٦٨ وسنة ۱۲۹۲ هـ

(۲) مجموعة عبد الله أفندي الآلوسي

حوادث سنة ١٢٧٩هـ - ١٨٦٢م

شمر والوزير:

«في أوائل حكومة هذا الوزير أرسل بالعساكر النظامية، والخيالة (الفرسان) ومعهم مقدار من عشائر زبيد، والشيخ سعدون شيخ العبيد[1]، وشيخ ناصر أخو منصور شيخ المنتفق، ومعه فرسان المنتفق، وشبلي باشا، وإبراهيم باشا الفريق، وسيرهم لمحاربة شمر ونهبهم، وإباحة أموالهم، فلما علموا بذلك، وكان شيخهم فرحان (الصفوق) انهزموا إلى أطراف سنجار، ومنهم من فرّ إلى أطراف الخابور، فلم تظفر العساكر بهم، وكان التراخي من شبلي باشا وإبراهيم باشا. ولو أن الأمر راجع إلى سعدون شيخ العبيد والأعراب لظفروا بهم ولكن شبلي باشا حادر على العساكر، وظفر بشرذمة قليلة من شمر فنهبوها، وأخذوا منهم سبعمائة بعير، وأدركهم الحر فرجعوا إلى بغداد. فلما علم نامق باشا غضب على إبراهيم باشا وعلى شبلي باشا لفتور الذي حصل منهما.

وفي ربيع الثاني ورد بغداد سميط أحد شيوخ شمر وتواجه مع حضرة الوزير، وصارت مقاولة فيما بينهم أن يؤدوا مقداراً من الخيل ومن الأباعر ومن الغنم عوض ما نهبوا في أيام توفيق باشا من الكراوين (القوافل)، ومن المسافرين والمترددين. فقبل سميط أن يؤدوا ما أراده الوزير نامق باشا، وطلع من بغداد وأرسل معه حضرة الوزير كاتب العربية محمد أمين أفندي، ومعه سنجق مشيخة فرحان علي شمر، وأن يتسلم من العرب الأباعر والخيل والغنم، فبقي عندهم أياماً، ثم جاء إلى

---

(١) هو سعدون بن مصطفى بن حمد بن صقر بن نصيف بن شاهر رأس الفخذ المعروف بـ (آلبو شاهر). ومصطفى اليوم رأس فخذ (المصطفى) من فروع آلبو شاهر وهو فرع الحمد الظاهر. ورئيسهم اليوم محمد صالح بن علي بن سعدون المصطفى.

بغداد، وورد معه فرحان لمواجهة نامق باشا لأجل تسوية هذه المادة مع جناب الوزير، وطلب من الوالي أن ينزل من المبلغ الذي اشترط عليهم، لأنه كان قد أراد منهم ثلاثمائة حصان، وخمسة آلاف بعير، وخمسين ألف رأس من الغنم عوض ما نهبوا وسلبوا من الكرويين والمترددين والكلاك وغير ذلك، فهدر لهم قسماً من الذي اشترطه عليهم وطلع فرحان من بغداد في أول شهر رجب سنة ١٢٧٩هـ لأجل أن يجمع الأشياء المذكورة» اهـ[1]

التاريخ المجهول المؤلف:

تقف حوادثه عند هذا. ومنه يظهر أنه لم يتمه، ولا استمر نظراً لوجود نقص، فلم يكن لبعض صفحاته... بل وقف قلم الكاتب. وفي هذا التاريخ ما كشف عن وقائع العراق وعن أوضاع لم نجدها في غيره. الرجل يسمع فيدوّن بلغته العامية، والحوادث مشوبة بشعور الأهلين... مؤيداً ومتمماً لتاريخ الأستاذ سليمان فائق وبهما انجلت مهمات كثيرة.

مفتي الشافعية صبغة الله الحيدري:

في ليلة الجمعة ١٦ ربيع الأول سنة ١٢٧٩هـ مات بعلّة البطن ودفن تجاه الحضرة القادرية داخل المسجد في قبة الحيدرية، عن عمر ٨٥ سنة. وهو صاحب كتاب (المسائل الإيقانية في الرد على الأسئلة الإيرانية). لا يزال مخطوطاً، عندي نسخة منه.

قال الأستاذ السيد نعمان الآلوسي: دفن قرب والده المرور أسعد مفتي الحنفية مقابل مرقد حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني قرب المنارة، وجده صبغة الله كان قد دفن هناك[2].

---

(١) التاريخ المجهول بنصه وفصه. وهو عامي.

(٢) مجموعة الآلوسي رقم ٢٥٩١.

هذا وقد تكلمت في (آل سحيدري) في المجلد الثالث من هذا التاريخ. وكانت لهم المكانة العلمية وغالب علماء بغداد أخذ عن صبغة الله الكبير جد المترجم الأعلى وعن أولاده وأحفاده .

مفتي بغداد الاسبق
عبد الغني آل جميل

عالم مفت، وأديب كامل، وشاعر في الفصيح والعامي. ترجمته في مجموعة الأخرس. وفي التاريخ الأدبي أوردت شعره، وذكرت ما قيل فيه. وملخص ما أقوله هنا أنه كان كامل الثقافة، قوي الروح ثائراً على الجور، وهو وطني خالص. وعربي مخلص. عثرت على شعره في مجموعة الأخرس فنشرتها. وكان ثائراً على الظلم، مجاهراً في خلاف أهله. توفي في ٩ ذي الحجة سنة ١٢٧٩ هـ، رثاه الأخرس وآخرون[1] دفن بمقبرة الوردية في الشيخ عمر السهروردي. قال الألوسي مات ليلة ٨ ذي الحجة عن ٨٤ سنة[2].

آل جميل:

وآل جميل جدهم محمد حمس. ومن أولاده عبد الغني وإخوته وعبد الجليل والد محمد جميل المذكور. ومن أولاده علماء أفاضل مثل محمد عمر. وجاء ذكرهم في كتاب الروض الجميل في مدائح آل جميل عندي نسخة مخطوطة منه ولا يزال لم يطبع. وهو من تأليف الأستاذ السيد عبد الله بن أبي الثناء الآلوسي والد الأستاذ محمود شكري

---

(١) المسك الأذفر ص ١٢٦، ومجموعة السيد عبد الغفار الأخرس، وديوانه وديوان عبد الباقي العمري

(٢) مجموعة الآلوسي

ولآل جميل مسجد في محلة قنبر علي من تأسيس محمد جميل رأس هذه الأسرة ذكرته في كتاب معاهد الخيرية.

حوادث سنة ١٢٨٠هـ - ١٨٦٣ م

المنتفق:

كان يظن الوزير أن قد حان الوقت لإلغاء مشيخة المنتفق، فراعى تدبير رشيد باشا الگوزلگلي، حاول أن يقتطع أولاً بعض الأماكن ليقلل السلطة ويحصر دائرة النفوذ في نطاق ضيق.

أما منصور بك فإنه جاراه في أصل الفكرة، وحسّن له أن يلغي المشيخة رأساً بلا تمهيد، وكان الشيخ منصور من أعضاء المجلس الكبير ببغداد وهو منقاد لرأي الحكومة، فأبدى أن لا حاجة إلى فصل بعض المواطن، وبيّن أنه إذا عينته الحكومة قائمقاماً (متصرفاً) جعل المنتفق كلها تابعة للدولة كسائر البلاد العثمانية.

وعلى هذا ارتضى الوالي قوله، وألغى المشيخة، وأسند إليه القائمقامية يوم الخميس سلخ جمادى الأولى سنة ١٢٨٠هـ - ١٨٦٣م، وكان هذا الأمير صاحب دراية حاذقة وتدبير موفق، ونظر نافذ، إلا أنه لم يتقن اللغة التركية، بل يصعب عليه التفاهم بها.

ولم تعهد إليه قائممقامية (متصرفية) قبل هذا، فاختارت الحكومة أن يكون معه الأستاذ سليمان فائق، وهو عارف بشؤون القبائل وله علم بالعربية، وتمكن من التركية ويعد من كتّابها المجيدين. كان قائممقام لواء خانقين، فجعله الوالي برفقته لتسهيل المهمة، وإطلاع الحكومة على ما يجري في الخفاء، فعهدت إليه محاسبة اللواء.

كان الشيخ ناصر آنئذ في بغداد. وكذا الشيخ بندر إلا أن هذا الأخير توفي في اليوم التالي من تعيين الشيخ منصور. فلما سمع الشيخ

ناصر أخو القائممقام ثار في وجهه، وأشاع إشاعات من شأنها إحداث القلاقل وتحريض الأهلين على الحكومة، فتولد الخلاف بين الأخوين، فكانت معارضة الشيخ ناصر شديدة. قالوا إن هذه الأمور كانت تجري في الحمراء بسبب المحاسب سليمان دلق، وأنه أصل الفتن، فالتزم قتله ولكن الوجوه والأعيان لم يوافقوه على ما عزم عليه، وقالوا إن هذا من المماليك ولم يكن من الأروام (الترك العثمانيين)، وأقاربه في بغداد كثيرون، وهم من أهل النفوذ، وإن قتله لا يشبه قتل أمثاله من الأروام. وأن أولاده وأقاربه يسولون حينئذ للولاة إثارة الزعازع والفتن للانتقام له. فتقع حوادث لا نستطيع التخلص منها، وتتوالى الاضطرابات، فلا نتمكن أن نبرىء ساحتنا من قتله، فليس من العقل التسرع بقتله ومن معه من الأروام.

ومن ثم طلبوا أن يؤجل الأمر إلى مذاكرة عامة، واقترحوا التأجيل إلى أن يستقر الرأي. ولما عرضت القضية على منصور بك بيّن أنه صديقه القديم وضيفه، فلا يقبل أن يقتل، وأنه إذا لحقه شيء لا يتأخر لحظة عن أن يقتل نفسه (ينتحر). ولما رأوا من منصور بك ذلك عدلوا عن قتل سليمان بك، ولكنهم لم يرضوا بوجه أن تحول المشيخة إلى قائممقامية وأعلنوا عصيانهم، ونهبوا الميرة والحبوب المرسلة من لواء الحلة إلى البصرة نهراً، وكذا قطعوا الخطوط البرقية بين بغداد والحلة، وكان تمديدها من أمد قريب. وبذلك قصدوا أن يكبروا الحادث في عين الحكومة، وأبقوا المحاسب مدة ثلاثة أشهر غير مسموح له بالخروج إلا أنه كان معززاً في الظاهر.. ثم أذنوا له بالعودة[1]

---

(١) وفي قرة العين أن سليمان بك وصل إلى سوق الشيوخ بمهمة خاصة (هي محاسبة اللواء) فاتفق الأهالي على قتله وسبقوا عليه فأنقذه والدي ـ داود السعدي ـ وأرسله إلى القرنة مع بعض مشائخ فوصل إليها سالماً. اهـ. قال ذلك رشيد السعدي ويصح أن تكون له يد



الشيخ خزعل امير المحمرة في شبابه ـ عن رحلة مدام ديولافوا

لم تطل إدارة القائممقام و محاسب أكثر من شهرين، فثارت الزعازع، واضطرب الأمن.. ثم لما علم الوالي نامق باشا بالأمر عقد مجلساً من الملكيين والعسكريين، فقرروا لزوم إصلاحهم بالقوة ورؤوس الحراب، وقبل أن ينفض المجلس وأثناء المذاكرة فيما يجب اتباعه في حربهم وردت برقية من مقام السرعسكر توصي بلزوم إكمال كافة النواقص قبل الإقدام على الحرب، وأن ينتظر الإشعار الآخر، وأوصوا بالتأهب للأمر.

ذلك ما حدا بالوالي أن يفسخ القرار، ويعيد المشيخة كما كانت نقل ذلك سليمان بك عن أمين أفندي كاتب العربية فيما لم يكن له علم به. ومحمد أمين هذا كان قد عهدت إليه أيضاً مهمة (باب المشايخ)، أو (باب العرب) ولذا سمي بالكهية أي قيل محمد أمين الكهية.

ومن ثم أعيدت المشيخة، وأسندت إلى الشيخ فهد العلي الثامر السعدون في سنة ١٢٨٠هـ. ١٨٦٣م بموجب شرطنامة كتبت باللغة العربية[1] وفهد هذا هو ولد فحامة عبد المحسن السعدون. وسياسة الحكومة كانت مصروفة إلى تمكين النزاع بين أمراء المنتفق، ولم تشأ أن تترك واحداً منهم بلا ضد أو رقيب. وسليمان بك كان عضواً مهماً في التدابير إلا أن سياسة الحكومة الخفية وتدابيرها الاحتياطية ومراعاتها الأوضاع التي هي أعرف بها. أقوى بكثير مما يتصور.

وتفصيل الخبر أنه بعد عودة الأستاذ سليمان فائق محاسب المنتفق تبين أنه يستطيع جلب ناصر باشا إلى بغداد، فجاء به فعلاً، وقررت الحكومة اختزال مخصصين، وإضافة ألف كيس لأجل أن تحيل المشيخة إليه.. ولكن الحكومة لم ترق لها أعماله ولا أمنت منه، فلم تشأ أن تطلعه على ما ستقوم به، وزرعت الحزم والحيطة. ولأجل إتمام مهمتها

(١) لغة العرب ج ٥ ص ٣٠ ورسالة المنتفق لسليمان فائق عندي مخطوطته

أبعدت سليمان فائق عن بغداد نقته محاسباً إلى البصرة، وخابرت فهد بك خفية، فعزمت أن تحيل الالتزام إليه بترك بعض المحلات وبزيادة في البدل، فإذا أمكن ذلك رجحته على غيره، وأعطته المشيخة..

كان توجيه المشيخة بهذه الصورة لم يخل من شغب، وحدوث غوائل مقصودة، وأن أعوان ناصر باشا ومنصور باشا لم يتركوا الأمر. وإنما أثاروا زعزعة، وهاجموا السفن، ولكن الشيخ فهد استمد الحكومة بعد أن قبل الالتزام فذهب لإمداده طابور مشاة من العمارة مع مدافع صغيرة، أرسلت لمساعدته من طريق النهر بواسطة الباخرة، فوصلت على عجل، وبرزت القوة للمقابلة فوجهت الحكومة المدافع عليها وأطلقت بضع طلقات فرقت بها شملهم دون أن تحتاج إلى الرمي بالبنادق

اهتمت الحكومة للأمر، وأرادت أن يستقر فهد بك في المشيخة والالتزام، فأرسل قائممقام لواء الحلة شبلي بك كتيبة من الخيالة، ومقداراً من المشاة، فذهب الخيالة براً، والمشاة ركبوا السفن الصغيرة، ومضوا نهراً، فقام العشائر في وجههم فلم يطيقوا صبراً على حربهم وأن المقدم قام بحركة مغايرة لفن الحرب فختل جيشه، وتبعثر، فلم ينج إلا القليل وقتل المقدم وضباطه. ولما سمع شبلي بك بالخبر لم يقدر على الذهاب بمن معه من الخيالة إلى الأمام فاضطر إلى العودة

هذا وقد عزمت الحكومة على تأديب هؤلاء وتثبيت فهد بك فبعثت حافظ باشا رئيس أركان الحرب للفيلق السادس، وأرسلت معه فرقة، فكانت ضربته قوية وقاسية، فلم يأمن منصور بك من البقاء هناك، فأعيد مع حافظ باشا والجيوش العثمانية وخصص راتب إلى ناصر بك، وأمر بالإقامة في بغداد وكان دخول حافظ باشا بقوة السلاح شتت العشائر بسهولة، ولم يظهر من يقف في وجه الحكومة فصارت لها هيبة وخشية في النفوس.

قال الأستاذ سليمان فائق وكان الأولى بالحكومة آنئذ أن تتخذ مركزاً مناسباً ومن السهل حينئذ أن تقلب المشيخة إلى قائممقامية، بل عادت العساكر، فأضاعت هذه الفرصة السانحة..!! وتأسف كثيراً إذ لم يستطع الجيش أن يرابط مدة، ولا اتخذ محلاً عسكرياً، أو بلداً قريباً يقيم فيه.. في حين أن الجيش سار لمهمة، وليس من صالحه أن يلغي المشيخة أو يحولها إلى قائممقامية، وكانت الحكومة جربت هذا التدبير كما أنها ليس لها من القدرة ما يكفي للبقاء هناك، وهي قليلة، فإذا كان العربان فروا من وجهها لأمد قصير فلا تستطيع الدوام.

ونلاحظ هنا أن كل هذه التدابير سواء نجحت أو خذلت كانت غايتها إزعاج عشائر آمنة وأن تتقاضى الحكومة بوساطة رؤسائها معيناً سنوياً لا حق لها به إذ لم تقم بخدمة تستحقها، ولا أفادت بشيء..

والذي فرط عقد الجماعة فصل ناصر باشا من اتفاق المتفقين، فأدى إلى أن يتفرق القوم، ولم يكن ذلك لخدمة الحكومة، وإنما أراد أن يتقدم عند الوالي وينال مكانة وأما منصور بك فإنه لم يبق له ملجأ، رأى أن قد زاد نفوذ الحكومة، وقويت سلطتها. ضبطت أملاكه تجاه ديون الحكومة فأصابها ضنك شديد، وضيق كبير. ولكن الحكومة أرادت أن لا يستقل فهد بك في الأمر، ثم يتمنع عليها من الطريق الذي سلكه أولئك، فقربت منصور بك إليها تعديلاً للكلمة، واحتفاظاً باطراد الموازنة.. فلم يخف ذلك على فهد بك.

رأت الحكومة أن التسامح مع شيخ المنتفق فهد بك لم يقف عند حد، فركنت إلى تقريب منصور بك، وبهذا راعت الموازنة في مثل هذه الأحوال. فأوعزت إلى الأستاذ سليمان فائق بخصوص تقريبه، فأظهر أنه مراعاة للحقوق القديمة، وتوسط الوجوه والأعيان في البصرة وجد الضرورة ماسة لإنقاذه من هذا المأزق الحرج لما كان أنقذه الموما

إليه من القتل وخاطر بنفسه دونه. فسعى أن تراعي الحكومة منصور بك تجاه أعمال فهد بك الذي كان يسبب خذلان أوامرها إلى منصور بك، وتجعل ذلك وسيلة للمعذرة. وكان الوالي آنئذ نامق باشا الذي لا يجازف في الصفح. فتمكن من استمالته، وبين له الحالة، وأن تقريبه مما يدعو إلى محسنات...!!

وعلى هذا أعطاه الوالي الأمان، وقبل دخالته، وكان على وشك أن يتم الأمر إذ استرق فهد بك الأخبار السرية، فعرقل أمر القبض عليه، وإتمام الحيلة في حقه، فتعصب له، وسلب راحته. وقال: إني عازم على القبض على منصور بك، وقد ضيقت عليه كثيراً، فإذا مال إلى البصرة فيسعى التضييق عليه من هناك أيضاً، فكتب إلى نامق باشا من جهة، ونصح منصور بك من جهة أخرى وأخبره بأنه حريص عليه، ومراع مصلحته وأن هؤلاء الروم أهل مكر وخديعة وأصحاب دسائس وغدر، وأنتم أعرف من غيركم بهم. وهم كما يقولون يصيدون الأرنب بالعربة (يريد أنهم يطاولون حتى يظفروا)، فلو عفوا عليك أعطوك الأمان بشخصك لا يتجاوزونه، وإذا عفوا عن العقوبة فلا يشمل ذلك أملاكك ورتبك. فلا تدع الحيطة، وكن في يقظة من التثبت ثم سلّم نفسك...!!

أوصل إليه هذا الكلام، وشوش عليه أمره. وكان منصور بك يعد من دهاة العرب، وأكابر رجالهم إلا أنه كان في أمر محافظة حقوق قبيلته قد عدل عن الطريق السوي، وتبع الهواجس النفسية، والوساوس فكانت نتيجة ذلك أن تركه أقاربه وإخوته وصدوا عنه، فصار وحيداً يلتمس نجاته، وشاهد أموراً لم تكن في الحسبان، ولا يؤمل وقوعها، ولم يبق له اعتماد ووثوق من الناس.

كان من دهاة العرب ولكنه سئم جانب الحكومة، وظن أنها قادرة

على كل شيء، واعتقد أنه في إخلاصه لها سوف لا تبدل به غيره، ولا ترضى أن تقدم عليه غيره. فكان من نتائج ذلك أن تشوش عليه أمره من جهة عشائره ومن جهة أخرى أن الحكومة نفضت يدها منه، ولم تراع خدماته لها

جاء منصور بك إلى ما يبعد عن البصرة نحو ساعتين أو ثلاث، فأخبر القائمقام أنه يقبل الدخالة على الحكومة، ويشترط أن تبقى له رتبه، وأن تعاد إليه أمواله فأبدى له القائمقام أنه ليس من المناسب ذكر هذه الأمور أو البحث فيها لأن ذلك تذكير لهم بها فلم تحصل ثمرة وأصر على مطلوبه فاضطر القائمقام أن يكتب برقياً بذلك، فورد الجواب بأن الدخالة تنافي الشرط، وإنما هو مأذون بقبول الدخالة بلا قيد ولا شرط، فلم يوافق، وعاد من طريقه

ثم تعهد فهد بك أنه يلقي القبض عليه، وطلب أن يشاركه القائمقام، ويتحرك طبق إشعاراته وإشاراته. ومن ثم تخابر سليمان فائق مع فهد بك وتأميناً للقيام بالعمل أرسلت فرقة سلح نحو الألمين إلى مواطن معينة، فلم يظهر له أثر...!!

إن منصور بك تمكن أن يعيش عيشة البداوة لمدة سنة، ولكنه لم يطق صبراً أكثر ولم يتحمل شظف العيش، والحياة البدوية، بدله عناء فقبل الدخالة بلا قيد ولا شرط أبدى عزمه على التسليم، وأرسل خبراً إلى سليمان فائق يستشفعه، فعرض هذا بدوره القضية مرة أخرى وأخبر برقية أن منصور بك قبلت دخالته، فورد إليه الأمر بلزوم استصحابه والمجيء به إلى بغداد، فسار القائمقام تواً إلى بغداد ومعه منصور بك معززاً مكرماً وبوقار لا مزيد عليه.

والحاصل أن مشيخة المنتفق بقيت بيد فهد بك ثلاث سنوات، فانتهت مدة الالتزام فدعي إلى بغداد للمزايدة وفي انتهائها أراد

الأستاذ سليمان فائق أن يحصر إلى بغداد، ويتدخل في البين ليتمكن من إفراز بعض المواطن عن دائرة الاترام فيخدم الحكومة. ولكنه لم يؤذن له، والظاهر أن السبب في ذلك أن بعض هؤلاء لا يرغبون في مجيئه، لأنهم يريدون بقاء المشيخة للاستفادة منها.

وضمت المشيخة بالمرابعة، ورد البدل عن ذي قبل، وفصلت بعض الأماكن فتقررت المشيخة لعهدة ناصر باشا، وسحب فهد بك عن العمل ومن ثم جعلها مناوبة، ومن طبعها أن تولد مزاحمة والملحوظ أن المواطن المفرزة في هذه المرة وإن كانت كثيرة العدد لكنها في الحقيقة أقل سعة مما دعا إلى تحامل سليمان فائق، فبيّن أن ذلك جرى استفادة من غيابه، وبجهود من المحازبين لناحية الشيخة والصحيح أن الحكومة رأت لزوم ترك الأراضي في نطاق المشيخة، ووجهت رتبة ميرميران لكل من ناصر باشا وفهد بك وكانت أعرف بالمصلحة.

ولا شك أن الفشل في القضاء على إمارة المنتفق كان كبيراً، فاضطرت الدولة إلى إبقاء الحالة على ما كانت عليه

أوضاع سياسية:

كانت ولاية هذا الوزير تمتد حتى نجد والحجاز واليمن وفي خلالها قام ببعض الأعمال المهمة، إلا أن الغربيين كانوا يشنعون عليه. يدعون أنه حرض على ذبح النصارى في جدة، وأنه عامل القناصل بقسوة مما يعد أكبر دليل على شدة تعصبه على المسيحيين والأجانب، ويقول الفرنسيون إنه يعطف على القنصل الإنكليزي أكثر من الفرنسي ويذكرون أنه حدثت للمسيو پليسه القنصل الفرنسي عدة حوادث كانت بينه وبين الوالي. منها أنه قدم إلى بغداد الكونت پرتوي راغباً في إنشاء خط مواصلات بين بغداد والشام، ورافقه في سفره أحد مشايخ عقيل

يدعى عثمان النجدي، وقد مرّ في طريقه بكبيسة وهيت، فوصل إلى بغداد سنة ١٨٦٨م بعد أن أمضى عدة وثائق مع مشائخ العربان يتعهدون بموجبها أن يحافظوا على القوافل مقابل مبالغ معينة يتقاضاها المشائخ كل ثلاثة أشهر يستوفونها من الكونت أو من ممثليه ببغداد، وأدى لهم مبالغ جسيمة كمقدمة..

سمع بذلك نامق باشا، وعلم بما جرى من اتفاقات دون علم منه فاستدعى وكلاء الكونت في بغداد، وأمرهم أن يقطعوا العلاقة به، ففعلوا، ولما واجه الوالي، وتفاوض معه، أفهمه أنه لا يستطيع الموافقة على ما يريد من جهة أنه لا يحمل فرماناً يخوله حق القيام بهذا المشروع، كما أنه لا يحمل كتب توصية من الوزارة ذات الاختصاص. وقال له الوالي إن الحكومة لها من القوة ما تستطيع به حماية القوافل من غير حاجة إلى دفع مثل هذه الاتاوة إلى المشائخ !

ثم سافر الكونت إلى استانبول بعد أن اوصى وكلاءه في بغداد أن يستمروا في دفع الأقساط المستحقة للمشائخ في أوقاتها المعينة ريثما يستحصل فرماناً بذلك، وفي الأثناء حدث أن فتحت قناة السويس، فلم تعد حاجة لمثل هذا المشروع، وقالوا عرف مؤخراً أن معارضة الوالي كانت بتحريض من القنصل البريطاني

هذا. ونرى الأستاذ سليمان فائق يطري كثيراً أعمال هذا الوالي، ويتألم لانفصاله، ويقول إن الأهلين لم يرغبوا في عزله وانفصاله عن بغداد..

حوادث سنة ١٢٨١هـ - ١٨٦٤ م

ثارت عشائر:

١ - **الظوالم**: من عشائر السماوة وهم في أراضي الرميثة.

ويعدون من بني حجيم (بني حكيم) ومنهم من يعتبرهم

(حمدانيين). وآخرون يقولون من (شمر)[1]

٢ ـ البو حسان: من عشائر السماوة أيضاً وهم من لأفرع من شمر[2].

وهؤلاء قتلو العسكر وكلًا من ملا مردان الكركوكي ملترم مقطعات السماوة والسيد علاوي رئيس لشبنة وكان قد أرسل قوة معهما بالسفن إلا أن العشائر نعست عليهم، وكانت السماوة قائممقامية فألغيت وألحقت بالديوانية وكان قائممقامها شبلي باشا فلم يعلم بما جرى على العسكر وبعد أن علم أنهى ذلك إلى بمق باشا فأرسل قوة كافية، ونكل بهم شبلي باشا وأحد قائممقام السماوة السابق عثمان بك لعلمه بأنه هو المحرك للعشائر فأرسله إلى بغداد فسجن فيها وأبعد بعض رؤساء القبائل لمدة خمس سنوات وبين هذه العشائر بنو ربيع والحجام[3]

٣ ـ نظام المطابع والمطبوعات:

صدر في ٥ شعبان سنة ١٢٨١ هـ وذلك أن الصحف تكاثرت في استنبول وفي البلاد الأخرى فروعيت نظامات الأمم، فوضع هذ النظام على غرارها مع ملاحظة الوضع آنئذ.

٤ ـ نظام إدارة الولايات.

صدر هذا النظام في ذي القعدة سنة ١٢٨١ هـ[4].

---

(١) عشائر العراق ج ٤.

(٢) عشائر العراق ج ٣ ص ٢٠٨

(٣) مجموعة كربلائية وتاريخ الشاوي ص ٣٧

(٤) كنز الرغائب ج ٥ ص ٥٦.

٥ ـ زلزال:

في ٨ رجب سنة ١٢٨١هـ صارت رجفة اهتزت بغداد منها وذلك قبل الظهر من يوم الأربعاء وفي ثلث الليلة في الساعة الثالثة والنصف صارت هزة أخرى، وقبيل الفجر كذلك مع شدة هواء ومطر عظيم[١]. ورأينا مثل هذه تكررت إلا أنها لم تكن مقرونة بأضرار وإنما نراها خفيفة.

حوادث سنة ١٢٨٢هـ ـ ١٨٦٥م

الهيضة:

حدثت الهيضة في بغداد بمدة قليلة فزالت في أواخر جمادى الآخرة[٢] ويقال لها الهواء الأصفر والكوليرا وأبو روعة

دائرة البرق:

تأسست في هذه السنة دائرة البرق وقد مرّ ذكرها في حوادث سنة ١٢٧٧ هـ

حوادث سنة ١٢٨٣هـ ـ ١٨٦٦م

مؤرخ عراقي:

السيد عيسى صفاء الدين البندنيجي وهو عالم ومؤرخ وله

١ ـ تاريخ أولياء بغداد نقله من التركية إلى العربية وأصله لمرتضى آل نظمي البغدادي المسمى بـ (جامع الأنوار). ولم يطبع التركي بل لا يزال مخطوطاً عندي نسخة منه وفي خزانة الأوقاف نسخة

(١) مجموعة الآلوسي

(٢) الجوائب عن فتح الله عبود من بغداد

أخرى. نقله الأستاذ البندنيجي بتصرف راجع النصوص العربية وتوسع فيها. ونقله السيد حامد المحري إلى العربية ولم يتصرف به. وربما اختصره. عندي نسخة مخطوطة منه ولم يطبع أيضاً.

٢ ـ رسالة قدمها إلى علي رضا باشا اللار[١] وللمترجم مؤلفات أخرى. وكان يتقن اللغة التركية وترجمته في التاريخ العلمي وفي المسك الأذفر توفي في ١٧ رجب سنة ١٢٨٣ هـ وهو شيخ تكية البندنيجي القادرية وكان عالماً[٢]

حوادث سنة ١٢٨٤هـ ـ ١٨٦٧ م

١ ـ صنع مراكب:

كان من آخر أعمال هذا الوزير أنه أوصى المصانع البلجيكية بصنع خمسة مراكب بخارية لتشغيلها في نهر دجلة. وعندنا يطلق (مركب) على السفينة البخارية لشيوعه

٢ ـ منصب وزير الحربية:

استدعي الوزير نامق باشا إلى استنبول برقية وردت يوم الاثنين ٨ ربيع الأول وخرج من بغداد يوم السبت ١٣ من هذا الشهر ليتقلد منصب وزير الحربية وصار قائممقام بعده تقي الدين باشا متصرف شهرزور، قدم بغداد يوم الأربعاء ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٧٤ هـ

ترجمة محمد نامق باشا:

من أهل قونية، ورد استنبول من صغر سنّه وتقلب في مناصب الجيش من سنة ١٢٤١هـ وفي رجب سنة ١٢٦٥هـ نال منصب المشيرية

---

(١) مجموعة رقم ٢٧٤٢.

(٢) المسك الأذفر ص ١٣٠.

لبغداد والحجاز، وفي صفر سنة ١٢٦٩هـ أضيفت إليه ولاية بغداد، وفي ذي القعدة سنة ١٢٦٩هـ صار مشير لمدفعية باستنبول. وهكذا نال مناصب عديدة. وفي ربيع أول سنة ١٢٧٨هـ انفصل من منصب (سرعسكر) فعاد ثانية إلى ولاية بغداد ومشيراً للعراق والحجاز، وفي ذي القعدة سنة ١٢٨٤هـ عاد سرعسكراً، ثم صار ياور أكرم (المرافق الأكرم)، ودعي بـ (شيخ الوزراء)، وتوفي في ٢٢ صفر سنة ١٣١٠ هـ، وكان يتقن العربية والفرنسية والإنكليزية وهو شجاع، صادق، ومستقيم، إلا أنه ممسك في بيته، ويعد من العقلاء الكمل[1]

ولاية
تقي الدين باشا

دخل بغداد يوم الأربعاء ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٨٤ هـ، وكانت ولايته قصيرة الأمد، ومن الصعب جداً أن يتمكن المرء من إدراك حالة القطر في سنة أو سنتين، بل لم يتجاوز سنة الواحدة. ومن الغرابة أن نرى في كل والٍ الأهداف التي يرمي إليها بارزة، نشاهد صفحات جديدة، وسياسة مخالفة لما كان عليه سابقه وهذه ذات اتصال بتجدّد للمحيط يستدعي التحول في السياسة والإدارة فهل ذلك عن حكمة أو كان ناجماً عن نفسية الولاة؟!! لا أعتقد أن هذا الوالي ولا غيره من الولاة يتحرك بما يوجبه الوضع وإنما يجري على نهج اختطته دولته ليمضي بموجبه وهذا يظهر منه بعد حين وقد اعتاد الأهلون أن يدركوا خطته بسهولة وهي ما أمر به ليسير بمقتضاه.

والغربيون يذكرون له حدثاً يعدونه من الغرابة بمكان وهو أنه حدث بينه وبين موسيو (بليسه) قنصل فرنسا شيء مؤداه أنه كان قدم

---

(١) سجل عثماني ج ٤ ص ٥٤٠.

بغداد (قاص)، فخرج المسلمون لاستقباله، وكانوا يحملون له عواطف احترام كبيرة..

ثم حدث أن احتفلت الولاية بعيد الجلوس السلطاني في دائرة المشيرية، وحضر من جملة من حضر من المهنئين ذلك القنصل الفرنسي بزيارة رسمية، ولما دخل القنصل نهض الجميع من الموظفين ووقف ضباط الجيش لاستقباله كما تقتضي التقاليد الديبلوماسية عدا القاضي، فإنه لم ينهض، فلما لاحظ القنصل ذلك عده قلّة احترام له من القاضي، فأخذ يحدث المشير بالفرنسية معاتباً إياه على ذلك، وبلغ من حدّة القنصل وغضبه أن طلب ترجمة ما قاله باللغة التركية لكي يفهم الحضار

أما المشير فكان بدلاً من أن يترجم أحد يفهم القنصل أن عدم قيام القاضي لم يكن لقلة اهتمام به، وربما كان القاضي يرى أن تقاليده الدينية لا تسمح له بذلك، ولكن المحادثة لم تنته عند هذا الحد فكان بين الحاضرين من يفهم الفرنسية، ولم يلبث أمر هذه المشادة أن انتشر بين المسلمين، وثار ثائرهم، فعدوا ذلك إهانة من الأجنبي بحق رئيسهم الديني فعولوا على القيام بمظاهرة عدائية ضد الأجانب، ومهاجمة القنصلية الإفرنسية، وقتل القنصل ومن حسن الحظ أن المشير علم بالخبر قبل أن يحدث ما يعكر الصفو، فأحاط القنصلية بقوة من الجيش للحيلولة دون مهاجمتها، ودعا الوزير جماعة من أعيان البلد فطلب منهم تهدئة الخواطر العامة خوفاً من حدوث ما لا تحمد عواقبه.

وهكذا انتهت الحادثة فلما علم الباب العالي بالأمر عزل القاضي تسكيناً للفتنة[1]..

وهذا لا يأتلف والعقلية الغاصلة بعد معرفة السبب وأنه ديني

(١) كتاب نجيب شيحة

المنتفق:

هذا الوالي تعاطى أمراً شغل بال الحكومة مدة، وهو أمر المنتفق، وأن عمل الوالي كان يجري تبعاً لسياسة المركز، وخططه في إنهاء هذه المعضلة بتدابير متنوعة خبط بعضها، ولا يزال البعض الآخر تحت التجربة. ولذا نرى الوزراء يراعون تارة اللين، وطوراً الشدة !

قوى الوالي أمر منصور باشا في عهده، فنلاحظ أن الولاة تناوبوا في تعهد كل وزير منهم واحداً من شيوخ المنتفق فيكثر التفرق، ويقوى الخلاف ولكن الأستاذ سليمان فائق عدّ بقاء الحالة السابقة في إقرار المشيخة دون القضاء عليها بلاءً على العشائر وخرقاً في الولاة، ولما كان من الدولة بإثارة الفلافل وتوليد الضعف فيها من جهة، وتزييد المقرر في المزايدة مع اقتطاع قسم من الأراضي مما جعل العشائر تتذمر من الظلم وتذهب إلى الحويزة والرجل لا يريد سوى تمكين سلطة الحكومة فملأ الجرائد والصحف من اشتغاله بالتشديد بأمور المنتفق وتوجيه الأنظار للقضاء على إمارتهم ببيان فسوتها ولم يفصح عن النواحي الأخرى.

ومن ثم أنحى باللائمة على تقي الدين باشا لأنه أبقى الحالة في (مشيخة المنتفق) كما كانت، فأقرها ولم ينظر إلى ما هية التوجه إلى منصور باشا، ولا إلى الاقتطاع، ولا إلى زيادة بدل الالتزام !

كل ذلك يصح أن يعد من أعظم أعمال الدولة في التمهيد للإلغاء. قام بذلك الوالي أيام حكومته.. فأعمل الأستاذ أمره، وهو من الأهمية بمكان. ويهمنا كثيراً أن نوضح هذه الأمور لنعلم ما أريد به أو يراد بصراحة

ثلج أو وفر:

في هذه السنة يوم الأحد ٣٠ شوال سنة ١٢٨٤هـ الساعة ٦ غروبية من النهار نزل ثلج وصار على وجه الأرض مقدار شبر[١]. ومثل هذا نراه في بعض السنين وبفترات طويلة. وقد سبق أن أوضحت لفظ (وفر) وأصله.

حوادث سنة ١٢٨٥هـ - ١٨٦٨ م

عزل الوالي:

في يوم السبت عرة ذي الحجة سنة ١٢٨٥هـ جاء خبر عزل الوالي برقياً، وتوجهت مشيرية العراق والحجاز إلى مدحت باشا. وخرج تقي الدين باشا يوم الأحد ٢٠ المحرم سنة ١٢٨٦هـ من بغداد وشيعه الموظفون وغيرهم، وكذا الوالي الجديد كان من جملة المشيعين[٢]

وفي سجل عثماني: إنه نال منصب قائممقام الوالي ببغداد في ١٠ ذي القعدة سنة ١٢٨٤هـ بعد أن كان متصرفاً في شهرزور برتبة بكلربكي (أمير الأمراء)، وفي المحرم من سنة ١٢٨٥هـ حصل على منصب الولاية ببغداد وعهدت إليه نظارة الفيلق مع الهيئة هناك، وفي ٥ ذي الحجة من هذه السنة انفصل من منصب بغداد[٣]. ثم أعيد إليه منصب الوزارة ببغداد على ما سيجيء في محله..

---

(١) مجموعة الآلوسي

(٢) مرآة الزوراء

(٣) سجل عثماني ج ٢ ص ٥٣.

محمد أمين الكهية:

توفي الحاج محمد أمين الزندي يوم الخميس ١٣ صفر باستنبول وكان عضو مجلس الشورى للدولة وبه المكانة العلمية والأدبية والتاريخية. وصار مدرساً كما أن والده أحمد الزندي كان مدرساً. وولي الإفتاء ببغداد بعد الأستاذ الآلوسي ثم صار كهية ولازمه لقب الكهية فصار يعرف بـ (أمين الكهية) ومنها نال عضوية مجلس الشورى وذكرته في التاريخ العلمي. وله (خزانة كتب) عظيمة بما احتوت من نفائس المخطوطات ومهماتها النادرة وقفها ابنه كامل بك وسائر أفراد الأسرة والآن هي بين كتب خزانة الأوقاف العامة ببغداد كما أن داره صارت جامعاً يعرف الآن (بجامع الكهية) ذكرته في (كتاب المعاهد الخيرية).

عهد جديد

أو

أبو الأحرار مدحت باشا

في بغداد

من ١٨ المحرم سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩ م

إلى أوائل شهر ربيع الأول سنة ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢ م

وفيه بيان أيامه في بغداد إلى ٢٣ مايس سنة ١٨٧٢ م

وما قام به من أعمال سياسية وعمرانية

وعلاقات بالأحساء من أنحاء نجد

وحوادث أخرى

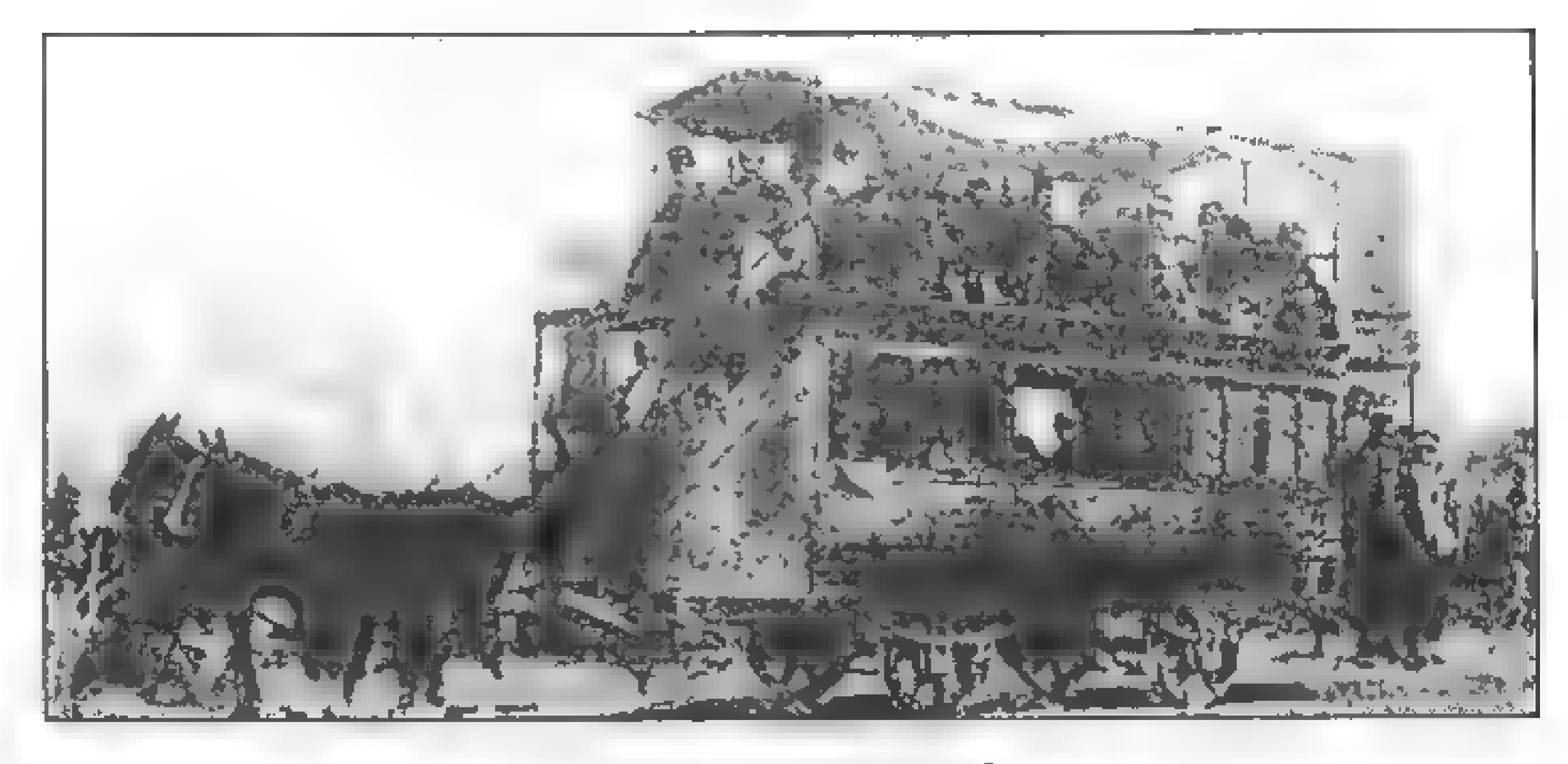
مدحت باشا أو عهد جديد
حوادث سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩ م

مدحت باشا في بغداد

في ١٨ المحرم قدم مدحت باشا ودخل بغداد بمنصب الوزارة وكانت سبقت له خدمات في الدولة ونال مناصب كثيرة وبطلب منه حصل على منصب بغداد بتاريخ ١٥ ذي القعدة سنة ١٢٨٥ هـ وأجري له الاحتفال بوروده وقرىء الفرمان ونقل إلى العربية وهذا نصه كما ورد في الزوراء:

«الدستور المكرم، والمشير المفخم، نظام العالم، مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب، متمم مهام الأنام بالرأي الصائب، ممهد بنيان الدولة والإقبال، مشيد أركان السعادة والإجلال، المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى، ومن أفاخم وكلاء دولتي العلية، رئيس شورى الدولة السابق الموجه لعهدة سيهلته واقتداره هذه المرة نظارة إدارة أمور الفيلق السادس الهمايوني مع انضمام ولاية بغداد، والحائز الوسام العثماني من الرتبة الأولى، وكذا الوسام المجيدي الهمايوني من الرتبة الأولى، وزيري وسمير دربتي مدحت باشا أدام الله تعالى إجلاله.

ليعلم أنه إذا جاءكم توقيعي الرفيع الهمايوني فليكن معلوماً أنه مما لا حاجة للإطناب في وصفه وبيانه هو أن خطة بغداد الجسيمة من أعظم القطع التي تتألف منها ممالك دولتي العلية المحروسة ومن مقتضيات أرضها ووضعها أنها صالحة لكل إعمار وترقٍّ وهذا من المسلمات ولما كانت أعز الآمال والمطالب لسلطنتي الهمايونية أن تحصل على كافة أسباب العمران، وهذه الآمال لا تتم كما هو المرغوب فيه إلا أن يقع الاختيار على من هو عارف، قادر على إيصال ذلك بمنه تعالى إلى حيّز العمل، فيكون في رأس إدارة تلك الخطة، وأنت لحد الآن قد



عربة ترامواي الكاظمية - مجلة العالم

قمت بأمور مهمة لسلطنتي السنية، فشوهدت منك غيرة وفطنة وإقدام ودراية، وأظهرت خدمات جليلة، وكل هذه بعثت إلى أنك ستكون عند حسن ظن سلطنتي الشاهانية فتؤدي واجب المهمة بتمامها، وتظهر المقدرة الكاملة لإيفائها. الأمر الذي دعا أن أصدر إرادتي السنية في اليوم الثاني من ذي القعدة لسنة ١٢٨٥هـ فأعهد بهذا الأمر للياقتك في إدارة الولاية ملكياً وعسكرياً. فإذا وصلت إلى مركز منصبك قمت بأمور الولاية العسكرية، وزاولت مصالح الأهلين والسكان طبق قواعد الشرع والقانون بروية وعناية وأن تتخذ التدابير والأمور التي من شأنها أن تزيد في العمران، وتوفر الثروة آناً فآناً بلا هوادة، وأن يراعى الرفاه والراحة والأمن لجميع الأهلين من سكان وعشائر، وأن توسع دائرة الزراعة والحرث والتجارة وتتوسل بما يجب من ذلك كله وأن تعرض ما يجب عرضه لدولتي العلية من الأمور التي يلزم الاستيذان بها إلى أعتاب دولتي العلية وتستمر على إكمال حسن انتظام وإدارة الأمراء والضباط والعرات الموجودين في الفيلق السادس الهمايوني، وتمنع التعدي، وتراعي حسن الألفة بين العربان والعشائر بعضهم مع بعض، والأهلين السكان داخل الولاية وأن يشتغلوا في أمر زراعتهم وحراثتهم، ومنع تجاوز الواحد على الآخر منهم في الحقوق، ودفع التجاسر فيما يخل بالأمن والراحة وإجراء الجزاء الشرعي والقانوني بتمامه بحق من يتجاسر بالحركة خلاف الشرع والنظام، وأن يراعي الموظفون كافة في المجالس والمحاكم داخل الولاية جادة العفة والاستقامة، وأن لا يزيغوا في كل حال وقال عن النظامات الموضوعة وأن يحصروا الأوقات والأفكار في ذلك وأن يبادر للاهتمام بجارتنا دولة إيران البهية وأن يلاحظ في تلك الحوالي الرائح والغادي من أفرادها والمقيم منهم ومن يتعاطى التجارة أو يتردد للزيارة وفق قاعدة المصادقة والصداقة المتمادية الجارية بين الدولتين حسب العهود المرعية بين الطرفين وطبق أمري وبذلك أعني

منصبك، وصدر أمري الجليل القدر من ديواني الهمايوني إيذاناً بذلك وتفهيماً فليكن ذلك معلوماً لدى رويّتك والمنتظر المأمول من حميّتك أن تقوم بالمهمات المسرودة أعلاه، وتعمل بالأساسات المعدودة المتعينة، وأن تبذل جل الهمة في بقاء وطائف هذا المنصب. تحريراً في الخامس عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٢٨٥ هـ»[1] وفيه صراحة بذكر ما أودع إليه من مهام، وما طلب منه من خدمات لما وثقت الدولة منه وجربته في مهام أخرى قبل أن يودع هذا المنصب إليه.

وبعد قراءة هذا الفرمان ألقى الوزير خطاباً باللغة التركية نقلته جريدة الزوراء إلى العربية. وهذا مجمله:

«قد علم من يعرف التركية حكم هذا الفرمان العالي السلطاني، ومن لم يعرف وجب عليه أن يعرف من غيره، وأن جل مقاصد سلطاننا أن ينال الأهلون الرفاه والسعادة في ظل العدل والرأفة سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، ذكوراً وإناثاً، أفراداً وجماعات، وأن ينالوا الحد اللائق من استكمال ذلك بالمستحفظين عليه، وأن أول واجب الموظفين أن يخدموا هذه المهمة ويقوموا بها خير قيام

تعلمون أن الخلقة البشرية متفاوتة، فلا تتشابه، وكذلكم الأفكار والطبائع متباينة، ولذا لا يتيسر إدارتها برأي كل شخص وما يوحيه إليه فكره، وإنما يتحتم أن يكون له مركز إدارة، ينظر في وسائل الحاجات والثروة والأمن بالنظر للحال والزمان والموقع والمكان وما توجبه تلك الأحوال من حاجات وضرورات، فتفرع له قاعدة من هذا المركز مطردة يجري عليها، ومعلومات مكمنة وبذلك يتيسر الحصول عليها فتقسم بهذا الوجه، وأن كل ما تشذ عنه الإدارة، ولا تراعي المركز، وتمشي

---

(١) الزوراء عدد: ١ المؤرخة في ٥ ربيع الأول سنة ١٢٨٦ هـ - ١٨٦٩م

بمقتضى ما ينبغي أن يماثله فلا يتسر لها الترقي ولا يحصل الانتباه، وتتأخر تلك الجماعة ويصح أن يمثل لذلك بوسائط النقل المائية كانت في حالة بسيطة حتى اخترعت السفن ذوات الشراع، ثم تقدمت إلى الوسائل البخارية، وهكذا ومثلها وسائط المخابرة فمن لم ينل حظاً من التقدم في الإدارة، ولم يسع للحصول على أقصى حد ممكن من الرقي بقي في مكانه، وحرم من نعمة الرقي والثروة، وصار يتبع في طرق المعيشة غير ما يلائم زمانه، ويكون قد رضي بالدون، وأصر على جموده، أو قبل أن يرجح ما هو الأدنى على الذي هو خير

وهنا الأراضي تقبل كل نوع من العمارة، والأهلون لائقون لكل تعليم، وفطرتهم معلومة واستعدادهم مشهود، فيستطيعون أكثر من غيرهم التقدم، لينالوا حظاً من الثروة والحضارة ولكن الخراب المستولي، وعدم النشاط ناجم من تقصير الأهلين، فلم يسلكوا ما سلكته الأمم، وبما ترك كل امرىء وشأنه، وصارت الأمة لا تأبه بما أحدث به الأمم ولا محصورة القطر الماضية، وصناعته القديمة لا تزال آثارها مشهودة (وأطنب الوالي في ذلك كثيراً)، ثم قال ولا منجاة من هذه الورطة إلا بالانقياد للمتبوع الأعظم، ومن قدمه من أصحاب المناصب بأن أطاعوا، ويسلم إليهم بما أرادوا ، وهو قد حافظ على حقوق الأهلين عموماً، وراعى استراحتهم، وتعدل فيما بينهم، وأرسل الولاة لهذا الغرض، فلا يتطلب أكثر من التسليم لهم والانقياد بالطاعة، ليتمكنوا من السعي والحصول على المبتغى

جاء ولاة كثيرون قاموا بالمهمة، وبذلوا جهوداً، وعملوا على ما تمكنوا عليه، خصوصاً رشيد باشا (الگوزلگلي)، فإنه بدأ بالعمارة، ومشى في طريقها الصحيح، وحفظ الكثير من الآثار. ولكن قرب أجله لم يهيىء له آماله ثم إن حضرة نامق باشا سلك هذا الطريق واستمر فيه فحصل على نتائج حسنة، وهكذا نحن سائرون في هذا الطريق،

ساعون لسلامة الأهلين وسعادة أحوالهم ونأمل أن نصل إلى الغاية المطلوبة، فنرى الآثار النافعة وثمار المساعي في أقرب مدة، ولا أمل لنا إلا تكثير الغنى والعمرة والتوسل بأسبابهما

وليعلم أن الغنى هنا لا يراد به جمع النقود ووضعها في الصناديق أو الخزانات وحبسها هناك وإنما النقود المطلوبة هي أن تتداول بين الناس وأن يراعى فيها وجائب العصر وحالاته، وأن تراعى التجارة والزراعة كما يقتضيه العصر فترتكز على أصل صحيح، وأن نفع الأمة من هذه الطريق هو فائدة للدولة، وهي فائدة للأمة فلا فرق في هذا الاتصال والتلازم. وهذا من الأمور المسلمة في العالم والمقطوع بها وكلها مما يؤدي إلى التنظيم والغنى

هذا وليعلم كل موظف أنه لم يعمل لنفسه، وإنما يعمل في حدود وظيفته للقيام بخدمة الأهلين وسلامتهم وسعادتهم، وليعاون الأهلون الموظفين فهم في حاجة إلى تسهيل هذه المهمة التي يقومون بها، وليتحملوا المشاق في هذا السبيل فيما لم يدركوا نتائجه، وهو مما يعود للكل بالخير.

والحاصل أن كل ما يعمل لا يقصد منه إلا راحة الأهلين وسعادتهم وسلامتهم فمن واجبهم الانقياد والطاعة التامة ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يرضي السلطان من الخدمات، وأن نؤديها بنجاح، وأن ينجينا من الخطأ جميعاً.. آمين

هذا ملخص خطاب الوالي، وفيه حث على النظام، وتشويق للزراعة والصناعة والتجارة، وحث على طاعة الموظفين، وبيّن فيه واجبات كل من الموظفين والأهلين، فكأنه يتكلم بلسان اليوم، ويدعو لخير العمل، ويضرب الأمثال لمراعاة التقدم والأخذ بأسباب الحضارة مبدياً أن غرض السلطان مصروف لراحة الأمة وسعادتها،

وسلامة حالتها وإقامة العدل بين أهليها فكان آخر قوله أن دعا أن يوفق العموم لما يرضي السلطان، وأن يكون العمل سالماً من شوائب الخطأ والغلط. وقد أدرج نص (خطابه) باللغة التركية وبالعربية أيضاً إلا أن عربيته ضعيفة مفككة لا تؤدي الغرض بل غطت عليه في أسلوبها الرديء[1].. وكل ما فيه شرح للفرمان.

تركيبه أوضح والمعنى أجلى وبه عين الخطة المرسومة ولا شك أن السياسة المكتومة بقيت طيّ الخفاء ولعل أعماله تنبىء عنها وبها يمير على الولاة قبله بأنه شعته مشاكل القطر ومهمّات الدولة وقوانينها الموضوعة. ولم ينس أعمال بعض الولاة بل صرح بها أو أشار إليها في خطابه وأنه كان على علم منها

ويكون بذلك قد تدرع بالمعرفة التامة بما جرى قبله ولاحظ طرق الحل بل أدرك النواقص وسار على ثقة واطمئنان من المعرفة لحل ما عرض من مشاكل

مدحت باشا في بغداد:

الرجل العظيم تظهر مواهبه حيثما حل لا يخفى جوهره وإنما يشع ويسطع. ومدحت باشا من أعاظم أرباب المواهب ولد سنة ١٢٣٨هـ ـ ١٨٢٢م. وهو ابن الحافظ محمد أشرف من القضاة من آل الحاج علي الروسجقي. جاءت حياته في العراق مدونة بقلم ابنه في كتاب (تبصرة عبرت)، وفي كتاب (مرآت حيرت) فيما كتبه مدحت باشا عن نفسه وأعماله في مذكرات[2] حفظ القرآن الكريم، ودخل دوائر الدولة وفي خلال المدة طلب العربية، وتعلّم الفارسية على مشاهير العلماء. وأتقن

(١) الزوراء عدد ١.

(٢) نقلت هذه الكتب إلى العربية باسم (مذكرات مدحت باشا) ولم يعين تاريخ طبعها

الخط الديواني أكمل تحصيله، فتقلد مناصب عديدة، ونال الوزارة، وعهدت إليه بعض الإيالات. ثم نال منصب شورى الدولة.

وبعد شورى الدولة ولي (منصب بغداد) مخلف تقي الدين باشا ويهمنا تاريخ حياته في بغداد ومن أراد التوسع في إدراك عظمة الرجل في أعماله كلها فليرجع إلى ما كتبه مدحت باشا نفسه من الكتب[1] وهو ما نشره ابنه علي حيدر بك وما كتب عنه في مؤلفات عديدة. ففي بغداد أبدى قدرة وانتباهاً وعرف الإدارات السابقة للولاة الماضين فاستعرضها في حضانه، وأبدى أنه لا يستطيع القيام بكل ما يريد بل ببعض ما يتيسر له وقد فعل. وعمل المرء في هذه الحياة مما ينفع قليل وهذا يذكر فاعله.

إن الرجل لم يكن واضع قانون، وجلّ همّه تمهيد قوانين الدولة فكان توجيهه مرضياً وقد وفق لما تطلبته المصلحة وأمكن عمله. وإذا كان لم يأت بشيء جديد فإنه وجّه، وعمل، واستخدم الموظفين وأشرك في مهماته، وحاسب على الإهمال والتراخي، وتغلّب على الأهواء والتيارات المتعارضة، فأخذ بناصيتها وعمل مما لم يسبق إليه

وهذا ما رفع مكانته بين الوزراء، وعلا به على غيره، وذاع ذكره ووقائع القطر ظواهر ذلك في معرفة حياته وكذا في الأقطار الأخرى التي حلّ فيها، والمهمات التي قام بها، فحصل الذكر الجميل.

رسوم الاحتساب:

وهذه قديمة. والاحتساب مبناه مراعاة قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم تبق إلا رسومه وكان أمل الوزير إلغاءها وإلغاء التاج. وجل ما فعله ما ورد في الزوراء:

---

(١) تبصرة عبرت، ومرآت حيرت، أو مذكرات مدحت باشا باللغة العربية

«هذه الرسوم لا تؤخذ عن كل لواء وإنما يجب إبراز وصل مشعر بالأخذ. وهكذا يراعى في ضرائب الكمرك. فإذا صار ما هو تابع لرسم الاحتساب إلى قضاء آخر ولم يؤخذ عنه رسم فحينئذ يستوفى الرسم المطلوب بموجب تعرفة والملتزمون يجب أن يراعوا ذلك تماماً» اهـ[1].

وما جاء في (تبصرة عبرت) من أن الوزير ألغى رسوم الاحتساب فغير صحيح[2] وإنما جعلها تسير سيرة قانونية وكذا الأمر في رسوم الكمرك. وإنما ألغيت تاريخ متأخر. فعمل الوزير أن لا يكرر الأخذ في كل لواء للرسوم.

التشكيلات الإدارية:

أصلها من وضع السلطان سليمان القانوني أجرى أكبر إصلاح فيها وثبت حالتها التي كانت عليها ثم لحقها التعديل في أزمان مختلفة. وفي ٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٨١هـ وضع نظام في ترتيب الولايات، فلم يعمل به في العراق. وتغيرت أوضاع الألوية وأقضيته ونواحيه كثيراً حاول التغيير فعلاً بل قام بذلك بموجب هذا النظام. وما يصلح من الألوية أبقاه أو ما كان صالحاً ولم يسبق له ذكر أسسه. وهكذا كان عمله في الأقضية والنواحي ولم تمض مدة حتى صدر النظام المؤرخ في ٢٩ شوال سنة ١٢٨٧هـ في أيام مدحت باشا فلم يحدث تبدل جوهري وهذا النظام بقي معمولاً به ثم عدل الباب الثاني منه بالقانون الوقتي المؤرخ ١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٣٠ هـ واستمر العمل به إلى أن صدر القانون المؤرخ في ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٣١هـ.

---

(١) الزوراء عدد ١ والحسبة في الإسلام في المجلد الأول من مجلة (العالم الإسلامي) مقال كتبته

(٢) تبصرة عبرت ص ٦٧.

وهذا لحقته تعديلات ودام العمل به إلى احتلال بغداد[1]

وفي هذه تعينت واجبات الوالي والمتصرف والقائممقام ومدير الناحية ومجالس الإدارة، والانتخابات وما ماثل من الوظائف والمهمات. وأن قانون إدارة الولايات الجديد عندنا جرى على منوال الأخير من هذه القوانين.

والعراق ثلاث ولايات:

١ - البصرة. وألويتها:

(١) نفس البصرة. وأقضيتها:

١. القرنة.

(٢) المنتفق. تكوّن بعد مدحت باشا. وكان سوق الشيوخ يعد لواء. وبعد تكوّن الناصرية صارت مركز اللواء وسوق الشيوخ قضاء.

(٣) العمارة. أحدثت أخيراً. ولم تتكون لها أقضية إلا أنها سارعت في الظهور.

(٤) نجد. تكونت أيام مدحت باشا بعد الاستيلاء عليها. ويسمى لواء الأحساء. وأقضيته:

١. قطيف.

٢. قطر.

٢ - الموصل. وألويتها. وهذه لحقها تحول كبير فبينا كانت السليمانية إمارة إذ صارت لواء. وهكذا الألوية كانت تابعة لبغداد إذ قامت بنفسها...

---

(١) الدساتير القديمة والجديدة

(١) نفس لواء الموصل. وأقضيته

١. نفس الموصل.

٢. العمادية ثم الحقت بحكاري من مدينة وان سنة ١٢٦٥ هـ.

ثم أعيدت بعد أيام مدحت باشا بكثير.

٣. زاخو.

٤. سنجار

٥. دهوك.

٦. عقرة (العقر)

(وكان من أقضية الموصل الجزيرة فمصلت)

(٢) كركوك ويسمى لواء شهرزور وأقضيته ثم استقل باسم (لواء كركوك) من تاريخ القضاء على (بابان) فصارت السليمانية لواء، وكركوك لواء آخر. وأقضيته

١. رواندز.

٢. إربل

٣. صلاحية (كفري)

٤. كويسنجق

٥. رانية

وفي غالب إدارته كان تابعاً بغداد والتحول فيه كبير جداً

(٣) لواء السليمانية. وأقضيته

١. گلعنبر.

٢. بازيان.

٣. شهربازر.

٤. قره طاغ

٥. مركه.

٦. قضاء الجاف.

وتحولت هذه الأقضية كثيراً واللواء حديث العهد في إدارته وكان تابعاً بغداد، فصار لواءً سنة ١٢٦٧هـ بإدارة الدولة

٣ ـ بغداد. وألويتها.

(١) نفس لواء بغداد. وأقضيته

١ قضاء خراسان ويقال (خريسان) وأصله (طريق خراسان) فشاع بما ذكر ثم صار لواء باسم (لواء ديالى)

٢. قضاء خانقين

٣. قضاء الكاظمية.

٤. قضاء سامراء

٥. الدليم. ثم صار الدليم لواءً

٦. قضاء عانة. ثم صار تابعاً للواء الدليم

وفي هذا اللواء حدث تحول كثير

(٢) لواء الحلة. وأقضيته:

١. الهندية.

٢. السماوة

٣. الديوانية. وصارت لواءً.

٤. النجف.

٥. الشامية.

وهذا اللواء لحقته تحولات. وفي بعض الأحيان اعتبرت الحلة لواءً. وكذا الديوانية صارت لواءً.

(٣) لواء كربلاء: لم تظهر تشكيلات في هذا اللواء أيام مدحت باشا.

وهذه الألوية جرى عليها بعض التعديل والتحوير فلم تستقر. وكان لواء كركوك يسمى شهرزور لأن المتصرفين يستقرون في كركوك دون السليمانية. وفي أيام تكوّن لواء السليمانية صارت كركوك لواءً باسم (لواء كركوك). ومن ثم تغير الوضع أحياناً، وبالنظر لقانون إدارة الولايات الجديد وربما اقتطعت بعض المواطن من لواء وألحقت بآخر لمصلحة، أو أحدث لواء. وأن مدحت باشا استطلع آراء المتصرفين والقائممقامين في تقرير هذه الألوية والأقضية بنواحيها وقراها. وروعي الزمن والحالة الراهنة. والألوية مرتبطة بولايات قد تكوّن منها العراق. فكانت الوحدة مرعية دائماً.

وولاية بغداد خاصة متكونة

(١) من والٍ.

(٢) من معاون والٍ.

(٣) من متصرف المركز.

(٤) من قائممقام المركز.

وأما الألوية الأخرى فإنها متكونة من:

(١) المتصرف.

(٢) معاون المتصرف.

والأقضية من:

(١) القائممقام.

(٢) النائب.

وأبقى سائر التشكيلات على حالها. وأقرب ما يعين ذلك زمن هذا الوالي (سالنامة بغداد) لسنة ١٢٩٢هـ فلم تحدث تبدلات تدعو إلى الالتفات في خلال بضع سنوات.

المطبعة وجريدة الزوراء:

وهذه من تشكيلات الدولة. وتأسست في الولايات الأخرى. وكان من الصعب تكوينها. والوزير أراد أن تدوّن أعماله وما يقوم به. فأصدر جريدة الزوراء. وأول عدد منها صدر في ٥ ربيع الأول سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م واستمرت طول أيامه. وبعدها دامت إلى قبيل الاحتلال. وأن منهاج الحكومة أن تنشر ما يجري من أخبار لئلا تشوه، وأن تسجل أعمال الحكومة. وكانت قد أوصت الحكومة بجلب المطبعة قبل زمن هذا الوالي.

وأن المطبعة لم تطبع الجريدة وحدها بل طبعت بعض المؤلفات، والسالنامات وأعمال رسمية. ويطول بنا ذكر مرتبات المطبعة وعمالها والقائمين بها. وقد أفردنا ذلك في كتاب خاص باسم (الطباعة والمطبوعات في العراق) مما لا محل لاستيعابه الآن. ولا شك أن فوائدها كبيرة في نشر الزوراء وبها عرفت حوادث بغداد. ومطبوعاتها الأخرى أفادت الثقافة كثيراً. وخير ما قامت به هذه المطبعة أن أصدرت الزوراء فسجلت أعمال هذا الوالي فكانت خير مرجع وقد تمكنا من

الحصول على أعدادها المتعلقة بهذا الوالي فلم يبق خفاء في أعماله كما قامت بطبع (سالنامات بغداد) وبعض المؤلفات والقوانين.

متصرف كربلاء:

علم الوالي أن متصرف كربلاء إسماعيل باشا كان سيىء الإدارة مرتشياً، وكذا بعض الموظفين ممن على شاكلته، فذهب بنفسه إلى كربلاء، وأجرى التحقيق، فثبت له ما كان قد عزي إلى المتصرف، فعزله في الحال، وأمر بأخذه للمحاكمة ونصب مكانه حافظ أفندي قائممقام كوستندين سابقاً.

توسيع كربلاء:

وفي أثناء مهمته هناك رأى أن هذه البلدة صغيرة وضيقة نظراً للزحام الموجود فيها فأمر بلزوم تشكيل محلة جديدة فيها وتنظيم خارطة بذلك وترتيبها بالوجه المطلوب على أن تباع العرصات إلى الأهلين لكل من أراد أن يبني داراً أو دكاناً أو أي بناء، وأن تصرف المبالغ المستحصلة في سبيل تنظيم طرقها وهذه المحلة هي المعروفة قديماً بالمحلة الجديدة وتعرف اليوم بـ (العباسية)[1]

التفت الوالي إلى هذه المهمة ولم يؤخر العمل بها وكان قد أقام في كربلاء خمسة أيام أو ستة

الوالي في قضاء الهندية والحلة:

ثم إن الوالي عرّج في طريقه من كربلاء إلى قضاء الهندية، والحلة، فقام ببعض المهام، وعاد إلى بغداد ولا شك أنه أوعز بما

(١) الزوراء عدد ٢

أراد من إكمال النوقص[1].

يزيدية سنجار:

إن اليزيدية كانوا قد عصوا على الحكومة من مدة نحو خمس سنوات أو ست، وتمنعوا في الجبل فتركوا وشأنهم، بقوا في العزلة والتزموا أن لا يدخل غريب إليهم. فاستمروا في حالتهم هذه، وعاشوا على محاصيل الجبل الوافرة، ومنعوا غيرهم من الاستفادة فاستأثروا بها..

ولم يهدأ هؤلاء في مواطنهم، وإنما كانوا يعيثون بالأمن ويضرون بالغادي والرائح. ومن ذلك أن قصابين كانا قد ذهبا إلى قبائل شمر وعنزة لشراء الأغنام. فلما وصلا إلى قرب الجبل لقيهما بعض اليزيدية، فأخبروهما بوجود أغنام في الجبل أرخص وأنفع من غيرها، وأطمعوا بالربح الزائد. فأخذوهما إلى المحل، وحيل بينهم وبين ما يأملون الحصول عليه فقتلوهما، وسلبوا ما عندهما من نقود.

وافق ذلك ورود الوزير مدحت باشا إلى الموصل، فعلم بما جرى وطلب من اليزيدية بيان أسماء القاتلين، وأن يسلموهم إلى الحكومة، فتمكنوا، ولم يقوموا بأمر نحو القتلة. ومن ثم رأى هذا الأمر من أهم ما يجب أن تلتفت إليه الحكومة، وتتخذ الوسائل للقبض على هؤلاء الجناة بأي وجه كان. ولزوم تأديب مثل هؤلاء الأشرار.

وعلى هذا، وفي الحال جمعت العساكر الموجودة في الموصل وماردين وشهرزور فبلغوا مقدار ثلاثة أفواج، وسريتين من الخيالة، وأربع قطع مدافع، ومقدار من الجند المتطوعة. أدخلوا تحت إمرة أحمد بك الزعيم الموجود في الموصل، مع ضيا باشا متصرف لواء الموصل،

---

(١) كذا عدد ؟

أمروا بالذهاب إلى سنجار، وزوّدوا بالتعليمات اللازمة

فلما وصل الجيش إلى سنجار، اضطرب اليزيدية، وارتدوا إلى الوراء في المسالك الصعاب التي لا يمكن اجتيازها وكانوا يظنون أن العسكر سوف يهجم عليهم وينهب أموالهم ويقتلهم ويحرق زروعهم، ويستولي على نسائهم.. ولكنهم ما لبثوا أن علموا أن المقصود أهل الشقاوة القاتلين، فأفهموا بأن المقصود أولئك القاتلون العصاة لا غير، فجاؤوا بهم فألقي القبض عليهم وحدهم وجاء الأهلون بعنوان الدخالة واكتفى بالجباة ومقتضى التعليمات أخذ للعسكرية جماعة من أهل الجبل بطريقة القرعة وأن يحصّل ما تراكم بذمتهم من الأموال الأميرية، فعاينوا الأفراد وفرقوا من يصلح للخدمة العسكرية، ومن جهة أخرى حصلوا الأموال الأميرية، فتم ذلك كله ولأجل إكمال المدة المعينة للخدمة في الجندية تركوا في بيوتهم عشرين يوماً وأمرت الحكومة بوضع ضابطة دائمة مرابطة بناحية تلعفر، ولزوم إنشاء دائرة حكومة مناسبة وأن تحول (ناحية تلعفر) إلى (قائممقامية) وأن يكون بناء دار الحكومة رصيناً محكماً، وباشروا بعمل ما يقتضي

ومن ثم سهل القضاء على غائلة سنجار، وأقام فوجاً من العسكر للتأكد من الوضع. ورجع الباقي وأما القاتلون فأودع النظر في دعواهم إلى المحكمة في الموصل، وبذلك تمت الواقعة وكذا تم ما معها من لواحق. جرى ذلك في ١٢ ربيع الأول[١]

الأوزان والمقاييس الأخرى:

حاول مدحت باشا التعديل في الأوزان وتوحيدها فأمر أن تعتبر الحقة ٤٠٠ درهم، وأن تجعل كل ١٠ حقات منّا واحداً، وأن تكون

---

(١) الزوراء عدد ٢

عشرة أمنان وزنة واحدة، وعد كل ١٠ وزنات تغارا، وذلك في ١٠ ربيع الأول[١]. فلم يتم كما رغب والعرض لم يكن موجهاً إلى إيداع موازين عشرية، وإنما الغرض التعامل العالمي إلا أنه لم يتم له ذلك

ثم أصدرت الدولة القانون المؤرخ ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦هـ في المقاييس الجديدة وطبع باللغة العربية في المطبعة العامرة في ٣ ذي الحجة سنة ١٢٨٦هـ ومنع بموجبه استعمال المقاييس القديمة اعتباراً من آذار سنة ١٢٩٠ رومية أي بعد سنتين وفي خلالهما الاختيار للأهلين والحق بذلك نظام في طريقة التطبيق[٢]

فصلت ذلك في مبحث الأوزان من كتاب النقود العراقية ولم ينجح هذا المشروع، ودام استعمال الناس، فلم يخرجوا على معتادهم في العهد العثماني حتى أواخره.

النقود:

وهذه حاول الوزير تمشيتها بوجه مطرد موافق لرغبة دولته فلم ينجح وأنواع النقود لا يمكن حصرها وبينها النقود العثمانية والنقود الأجنبية. ولم يلتفت الناس إلى الأوامر المشددة، فلم تشأ الأمة أن تمضي على خلاف مألوفها وحاجتها الاقتصادية ومن النقود الإيرانية يتعامل بها بكثرة ومثلها نقود الدولة وهكذا النقود الأجنبية وعلاقات العراق بالأقطار تعينها تحولات النقود وكثرة تنوعها وانتشارها

وهذه تابعة للحالة التي كانت عليها في ذلك الحين وليس من المستطاع تبديل السعر بصورة كيفية أو إعطاء الأوامر التي لا يستطاع تطبيقها فكانت كل محاولة غير طبيعية أو خلاف الحاجة فاشلة قطعاً.

---

(١) الزوراء عدد ٢

(٢) الدستور القديم ج ١ ص ٧٤٤ ومجلة أمور البلدية ج ٥ ص ٧١٣.

بقيت النقود على حالتها المألوفة والاقتصادية المتداولة ولم يفلح مدحت باشا ولا من جاء بعده. وفي الوقت نفسه بقي التلاعب بالنقود مستمراً. والقيمة الحقيقية لم تفلت من أيدي الناس ولا من أيدي الصرافين. وبالتعبير الأولى لم يستطع مدحت باشا أن يحل أمر النقود حلاً سالماً وأن محاولته ذهبت عبثاً. وكل ما يعرف نقودنا. تكلمت عليها مفصلاً في كتاب (النقود العراقية)[1].

يعسر على المرء الإصلاح في الأمور القليلة الأهمية فكيف بما ألفه الناس. فالنقود أصابها اضطراب إلا أن الأمور الاقتصادية حياتية ومألوفيتها يجعل التمسك بها مكيناً فلا تغير بسهولة. والمهم أنه وجب أن يدخلها الإصلاح في منهاج الدولة. أو أن تظهر أمور قاهرة تستدعي قبول غير المألوف. وإلا فحوادث مثل هذه قد تؤدي إلى قلاقل وتذمرات، لما يلحق من أضرار وعناء واضطراب في الحكومة من جراء العلاقة.

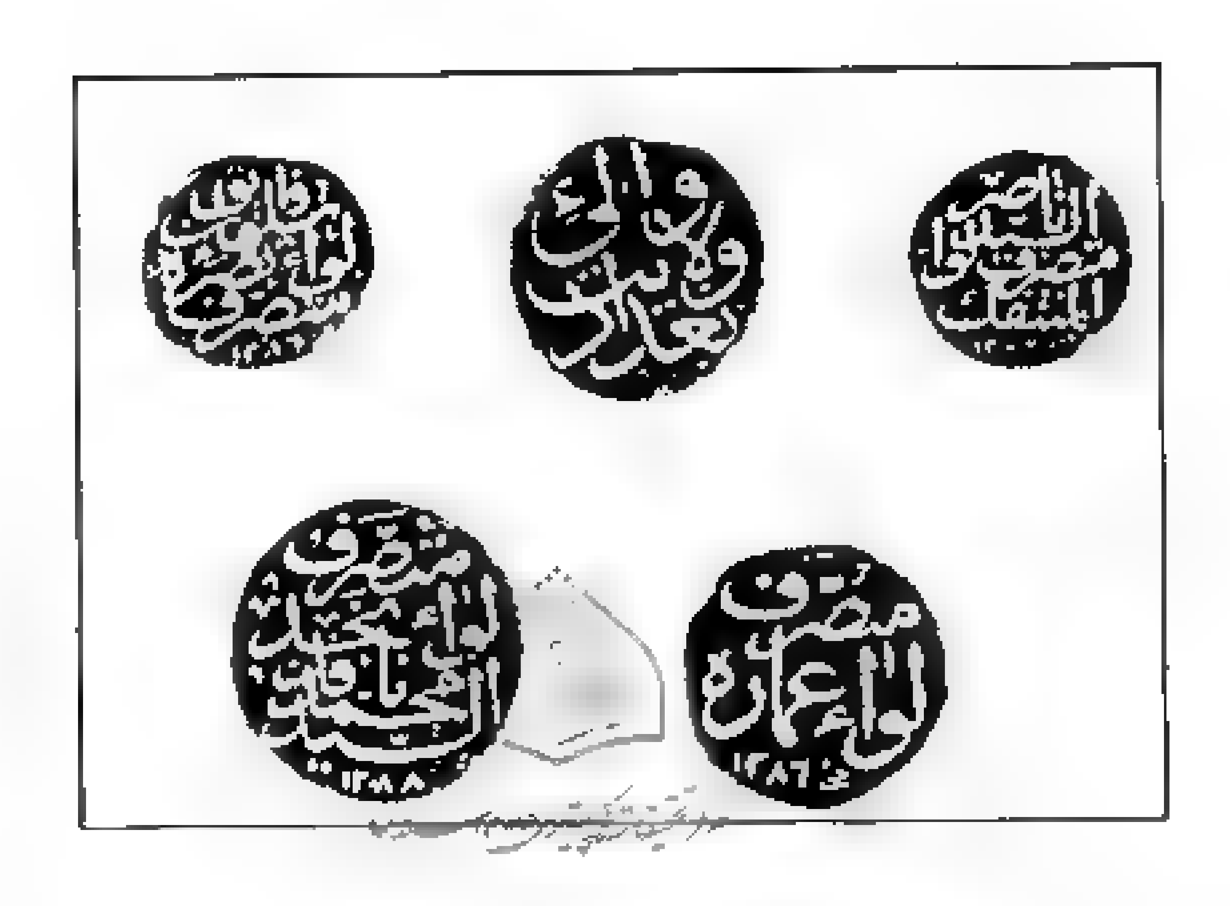
وفي العراق لم تضرب النقود منذ أمد أي من سنة ١٢٦٢هـ ولم تكن في تعاملها على وتيرة ونسبة ثابتة، بل تعتبر البشلك (البيشلغ) بخمسة قروش صحيحة، وفي التداول ستة قروش وعشر بارات ويقابله بالنقد المغشوش (المتاليك) خمسة وعشرون قرشاً. وكذا يقال في (الشامي) تعتبره الحكومة تسعة قروش وثلاثين باره في حين أن التعامل به بين الأهلين بعشرة قروش. والإجحاف بين الأخذ والرد ظاهر.

وهكذا يقال في النقود الإيرانية والتلاعب بأسعارها. كان القران سعر ثلاثة قروش وثلاثين بارة ولكنه لم يستقر على هذه الحالة[2].

---

(١) كتبت مقالات نشرت في مجلة (غرفة التجارة في بغداد) ثم وسعتها في كتاب

(٢) الزوراء عدد ٩ وتاريخ لطفي ج ٨ ص ٩١ وكتاب النقود العراقية



أختام رسمية

(عن مجموعة مخطوطة للسيد حسني الخطاط حفار الأختام المعروف)

(من اليمين إلى اليسار) الصف الأعلى السيد ناصر (باشا السعدون) متصرف لواء المنتفق (١٢٨٢ هـ) - والي ولاية بغداد - سليمان فائق متصرف لواء البصرة (١٢٨٦ هـ).

الصف الأدنى: متصرف لواء العمارة (١٢٨٦ هـ) - متصرف لواء نجد السيد محمد نافد (١٢٨٨ هـ).

والنقود الأجنبية هذه شأنها فإن التعامل بها غير ثابت.

وعلى كلٍّ إن العراق ليس لديه من النقود العثمانية ما يكفي للتداول، أو يفي بالحاجة الاقتصادية وقسر الناس على ذلك يضر بالحركة الاقتصادية ويدعو إلى تذمرات كما أن العلاقات الجوارية تستدعي أن تشيع نقود إيران بكثرة بسبب الزيارات والحج والمعاملات التجارية الكثيرة، فليس من المستطاع أن تزاحم. والنقود الأجنبية الأخرى ليس لها من الأهمية كالإيرانية ولكنها متداولة قطعاً. ولا شك أن النقود الأجنبية والإيرانية أبقت أثراً. فإن الدولة فكرت في مزاحمتها، فلم تستطع. وإن توحيد النقود كتوحيد الأوزان والمقاييس الأخرى باء بالفشل الذريع. وحرمت الدولة ما كانت تأمله من الفائدة من هذا الطريق فلم تلق رواجاً ولا نجاحاً[1]. لم يتم لها الغرض حتى بعد انتهاء المدة المضروبة للمقاييس والنقود. وإنما بقي ما كان على ما كان. نرى الأوامر لا تزال تترى بلا جدوى. نرى مساعي الوالي مصروفة إلى تنفيذ رغبة الدولة وتطبيق قوانينها، فلم ينجح.

الضبطية:

من أصول الولاية المقررة أن يكون في مركز الولاية قائد بصفة (زعيم) وتتوزع للألوية (أفواج) من الضبطية، فيكون في كل لواء (فوج) إلا أن هذا لم يعهد قبل في بغداد، فكانت أمور الضبطية مبعثرة ولم تجر على قاعدة. أمر الوالي بتنظيم التشكيلات كما يتطلبه قانون إدارة الألوية. وكان في بغداد نحو ثمانية آلاف من الضبطية المعروفين بـ (باشي بوزوق) وينطق به العامة (بشورغ)، فألغيت وأسست كتيبة خيالة من (٢٤٠٠) وكردوس مشاة يتكون من (٤٠٠٠) ونيف جعلهم مشاة.

---

(١) الزوراء عدد ٩ و ٤٢ و ٤٦.

وقد تأسست بعض سرياتهم في الحال وعيّن لهم ضباط. ونظمت لهم ألبسة وأسلحة[1]..

ويقال لهؤلاء (الضبطية) الجندرمة. وترتيبهم عسكري فهم بمنزلة شرطة هذه الأيام، وترتيب الشرطة جاء متأخراً.

تطوع الجند:

دخلوا الجندية في سنة ١٢٧٨ هـ، وفي هذه الأيام اقتضى تسريحهم، فأجريت المراسم إلا أن عدداً كبيراً منهم تركوا تذاكرهم الرديفية، وتطوعوا للخدمة، فأعلن الشكر لهم على لسان الزوراء، وتكونت (دائرة رديف)، ويقال لهؤلاء المتطوعة (گوكلية)[2]. وكانت القرعة تطلق على (الجندية) وبذلك خففت القرة، وقبلت طوعاً ولو قسراً.

عزل بعض الموظفين:

كان الوالي يتحقق كل من عرف عنه سوء حالة من الموظفين ليضرب على يده. عزل قائممقام زاوندوز بسبب ارتشاء عرف عنه، وهكذا فعل بمدير ناحية عانة ونائبها. كانوا أخذوا بعض المبالغ باسم الرسوم، وسيق هؤلاء للمحاكمة، وصار الموظفون يخشون أن يمشوا بالأمن، لما يجري من مراقبة فكان الناس تأمن، وأن إعلان ذلك خير رادع للموظفين. والنفوس الشريرة لا يفيد معها تأديب أو عبرة[3].

المدرسة العلية ـ مدرسة الصنائع:

رأى الوالي كثرة المدارس، فطن أن تحويل واحدة منها إلى مدرسة

---

(١) الزوراء عدد ٢ و ٣

(٢) گوكللي متطوع أي من صميم قلبه متطوع

(٣) الزوراء عدد ٣ و ٤.

صنائع لا يضر ولم يدر أن في ذلك اعتداء على حقوق الواقفين وإن أتى بالخير العميم في تعليم الأيتام القراءة والكتابة، وبعض الصنائع الحيوية لئلا يكونوا عالة على المجتمع، بل يعودون عناصر فعّالة ونافعة ولماذا لا تقوم الحكومة بمؤسسة جديدة؟ وهل عجزت عن ذلك؟

تكونت مدرسة الصنائع ممن لا معيل لهم أو ممن لا يتمكن أحد من القيام بأمر تربيتهم، وهم من أيتام المسلمين والآمال مصروفة إلى توسيع هذه المؤسسة باستخدام مثل هؤلاء للمعامل، وللمطبعة كمرتبين، ولا يترك شأن تعليمهم، فكانت من خير الأعمال لو رأت حسن رعاية وعناية[1] وكانت مؤسسة من مال الحكومة أو من التبرعات. فلا يبرر الغصب الغاية الخيرية

استهدفت الحكومة أمر العناية بفقراء المسلمين وتعليمهم الصناعة، فاتخذت (المدرسة العلية) موطناً لهم.

وهذه المدرسة وقفها علي باشا الأول من وزراء المماليك من ماله، وهي على دجلة في أحسن موقع تأسست سنة ١١٧٦ هـ، وكان قد كتب على جدرانها:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ...﴾ [آل عمران: ١٠٤] اهـ

أوضحنا عنها في كتاب المعاهد الخيرية واحتمل أنها لعلي باشا الكتخدا كان غير صواب. بقيت (مدرسة صنائع) أيام مدحت باشا ودامت إلى احتلال بغداد سنة ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م.

في أوائل سنة ١٢٨٧هـ تم افتتاح مدرسة الصنائع وجرى توزيع الطلاب فيها إلى صنوف الحدادة، والنسج، وعمل الأحذية. وبلغوا

---

(١) الزوراء عدد ٤ في ٢٦ ربيع الأول سنة ١٢٨٦.

١٤٤ طالباً وضعوا في مخيم إلى أن تتم الأبنية في المدرسة. زارهم الوالي وأحمد باشا رئيس أركان الفيلق السادس، واهتم الوالي بهم كثيراً واختير بعضهم أن يكونوا مرتبين في المطبعة.

اشترك الأهلون في التبرع لهذه المدرسة من بغداد والبصرة ومواطن العراق الأخرى.. ولو كان الولاة بعد مدحت باشا قاموا بالمهمة لأدت إلى نتائج مرضية، جمعت مبالغ طائلة من التبرعات، وكان من بين المتبرعين محمد آل جميل، والخواجة يوسف الزكوكي، وآخرون، ثم تبرع إقبال الدولة، وناصر باشا السعدون وسليمان فائق، فكان لتبرعات إقبال الدولة وناصر باشا أثر مشهود. وهكذا استمرت الحكومة في جمع التبرعات لتكون مؤسسة مفيدة، وكلة خير لا للفقراء، بل لكل من يرغب في صنعة.

مضت السنون، وتوالت الأيام، ولا تزال المدرسة في حالة ابتدائية، ولم تخط خطوة نحو الإصلاح. وإذا كان قد ظهر بعض المتعلمين منها، فما ذلك إلا لأن هؤلاء جدوا لأنفسهم، واجتهدوا لا أن نظم التعليم تحسنت، والآن اتخذت مجلس الأمة.

تنظيم البلدية ـ الطرق:

إن الحكومة التفتت إلى ما في البلد من عدم انتظام، وما يضر به من أوحال وما يصيب الناس من عناء أيام الأمطار خاصة. وكان من جملة ما يجب أن يهتم له أمر تنظيفه وتحسينه مما يؤدي إلى رعاية صحته لا سيما أمر تبليط شوارعه. وقد شرعت الحكومة في تبليط سوق البلانجية للتجربة ويسمى اليوم (شارع المأمون)، ومن ذلك الحين صار يقال له (عقد الصخر).. ووقف التبليط عنده.

وهكذا كانت النية تنظيم الطرق بين الألوية. فلم يتحقق شيء.

عنزة وشمر:

الشيخ سجر الرمدي من رؤساء عنزة قد غزا شمر في ١٢ ربيع الأول بخمسين مردوفاً[1] وثلاثمئة فارس، وأراد أن يعبر الفرات من قرب الرمادي في محل يقال له (طوي)، فسمعت الحكومة، فمنعته، بسوق جيش إليه، فعاد قسم من رجال غزوه وبقي الشيخ يتجول بثلة كانت معه بين حديثة وعانة ومن هناك عبر، وهاجم شمر ولم يعرف ذلك إلا بعد وقوع الحادث وبمهاجمته هذه قد صادف قبيلة عبدة من شمر فلم يقاتلها وإنما اكتفى بنهب (١٥٠) بعيراً منها وعاد إلى ما بين هيت وجبة مجتازاً من المعابر ومضى إلى قبيله..

ثم إنه لم يكتف بهذه الوقعة، بل تلتها غيرها ففي ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٢٨٦هـ غزا بـ (٥٠٠) خيال ومثلها من المراديف، فعبر الفرات بين هيت والدليم، وهاجم شمر الجرباء، فلما علمت الحكومة حاولت منعه إلا أنها لم تظفر به، والبرية واسعة، وليس لها طريق معينة[2].

الأراضي الأميرية في البصرة:

نشر قانون الأراضي، وأنظمة الطابو في ١٤ صفر سنة ١٢٧٦ هـ، ثم جرت التعديلات عليهما، فأعلن نصهما[3] ولكن هذه القوانين لم يجر العمل بها، ولا تأسست دائرة طابو بصورة صحيحة

ثم أصدر الوزير أمراً بتفويض الأراضي الخالية بحساب الدونم، وأن المعروس يؤخذ عنه عن كل دونم من الأراضي المعمورة ٣٠ قرشاً

---

(١) المردوف الذي يشترك مع آخر في ركوب بعير

(٢) الزوراء عدد ٧ و ١٣ وفي عشائر العراق ج ١ تفصيل عن شمر وعنزة

(٣) الزوراء عدد ٥

سوياً، وأما غير المحروس، وما هو صالح للزراعة فيؤخذ منه العشر. وما يغرس جديداً يعفى من الرسوم لمدة ست سنوات، ثم يؤخذ منه المقطوع فحسب.

وتعد هذه خطوة في الإصلاح، لاستفادة الحكومة عاجلاً في عملية البيع، واستيفاء العشر لتوحيد المعاملات واطرادها فكان لذلك مكانة مقبولة من نفوس الأهلين، ومن ثم انقطعت تدخلات الموظفين في أمر البساتين مما يؤخر الإعمار، فجاء مسهلاً طريق استغلال الأراضي الأميرية..

الهماوند ـ السنجاوية:

ويقال (هموند) أو (حمه وند) عشيرة كردية معروفة بشجاعتها، وبقطع الطرق والإخلال بالأمن مدة سنين بحيث صار يضرب المثل بها، تتعرض للمارة، وتعيث بالأمن ومن رؤسائها (جوامير)، يقال فيه (فلان صاير جوامير).

كانوا ثلاثمائة فارس أو أربعمائة وبسبب القتال لم يبق منهم في هذه الأيام إلا نحو سبعين فارساً أو ثمانين ذهبوا إلى أنحاء زهاب (زهاو) فصاروا يهاجمون الأطراف المجاورة بعشرين أو ثلاثين منهم فيسلبون وينهبون وكان لهم من الرؤساء

١ ـ محمد ميكائيل:

٢ ـ جوكل (جامير).

٣ ـ بچه شيرين

٤ ـ بچه أمين

إن فرقة محمد ميكائيل في أنحاء السليمانية كانت قد ساقت عليها الحكومة جيشاً قتل منه (رئيس) وجنديان، وأصيب محمد ميكائيل

بجرح. ولما عاد من إيران توفي وأما بچه شيرين فقد تعقبته فرقة عسكرية

ولم تنته قضية الكرد بين إيران والعراق ولا يزال هؤلاء يعيشون بالأمن ويرعجون الحدود فكانت هذه القضية من جملة ما جرت المفاوضات عليها بين إيران والعراق لا سيما (الهماوند).

وهؤلاء إذا طاردتهم الحكومة مالوا إلى إيران أو إذا طاردتهم إيران عدلوا إلى الأنحاء العراقية وهكذا

وأما العشائر الإيرانية، فمن السنجابيين (السنجاويين)[1] منهم يشتون في الأنحاء العراقية ولا يخلون من وقائع ضارة بالأهلين، فلا يهدأون بل لا يقلون عن الهماوند.

ذلك ما دعا أن يتفق العراق وإيران على أن لا تؤي دولة أشقياء الأخرى وإذا طاردتهم حكومة، وجب على الأخرى المعاونة في اقتصاء عليهم أو تأديبهم. فكان لهذا الاتفاق حسن الأثر بين الدولتين، ولكن الإيرانيين لم يشأ أمراؤهم أن يبقى الهدوء سائداً وأن تقتطف ثمراته، فلم يوافقوا على صورة حل بقوا على آرائهم القديمة وإن الموافقة بين رجال الدولتين لا تكفي دون أن يرى أثرها مشهوداً فعلاً. فلم يقم الإيرانيون بما يؤدي إلى نتائج مرضية بسبب المتغلبة والأمراء هناك.

أما مدحت باشا فإنه اتخذ قلاعاً على الحدود، والممرات وجعل فيها قوة محافظة لمنع مثل هذه الأعمال، ولم تقم إيران بمثل ذلك

---

(١) من عشائر الحدود وأغلبهم (على لهجة) وفيهم سنة وشيعة ولا ينكر الانتفاع منهم تجارياً عند ورودهم الأنحاء العراقية وتفصيل أحوالهم في مجلة (يادكار) للأستاذ عباس إقبال

وكانت هذه القلاع قد اتخذت في أنحاء بغداد، وفي هذه المرة ألقي القبض على اثنين من رجال الهماوند ومن الباقون إلى إيران فنجوا.

ثم ظهرت فرقة بنجه أمين على قافلة بأطراف خانقين فسلبتها ما عندها، فعلم هؤلاء أن اثنين من المسلوبين كانوا من الإيرانيين فأعادت إليهم أموالهم المنهوبة، وأخذوا ما يعود للعرب. فلما سمعت الحكومة بالأمر، وعلمت بواسطة البرقيات من شهربان (المقدادية) وقزلرباط (السعدية) أن قد غاب هؤلاء من البين. وبعد أربعة أيام أرسلت وراءهم عسكراً لتعقيبهم من خانقين ومن قزلرباط، وكذا أرسل وراءهم خيالة من العشائر، فأحاطوا بهم فحصلت معركة بين الطرفين، فجرح عبد الله بك رئيس العسكر في قزلرباط برجله، وسويدم من عشيرة ربيعة أصيب بصدره، وقتل العسكر رئيس هؤلاء وهو بنجه أمين واثنين من أعوانه وألقى القبض على اثنين آخرين بأسلحتهم وهما محمد رش ومحمد صالح، واستولى العسكر على ستة من خيولهم اغتنموها منهم، واستردوا المنهوبات وسيق المقبوض عليهم إلى المحاكمة.

وهذه الوقائع تعين ضعف الحكومة وعجزها عن مطاردة مثل هؤلاء وإنما استعانت برجال العشائر.

ثم أجريت محاكمتهم، فاعترفوا بالجرائم التي أوقعوها، ومن ثم حكم عليهم بالإعدام[1]. وهذه العشيرة فصلت أحوالها في كتاب (عشائر العراق الكردية)[2].

وكل ما نقوله هنا إن هذه العشيرة في أيام مدحت باشا لم تقف عند ما مر من الوقائع، وإنما عادت مرة أخرى ففي أنحاء كركوك

---

(1) الزوراء عدد ٦ و ٧ و ١٠ و ١٧ ربيع الآخر سنة ١٢٨٦ هـ

(2) عشائر العراق ج ٢ ص ٧٧

سلبت قافلة فجهزت الحكومة عليهم جيشاً، فألقى القبض على ثلاثة من رجالها تبين أن واحداً منهم كان ضابطاً، ففرّ والتحق بها واسمه (زاله)، والآخران اعترفا بالجرائم فسيقا للمحاكمة[1]..

عشائر أورامان:

ويقال (هاورمان) سميت باسم المحل قسم منهم للعراق والآخر لإيران وهذه من القبائل الكردية المهمة، والقسم الإيراني من توابع سنندج (سنة) وقسم العراق تابع لواء السليمانية، في مواطن جبلية صعبة المرور[2].

وهذه لم تهدأ من قتال ونضال بينها وبين إيران، ولها أمير يختار من بينها، يدعى (سلطاناً)، وكان قبل سنة قد دعا حاكم (سنة) فرهاد ميرزا أحد رؤسائهم حسن سلطان، فقربه إليه ثم قتله غيلة وعلى هذا ثارت قبيلته وهاج أولاده على هذا الاعتداء فأرسل إليهم فرهاد ميرزا[3] قوة فبيتتهم هذه العشيرة ليلاً فوقعت بهم الوقيعة القاسية الأمر الذي أدى أن تهتم حكومة إيران اهتماماً كبيراً، وتبعث قوة للتنكيل بهم، والانتقام من فعلتهم هذه.

وهذه القوة أحاطت بالجبل بقصد ضربهم الضربة القاضية إلا أن الجيش الإيراني لم ينل غرضاً منها ولكن الدولة الإيرانية لم تهدأ. ولا تزال تبعث بالجيوش، وتشن غاراتها عليهم فينالها الإخفاق.. وفي هذه المرة قتلت الدولة الإيرانية فتاح بك وأفراداً آخرين منهم، فتفرقت العشيرة . ثم سيرت إليهم جيشاً تحت قيادة كريم خان في طريق (بازلة)

---

(١) الزوراء عدد ٨ في ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٢٨٦ هـ.

(٢) الزوراء عدد ٥

(٣) من أسرة شاهات إيران القجرية عمر مشهد الكاظمين سنة ١٢٩٨ هـ وتوفي سنة ١٣٠٥ هـ. وله من المؤلفات قمقام، وجام جم

مع عساكر (بانه) و (ساقز) إلا أن الجيش قد هلك منه ثمانية أفراد، ثم جهزت الحكومة قمر علي خان نحو خمسة آلاف نفر، فحدثت معركة في (دزلي) فدامت ست ساعات قتل فيها ٣٢ من الجند الإيرانيين، وأثخن الآخرون بجروح، ونال الأورمانيون بعض الأسلحة، وكذا حصلوا على عربات مدافع، وعتاد حربية..

هذا ما جاءت به أخبار السليمانية، ولم يعين ما أصيبوا به، وما حدث فيهم من تلفيات[1]..

ومن المعلوم أن هذه العشيرة تبلغ أكثر من عشرين ألفاً. أراضيها صعبة المرور، إلا أنها لم يكن في وسعها مقاومة إيران فلم تطق الوقوف في وجه الدولة الإيرانية فجاءت الأخبار بعد ذلك بانهزامها

أرادت إيران إخضاعها، فاضطروا إلا أنهم لم يستطيعوا الدوام على الحرب، وإن كانوا قد أصابوا الإيرانيين بأضرار وبسبب المخالفة المذهبية حنقوا عليهم حنقاً زائداً، ونفروا منهم فلما دخل الإيرانيون المحل حاولوا أن يقتلوهم قتلاً عاماً، وشرعوا يحرقون القرى ويقتلون فيه تقتيلاً شنيعاً فلم يتركوا طفلاً ولا امرأة ومنهم من قطعوا أيديهم وأرجلهم، مما زاد في توحش الأهلين ونفرتهم منهم، فمالوا إلى العراق، طلبوا الدخالة، وقدم رؤساؤهم وأمراؤهم محاضر عامة بينوا فيها حالتهم والجور الذي لحقهم

والدولة العثمانية كانت تلتزم حقوق الجوار، وفي مثل هذه تعد من واجبها أن تراعي حالة الاثنين لأداء الخدمة بصورة مرضية، فاختارت تأليف البين والتقريب، فأوعزت إلى موظفي الحدود أن يراعوا المصلحة في ذلك.

---

(١) الزوراء: ١٠ ربيع الآخر سنة ١٢٨٦ هـ

إن الإيرانيين لم يجيبوا رغبة الدولة، ولم يلتفتوا إلى ما أبداه الموظفون بل استمروا في القتل والنهب والتخريب، وتوغلوا في إفناء هؤلاء، فمال الرؤساء والأمراء إلى العراق، ثم تبعهم الأهلون من أطفال ونساء وعجزة مطلبو المعاونة، وقبول الدخالة متهالك والحاح لما نالهم من قسوة. فلم يتمكن الموظفون من رد عدد كبير يبلغ السبعة آلاف نسمة، فقبلوا دخالتهم، وأبدت الحكومة الرأفة والعطف لما رأته في هؤلاء من نكبة، ومن ثم أسكنتهم بعض المواطن من أنحاء السليمانية، واتخذت التدابير لمحافظتهم، والإنفاق عليهم وإعاشتهم[1]..

وجاء في تبصرة عبرت أن الخلاف قد أدى إلى أن تقوم إيران بتأديبهم، فأرسل الشاه موظفاً يخبر الحكومة، ويرجو منها أن تمنع دخولهم العراق، وكذا ورد من الباب العالي أمر بهذا المعنى، ولما أجرت حكومة بغداد التحقيقات عينت أن هؤلاء من أهل السنة، شافعيو المذهب الأمر الذي دعا إلى أن يحتفظوا، وكذا كانت إيران تظلمهم وتضيق عليهم

وفي هذه الحالة حارت إيران في أمرها لا تستطيع أن تخالف الباب العالي، وأن الأهلين في جبل أورامان يبلغون العشرين أو الثلاثين ألف نسمة، وأكثرهم موصوفون بالشجاعة، فأرسلت الحكومة تنفيذاً للأمر أربعة أفواج أو خمسة وبعد مضي مدة قليلة دخلت حكومة إيران الجبل، فالتجأ الأهلون كافة إلى المملكة العراقية، فلم يسع الجيش أن يمنعهم، جاؤوا بنسائهم وأطفالهم، وكان عددهم أكثر من عشرين ألفاً، فمضوا إلى لواء السليمانية، فاتخذت الحكومة التدابير المقتضية

---

(١) الزوراء، ٦ و ٧ و ١٢ في ربيع الآخر وجمادى الأولى سنة ١٢٨٦ هـ

لإعالتهم، والقيام بما يحتاجون إليه ثلاثة أشهر، وحينئذ ستحصلت الدولة العفو عنهم من حكومة إيران، وتؤكد أنهم سوف لا يمسهم سوء، بل نالهم العفو العام. فذهبوا إلى ديارهم مرفهين[1]

ثم إن إيران وافقت أن يقيم الرؤساء المتقدمون في ديار الكرد أو في آذربيجان بأن لا يعودوا إلى مواطنهم وهم بضعة أشخاص من الرؤساء[2]..

ضباط المدرسة الحربية:

في هذه السنة تخرج طلاب من المدرسة الحربية فكانت حصة العراق منهم ستة ضباط، فتوزعوا في الفيلق السادس ببغداد

عشيرة الحيادر:

كانت قد مالت هذه العشيرة إلى أنحاء الحويزة وفي هذه المرة عادت إلى العراق، وتبلغ نحو مائتي بيت، فسكنت أنحاء العمارة، ولا يزال باقي أفرادها يتواردون وهذه العشيرة من آل أزيرج (أزيرق) ويقال لها (بيت حيدر) أيضاً[3].

إحصاء بغداد:

بغداد وفي ضمنها الكاظمية والأعظمية تبلغ (١٨٤٠٧) بيوت ونفوسها من تبعة الدولة ٦٣٢٧٢ من الذكور من هؤلاء

---

(١) الزوراء عدد ١٢ وما يليها

(٢) عشائر العراق الكردية ج ٢ ص ٨٥ وكتاب السليمانية ـ شهرزور. والزوراء عدد ١٤

(٣) الزوراء عدد ٨ في ١٤ ربيع الآخر سنة ١٢٨٦ هـ وعشائر العراق ج ٣ ص ٧٥ و ج ٤ في مواطن عديدة

مسلماً	52689
يهودياً	9325
نصرانياً	1258

وأما الأجانب فهم ٢٤١١منهم

إيرانياً	2126
إنكليزياً	265
روساً	14
نمساويين والآن منهم (بيت رعوبده)	3

لا نعرف درجة صحة هذ الإحصاء بل لم يكن متقناً[١]. ويصح أن نقول إنه لا نصيب له من الصحة.

التجارة ـ الطرق البحرية:

كانت تجارة الهند قديماً من طريق البصرة، ومصر، ولكن الأوضاع تبدلت فصارت من طريق رأس الرجاء الصالح ومنها إلى أوروبا[٢]. ثم فتح قنال السويس في ١١ شعبان سنة ١٢٨٦هـ ـ ١٦ تشرين الثاني سنة ١٨٦٩م فغير الوضع أكثر، وتبعدت التجارة الهندية، فصارت لأيدي الأجانب واضطررنا إلى التعامل معهم

ومن ثم أوجدت الحكومة سفناً تجارية في خليج البصرة، وبعض السفن الشراعية وهذه لا تفيد أكثر من محافظة السواحل، وفي السويس لم تكن توجد إلا سفن الأجانب في حين أن الحاجة للتجارة وللحج تستدعي أن تؤلف سفن للنقل وأن المنافع التي تعطى للأجانب كبيرة لا يستهان بها الأمر الذي دعا أن توصي

---

(١) الزوراء ـ ٩

(٢) تاريخ العراق ج ٤.

الدولة بعمل مراكب بحرية لهذا الغرض[1]

ومن ثم اشترت الدولة مركباً دعته (بابل بقوة (٣٥٠) حصاناً، وسعته ١٧٠٠ طن، وفيه مسام ٢٨٠ من الركاب، اشترته الحكومة بمبلغ ٣٣٥٠٠ ليرة وقد اختبرته نظارة الحربية الإنكليزية وكذا عزمت على شراء آخر مثله، وهو على وشك إنهاء لمعاملة ولا يختلف عن سابقه.. وهذا تحمّل فيه المعامل الموصى بها والمطلوبة للدولة، لتأتي بها عند فتح قنال السويس وإنهاء عمله، وأن المسافة بين البصرة والسويس ٣٣٢٢ ميلاً وهي أربعة أضعاف المسافة بين استانبول والإسكندرية وسيعلن خبر سفرها، وتاريخ مرورها في كل شهر من باب المندب ومخا وحديدة وجدة وأمثالها مما تمر به في طريقها

وهكذا تقرر أن يوجد مركب آخر من نوع ما سمي بـ (مدحت باشا) الذي كان يسير في (الدسوب) ويستخدم للسير بين القرنة والبصرة والكويت وبندر أبي علي شر[2] (كذا) والبحرين.

وفتح قنال السويس لم تكن فائدته مقصورة على الدول العربية، وإنما فائدته للدولة العثمانية أكثر، فمن واجبها أن تصنع أسطولاً هناك، وأن تترقب الحوادث السياسية والاقتصادية وكل سواحلها عادت متصلة بسبب هذا القنال.

إن الأراضي في منتوجاتها وتداول ثروتها تحتاج دوماً إلى هذا التداول وتأمين اتصاله بالخارج فكانت الضرورة تدعو إلى وسائط النقل، لئلا تبقى المحاصيل في أماكنها حتى تهلك دون أن تجد ما يسهل نقلها بلا كلفة.

---

(١) الزوراء عدد ١٠ و ٨ جمادى الأولى سنة ١٢٨٦ هـ
(٢) يعرف اليوم ببندر بوشهر فسمي أخيراً ببندر شابور

ومن هذه الوسائط البواخر وكان الانكليز قبل هذا قد حاولوا تشغيل بعض البواخر، فاشتغلت بضعة أعوام[1] فأصابها العطب كما أن نهر دجلة لا يصلح لسير البواخر في شمال بغداد، وإنما يجري تشغيل البواخر فيما بين بغداد والبصرة. وفي أيام نامق باشا أوصى بجلب أجزاء ثلاثة بواخر ومنها اثنان ركبا في بغداد، فهيئتا للعمل إلا أنها لم تبدأ.

أما مدحت باشا فإنه نصب المركب الثالث أيضاً، وشرع بتشغيل المراكب فكانت منافعها للتجارة وللمنفعة العامة كبيرة جداً، وأذن بالصرف لهذه المراكب مبلغ خمسة عشر ألف كيس سنوياً، وأن مدحت باشا أبلغ عدد هذه المراكب إلى ثمانية. وكذا شكل إدارة نهرية، ونظم المعمل الذي اتخذ ببغداد سابقاً، وأتى بلوازمه فعهد إليه تركيب المراكب وتعميرها وسائر احتياجاتها.

فنفع طريق النقل البحري، وصارت السفن تتوزع بكثرة، وتتجه جميع السواحل وعادت لا تكفي الوسائل القديمة بين بغداد والبصرة، وتحققت الحاجة إليها بقدر الحاجة إلى تنظيم وسائل النقل فتوسعت بالسفن البحرية أكثر. وبهذا يكون المخرج للمواد العراقية، فاكتسب مكانة مقبولة، وصار العراق يتصل بمواطن بعيدة جداً.

ذلك ما دعا الحكومة آنئذ أن تشتري ثلاثة مراكب تجارية:

١ ـ مركب بابل. وهو مركب جسيم.

٢ ـ نينوى.

٣ ـ نجد.

---

(١) راجع أيام علي رضا باشا.

وهذه أضيفت إلى (مركب آثور)

وهذه الأربعة كانت تسير بين سناسول والعراق في كل ثلاثة أشهر مرة، وتذهب مرة إلى إنكلترا. فنظم موعد سيرها وكان من أعظم لوازمها الفحم تأخذه الحكومة من إنكلترا، وكذا كانت تحتاج إلى موانىء في عدن ومسقط وبندر بوشهر، فكانت تحتاج أن تجعل وكلاء في تلك الأماكن لتقوم بالمهمة، وكانت الضرورة تدعوها أن تحفظ في بلدة عدن مقدار ثمانية آلاف أو عشرة آلاف طن من الفحم الحجري، وأن تجعل هناك مركزاً لمراكب الدولة فيما إذا أرادت السير إلى البحر الأحمر وغيره فتأخذ من ذلك الفحم، فتسهل أمر تلك المراكب..

إن مركب كامل اشترته الدولة بطريق المزايدة بمبلغ (٣٣) ألف ليرة في حين أنه كلف ثمانين ألفاً ولم تمض على عمله إلا سنتان وسبب إفلاس الشركة بيع، وكان أول سفره من البصرة إلى الحج ربح (٣٥) ليرة..

وهذه السفن البحرية تأسست لها (إدارة عثمانية) قيل لها (العمان العثماني) وقد اشتهر حسن انتظامها في الأنحاء المجاورة، وصارت تربح شهرياً نحو ألف ليرة من التجارة، وبقيت هذه المراكب، وظهر نفعها، استمرت على هذا الوجه، فأمنت للمملكة حاجة ومنفعة من هذه الطريقة[1]..

والأمر لا يصح أن يقتصر على أيام مدحت باشا بل نرى أنها أصابها تضعضع وخلل حتى عادت غير صالحة أو زالت من البين وما ذلك إلا لأن أخلاف مدحت باشا لم يرعوا هذه المؤسسة

---

(١) تبصرة عبرت ص ٨٩

تطهير الفرات:

وكانت آمال مدحت باشا مصروفة إلى أن يتخذ طريقاً في الفرات لتأمين الوسائل الثقية لتكامل محرج التجارة، وتبادل المتوجات

حاول أن يأتي بالمراكب من (بيره حك) التي أتمها هناك إلا أن غرق هذه المراكب وتلمها قد كوّن قضاء مبرماً وإلا فإن نهر الفرات جسيم، ومن مسكنة إلى البصرة كانت مياهه صالحة لسير السفن، وأكبر عارضة في طريقها كانت بين قصبة هيت وعانة، وغالب هذه متأتية من الأبنية القديمة في النهر، وكذا من الكرود القديمة وبقايا أنقاضها وانهدامها. فذهب مدحت باشا بنفسه، وعلم أنها قابلة للإصلاح والتعمير وأن شاكر بك[1] مأمور التابعة لولاية بغداد ذهب في السنة التالية، ومعه مركبان خصصتا له ومن يكفي من مهندسين وأرباب وقوف لكشف جميع مواطن الفرات.

وهذا أجرى التحقيقات، وحصل على معلومات كافية، وبيّن أن الفرات قابل لأن يعمر، ويعد للانتفاع، فقام بإزالة الموانع، وبدأ من هيت وزاول تطهير العوارض في أنحاء جزائر الفلبوي وجبّة وألوس إلا أن الفرات في أكثر محاله يشاهد الجريان فيه قوياً وشديداً، فلم يتيسر تخفيف هذه القوة إلى الدرجة المطلوبة. فكانت لا تزيد سرعة هذه المراكب عن ١٢ ميلاً بل تسحب قليلاً من الماء، فعزمت الحكومة أن توصي بعمل مركب من نوع المراكب التي تستعمل في النمسا في المجاري القوية[2]. يكون لها أربعة دواليب وسرعة زائدة.. ولكن إنشاء مثل هذا المركب يحتاج إلى وقت طويل، بحيث لا يأتي بصورة (أجزاء)

---

(١) هو المشير شاكر بك

(٢) سورة المياه تعرف بالسردور والسيار ويسميه العوام (السويرة) و (السوارة) و(الخورة).

إلا بعد انفصال مدحت باشا. ولما ورد المركب إلى العراق سمّي (مسكنة)، فاشتغل مدة في الفرات، وهو المركب الوحيد الذي كان يعمل بين بغداد ومسكنة[1].

أغفل ما آل إليه أمر هذا المركب ولم يعرف تاريخ تلفه ولم ينجح هذا المشروع بوجه.

المنتفق ـ الالتزام:

جرت تبدلات في الإدارة فاعتبر المنتفق لواء. وفي أيام هذا الوزير أوشكت مدة الالتزام أن تنتهي، ووجب أن يعرف موقف الوزير في تنفيذ رغبة الحكومة بلا إيجاد تشويش يؤدي إلى إرباك الحالة لا سيما وقد أخفق وزراء عديدون.

ولا شك أن الوزير استطلع الآراء فعلم أن الأستاذ سليمان فائق أعرف بالحالة. مارسها مدة، فدعاه برقياً للحضور، وكان آنئذ (قائممقاماً) فورد بغداد، وعلم ما عنده، وكان أول عمل قام به الوالي أن دعا ناصر باشا إلى بغداد للمراجعة فقصد الإمهال إلى انتهاء المدة وكانت قريبة الختام. فلم ير الوزير بداً من تأخير القضية إلى وقتها المرهون. وأذن لسليمان فائق بالعودة إلى البصرة. ومن ثم حولها إلى متصرفية[2] كما تقتضي التشكيلات الإدارية وبيّن أنه سوف يدعوه إذا رأى ضرورة.

ومن ثم انقضت مدة الالتزام، فدعا إليه سليمان فائق، وأبدى ناصر باشا تأخراً وتهاوناً أو أنه تثاقل. وفي خلال ذلك تمكن الأستاذ سليمان فائق من الاتصال بـ (فهد بك). لازمه وأقنعه أن شط العرب،

---

(١) تبصرة عبرت ص ٩١.

(٢) كان قبل التشكيلات الأخيرة يسمى (قائممقاماً) ويراد به المتصرف.

ودجلة في جانبيهما قرى ومزارع كثيرة، وهناك عشائر مختلفة، وأن الفرات من الحمار إلى القرنة لم يكن فيه شيء من العمارات، ولم تؤخذ منه واردات وكل وارداته الشتوية والصيفية تبلغ نحو عشرين ألف ليرة، فأرادت الحكومة أن تعطيها بدلاتها السابقة لا أكثر

ونواياها هذه ظهرت على لسان الأستاذ سليمان فائق وفي ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٨٦هـ ـ ١٨٦١م ورد ناصر باشا إلى بغداد، وواجه الوالي مدحت باشا فقال له هل ترغب في التزامه بالبدل السابق بعد أن تترك بعض المواطن، وقد عينها له، فكان جوابه أنه وصل الآن إلى بغداد، ولم يسترح بعد، وأنه يحتاج إلى تأمل واستشارة، وطلب أن يمهله الوالي مدة ثلاثة أيام

وأن المواطن التي أراد الوالي أن تترك:

١ ـ المدينة (بالتصغير).

٢ ـ جزائر البصرة

وهذه تحتوي على ثلاثين ألف مسلح بالبنادق من المشرة، وهم مستند شيوخ المنتفق، وقوة ساعدهم فكانت هذه أول التدابير، ومقدمات الأعمال، وصار الوالي يفكر في المعضلة، ويفاوض فهد بك في اقتطاع مواطن أخرى إلا أنه يضمر رأياً آخر وهو القضاء على هذه الإمارة.. وكان يسمع الأقوال من الأستاذ سليمان فائق وغيره، ولم يبد نواياه..

أما ناصر باشا فقد انتابته الهواجس واستولت عليه الأفكار، فلا يدري ما يصنع؟! وآمال الحكومة معلومة، والثورة لا تخلو من كلفة والأسلحة الجديدة لا تطاق، وأن سليمان فائق يضمر الكيد للقضاء على المشيخة. عرفت آراؤه عند الوزير..



الأستاذ المحامي محمد آل بابان من أحفاد إبراهيم باشا باني السليمانية
(من بقايا آل بابان)

وكان معاون الوالي (تويسر رئف) أي رائف الأمرد قد أعلن أن المنتفق لم تكن لدولة أخرى، فتؤخذ لأقل وسيلة وأدنى سبب، ولا معنى لاقتطاع قسم من المنتفق، ثم آخر، وهذا أشبه بمن يأخذ من أحد جيبيه ليضع في الآخر، فيعد نفسه قد ربح. فلا وجه لإفراز قسم من المنتفق وإبقاء سائره بيد الشيوخ، بل أمدينا (يريد الوالي) جعل المنتفق لواءً وقرر أن تجري فيه التشكيلات اللازمة كسائر الألوية، وسيوجه هذا اللواء إلى ناصر باشا، فيكون متصرفه، ونظراً لقرب بعض المواقع من البصرة، ومن العمارة تلحق بهذه الألوية ومن ثم ينجو العشائر والأهلون من غوائل المنتفق، وتزول التعديات..

أعلن المعاون ذلك وعين رغبة دولته

قال الأستاذ سليمان فائق: وقعت المذاكرات سدى بيني وبين الوالي بهمة من رائف بك وبوساطة من اليهودي المسمى (عزرة الصراف)، وكان يستخدم واسطة الرشوة من الموظفين، وهو من الأبالسة الذين يسترقون السمع لحاجات ناصر باشا للترحيب به، وكان يتخذ أطواراً غريبة للوصول إلى غرضه، فتمكن من استهوائه وبعث فيه الأمل في ربح قضيته، وأن يجعله منتصراً في هذه المعمعة وفي اليوم التالي صدر القرار المذكور ولم يكتف الأستاذ بهذا، وإنما أبدى استغرابه من توصل اليهودي في خلال ثلاثة أيام أن يولّد الصداقة والوئام

ومهما كانت الأوضاع وخفاياها فقد جاء الحل خلاف رغبة الأستاذ سليمان فائق، فصار يصرف أخماساً بأسداس تأييداً لصحة فكرته فلم ير ناصر باشا بداً من الإذعان لأمر الوالي إذ لا طائل وراء معاكسة الحكومة للأسباب التي كانت ترد لخاطره لا سيما أن أقاربه في تزاحم ونضال على المنصب فكان يخشى أن يقبل غيره بذلك فيخسر الصفقة

وفي ٢ جمادى الأولى سنة ١٢٨٦هـ سار إلى المنتفق وعين عبد الرحمن بك قائممقام الهندية معاوناً له، وعبد القادر الآلوسي نائباً، والحاج سعيداً محاسباً. وكان هذا الأخير من موظفي المحاسبة في الألوية. وعاد ناصر باشا إلى المنتفق لإجراء التشكيلات وذهب سليمان فائق إلى البصرة، وكان أمله مصروفاً أن يستخدم في وظائف مهمة، ويلتحق بدائرة الوالي ولكن تسويل من بعضهم نصب متصرفاً للحلة.

إن قبائل المنتفق من أعظم عشائر العراق. يمتدون من الحلة والديوانية والسماوة حتى البصرة وأراضي الحويزة، وكذا لواء العمارة غالبه منهم يقيمون بصرائف من قصب وأكواخ من بردي.

ويرأس هذه القبائل أحد مشايخهم مستقلاً ويقال لأراضيهم (المنتفق)[1]. تعطى للرئيس بالالتزام، فيتحكم بها، واستمر هذا الحال إلى أيام الوزير رشيد باشا الگورلگمي. وفي زمانه، وفي أيام نامق باشا قد أفرزت منها بعض المواطن فألحقت بما جاورها من الألوية كالديوانية والبصرة، وكانت توضع بالمزايدة لكل ثلاث سنوات مرة. وبسبب الطمع على بذل المزايدة في كل مرة تزايد مقدار التزامها، فكانت الاستفادة للحكومة مضاعفة من ناحية الزيادة ومن تقطيع الأقسام.

إن هذه الحال لم تجعل للحكومة تدخلاً في الإدارة ولا رفّهت على الأهلين، فلم يحصل الغرض من الإحالة. ومن جهة أخرى إن الشيوخ يتحكمون بما لا يأتلف وإرادة الدولة. ولكنهم يتشكون ويرثون لحال الأهلين. في حين أن الزيادة والاقتطاع كان منهم بسبب حرصهم الزائد.

أرادت بهذا الحكومة التنديد وأن تبين الحالة المعتادة للمشايخ والقواعد التي ساروا عليها[2] فقالت: كان هؤلاء الشيوخ يحيلون كل

---

(١) تسمت باسم من جدها من عشائر المنتفق. وأصل المنتفق اسم جد لهذه العشائر.

(٢) الزوراء عدد ١١.

قطعة إلى أصحابها بدل وهؤلاء يتحكمون بالأفراد ما شاؤوا، فيستخدمونهم كالأسرى. يأخذون منهم كل أتعابهم، ولا تجري بينهم أحكام شرعية ولا قانونية

وإن الشيخ الذي ينصب يستولي على أموال سابقه وأملاكه، وله أن يملكها إلى غيره..

وهذه الأحوال قد لاحظتها الحكومة وعيت بأمر هؤلاء، فأعلنت إلغاء الالتزام أيام نامق باشا، وأراد هذا الوزير إدخال هذه العشائر ضمن إدارة منظمة، فاختار أحد المشايخ (قائممقاماً) وجعل موظفين معه، ولكن هؤلاء لم يقدروا منفعة ذلك، ولم يعملوا لإزالة ما كانوا يتألمون منه، من أخذ رسوم للخزانة، ولم يبالوا بالأصول الحديثة العدلية فطنوا ذلك تثقيلاً عليهم، وزيادة ضرائب وتضييقات الأمر الذي اضطر الحكومة أن تعود إلى الالتزام وهل تأمن العشائر من الحكومة وهي التي ضيقت على هؤلاء الشيوخ في أخذ ضرائب ثقيلة؟

كان قد عهد بالالتزام لمدة ثلاث سنوات إلى ناصر باشا عن السنين السابقة، فانتهت مدة التزامه، وحل أمد الالتزام الجديد، فجاء شيوخ المنتفق لأجل المزايدة إلى بغداد

ولما كان ذلك ينافي إدارة الدولة وقاعدتها الأصولية العدلية شاهدت هذه الاستعمالات سيئة نتائجها ومن ثم قررت أنه لا يجوز إحالتها كالسابق، وأن فصل بعض الأماكن إلى الألوية المجاورة كان غلطاً، وصارت تشعر أنها كانت على ضلال وأن ما أصابها من نكبات وسيئات عادت خواطر قاسية، فزادت الشكاوى من هذه الحالات السابقة. فتعلقت إرادة الدولة في أن تضم المواطن الباقية إلى إدارة الدولة.

ومن ثم دخلت العشائر في إدارة جديدة واختير أحد هؤلاء الشيوخ

(متصرفاً) وهو ناصر باشا ورجّح على غيره وأعلن للأهلين ما كانوا عليه في السابق، وما سينالونه في الحاضر وأمر الموظفين أن يمضوا إلى محل وظيفتهم، وأرسل من الجيش سريتين من المشاة وسريتين من الخيالة وهي فرقة ضبطة وجعل برفقتهم رئيس فوج (طابور أغاسي)، وقسم لواء المنتفق إلى أربعة قائممقاميات، وعين الموظفين بالتدريج

وكان أمل الحكومة أن تتخذ (سوق الشيوخ) مركز للواء إلا أن وخامة هوائها منعت من ذلك فتقرر بناء مدينة باسم (الناصرية) في محل معتدل، وأن تكون طرقها واسعة بمقدار ٢٥ ذراعاً وأن تكون في وسط اللواء، فوقع الاختيار على المحل الموجودة فيه اليوم وتقرر إنشاء دار للحكومة وجامع وأبنية أخرى، وبهذا صار يتقرب الأهلون للحضارة والمدنية، فشرعوا في هذا الأمر[1] جرياً على ما كانت جرت في بابان.. وكان أمل نجاحها كبيراً.

وأعلن بيان هذا مفاده

«أيها المشايخ والأهلون في ديرة المنتفق!

أنتم جميعكم من تبعة الدولة وأراضيكم قابلة للعمارة أكثر من غيرها وقد بقيتم محرومين من الراحة والرفاه والأمن والدعة والعمارة مما ناله الأهلون في المواطن الأخرى، وصرتم في حالة ضيق وعناء من جراء الالتزام والرسومات التي تؤدونها وكان من اللازم تطبيق الشريعة فيما بينكم، فصار يراعى النكال، فيؤخذ من القاتل ألف شاة وهكذا من يتعدى على العفاف يؤخذ منه (المصلحة)، مثل هذا شأن (الدودية)[2]، كما أنه تجري المصادرات مما لا يرضى به السلطان،

(١) الزوراء عدد ١١

(٢) تؤخذ من البيوت بالتوزيع عليهم وهي بمقام الجبنية ويقال لها (العلمية)

وأن الحكومة وضعت قوانين وتنظيمات منعت بها أمثال هذه الأمور وصارت تجري الألوية على نظام العدل والرأفة. وأن قطعة هي جزء من بغداد لا يسوغ نفوذها على هذه الحالة، فيحرم الأهلون من العدل والشفقة فيها دون غيرها. فلزم إدخالها في عداد ألوية بغداد لتكون في فلاح ونعيم. ونطق في حقها أصول الولاية. ففعلنا ذلك، وجعلنا المتصرف عليها ناصر باشا، وجعلنا معه موظفين للقيام بهذه المهمة فكان هذا من متممات الأعمال الخيرية» (وذكر توضيحاً عن التنظيمات فقال:

«هذا ما اقتضى أن تتخذ للمنتفق إدارة جديدة ولا غرض إلا أن ينال الأهلون حقوقهم الصريحة وينالوا العدل والرأفة. فليكن معلوماً لكم أنا قد ألغينا الكال والصيحة والدودية وأمثالها من الرسوم التي لم تكن مشروعة، وأن الأعمال ستجري وفق الشرع والقانون، والمصادرة والتجريم ممنوعان. وكل أحد أمين على ماله وملكه. وله حق التصرف بأراضيه المنتقلة إليه من آبائه وأجداده بصورة مشروعة وألغيت كافة العوائد والرسوم من حيوان وسمن وأغنام. وكذا ألغيت المقاطعة والالتزامات كما هو أصولها الجارية إلى هذا اليوم، ولا يؤخذ من الحاصلات أكثر من العشر، وسوف يعاقب من خالف ذلك أياً كان. والمراجعات والشكاوى تجري على الترتيب فالمدير يشتكى عليه عند القائمقام والقائمقام عند المتصرف، والمتصرف لدى الوالي.

هذه خلاصة ما سنعمله، وستشاهد آثاره العملية والنافعة في القريب العاجل بلا شك ولا شبهة إن شاء الله..» اهـ[1].

هكذا قالوا وإن سوء الإدارة ونية الحكومة. تأخذ الضرائب، ولم

---

(١) الزوراء عدد ١١ وفي ١٦ جمادى الأولى ١٢٨٦ هـ

تكتف بمقدارها المعين وإنما تزيده في كل ثلاث سنوات من جهة، وتقتطع أقساماً من الأرضين. وأما العادات التي جروا عليها فهذه كانت تؤخذ حسب المعتاد، وذكرت أنه إذ حدث اختلاف بين الشيوخ تؤخذ (رصوة). وهذه كانت قديماً يأخذها شيوخ المنتفق إلا أنها تركت من أيام ناصر باشا، وأيام فهد بك، ومنصور بك، فلا وجود لها اليوم، إلا أن جريدة الزوراء[1] ذكرتها بقصد التنديد بالعوائد المألوفة، وأن الحكومة عزمت على تطبيق الإدارة المدنية. ومنعت ما كان يؤخذ من الاحتساب والتمغا والباج وأمثالها مما لا توافق رسوم الدولة ولا تنطبق عليها. وكلها تعين سوء الحالة وغلب العشائر هاجر إلى مواطن أخرى للخلاص من هذه الشرور، فالحكومة تطلب بدل الالتزام صافياً، والشيوخ يريدون نصيبهم، وكذا سائر الرؤساء الصغار وهكذا فكان البلاء مضاعفاً، والحق أنهم كانت تنهب حرمتهم، ويتحكم بهم كل واحد كانوا في أيام لتغلب بسطوة من هذه الرسوم. وإن بدلات الالتزام مع اقتطاع قسم أنهك كاهل العشائر.

ومن أراد أن يعرف نصوص الالتزامات فليرجع إلى كتاب (مباحث عراقية)[2].

مستشفى الغرباء

إن مدينة بغداد وإن كانت تحوي ما يزيد على (١٥٠) ألف نسمة، وفيها غرباء وأجانب. ليس فيها مستشفى يلتجأ إليه، ولا طبيب ولا صيدلي. وهذا نقص كبير يجب تلافيه وفي جانب الكرخ حديقة تابعة لوقف مدرسة سليمان باشا وهذه يجب استئجارها وتجديدها مستشفى إلا

(١) الزوراء عدد ١١ و ١٢.
(٢) مباحث عراقية ج ٢ تجد ص ١٧٦ و ١٩٧ و ٢٥٨

أنها تحتاج إلى مبالغ طائلة، ولا يتم هذا إلا باشتراك الأهلين وتعاونهم وبذلهم في هذا السبيل

ولما أعلن الأمر صار يتسابق الناس في الاشتراك في هذا العمل، ويتقدمون لجمع الإعانة وأبدوا كل حمية فقدموا ما عندهم، فتبرعوا[1]

وهذه من أعمال مدحت باشا الخالدة في بغداد، وآثاره الناطقة وقد أصابت هذا المستشفى تنقلات كثيرة، ولم يبق على حاله، أوضحت عنه وفصلت ما جرى عليه في (كتاب المعاهد الخيرية) في العراق. ولا يزال ينطق بتاريخه في أعلى البناية

عشائر كردية

في هذه الأيام هاجت عشائر الكرد

١ - بي توي. من عشائر إيران في الحدود.

٢ - باروند. وهذه أيضاً من عشائر العراق

٣ - السنجابية أقرب إلى الاتصال بالعراق وهي إيرانية وطالبان فرع من فروعها ومنهم من يسكن قرية (طالبان) العراقية

٤ - الهماوند في العراق ويمرّون إلى إيران فيهاجمون الأطراف[2]

هاجم من هذه العشائر نحو ٢٠٠ فارس الحدود العراقية اجتازوها، فوصلوا إلى قزرباط (السعدية) وأوقعوا بعشيرة زنبعة على حين غرة، فقتلوا ١١ شخصاً بلا جريرة، ونهبوا أموالاً كثيرة وذلك انتقاماً لأحد رؤساء الهماوند أمين بچه، بسبب ما قام به حينئذٍ شيخ

(١) الزوراء عدد ١٢ وفي ٢٣ جمادى الأولى ١٢٨٦ هـ

(٢) الزوراء عدد ١٢.

ربيعة من الخدمات، فأحرقوا ماسار وأذيه للدين في حصن أمهما وأسروا الزوجة فعلمت خانقين بذلك فأرسلت عليهم جيشاً ولكن هؤلاء فرّوا من حيهم إلى ما وراء الحدود[1]..

وربيعة هؤلاء في أنحاء خانقين وقررباط والكثرة في لواء الكوت ذكرتهم في المجلد الرابع من عشائر العراق

القرعة أو التجنيد

الوالي لا يستطيع القيام بالتشكيلات الإدارية ما لم تدعمه القوة العسكرية، وإلا ذهبت أتعابه هباء والإدارة يحرسها الجيش، والإجراءات الملكية والمالية إنما تقوم به فكان يحذر أن يجابهه الأهلون، ويفاجئوه بمعارضة على حين غرة وينله الخطر فلا يتم الغرض كما وقع فعلاً من الولاة السابقين، وأدى إلى عواقب. والأهلون لا يقدرون الأوضاع ولا ينظرون إلى المصلحة نظرة حكيم، فأراد أن يحل المعضلة في القرعة بطريقة لا تدعو إلى قلق، فأجراها في بغداد وحدها، وإذا تم الأمر تيسر له القيام بها في أنحاء العراق الأخرى بالتدريج

والحاجة ماسة في أخذ جيش من هذا القبيل، من جهة أن الجيش التركي لا يرابط دائماً في العراق، ولا يبقى البقاء طويلاً، بل هو في ضرورة للعودة إلى أوطانه فأصاب بغداد نحو نيف وثلاثمائة جندي، فقرر سحب القرعة وتجنيد من سحبت القرعة باسمهم وفي اليوم التالي بل في تلك الليلة تجمع القوم جماعات وأخذوا يهوّسون[2]، وحملوا

---

(١) عشائر العراق ج ٢ ص ٧٧

(٢) الهوس، والتهويس حالة غير طبيعية أشبه بالجنون وهي حماسة، وتكون في أيام الحرب، يتقمص الجماعة وضع أشبه بالهوس وحالة الحماسة والهوسة ما يتغنون به وهم في تلك الحالة

أسلحتهم، وأعدوا العدة للثورة والعصيان، وصار يسمع صوت الطلقات النارية هوسوا في كل مكان، وصاروا يتجولون في الطرقات، ويأتون بعض الأعمال من نهب وسلب وما ماثل. تأهبوا للهجوم على محلات اليهود والنصارى وصاروا يعيثون بها، فحاولوا أمثال هذه المحاولات

وفي الأثناء اعترض مدحت باشا أمر استقالته من منصبه. وذلك أنه كان كسائر الولاة يتعهد إدارة الجيش والسيطرة عليه، ولزوم إجراء الإصلاح فيه، وعلى هذا الأساس قد قبل بمنصب بغداد، فعارض السرعسكر (وزير الدفاع) حسين عوني باشا بهذا الأمر المعتاد، ففصل الجيش عن سلطة الوالي وإدارته، فسمع الوالي هذا الخبر، وأنه جرى بإغراء من بعض المغرضين فعهد وزير الدفاع بأمر الجيش إلى رئيس الفيلق سامح باشا. ومن ثم رأى الوزير أنه لا يستطيع القيام بالمهمات المطلوبة منه بهذا الوجه، فطلب أن يعفى من منصبه، وأن الاضطرابات من أجل القرعة وقع بعد ذلك وكان الأولى أن يتولى سامح باشا تسكين ذلك دون أن يتدخل مدحت باشا. ولما كان هو الذي قام بأمر القرعة رأى أن التهاون في تسكين الفتنة سيؤدي إلى نتائج وخيمة، وربما وقع مثل ما حدث في الشام..

وحينئذ لم يضع الوقت، فمضى تواً إلى القشلة (الثكنة) حينما سمع بالخبر، وجهز جيشاً لحفظ محلات اليهود والنصارى، ولمحافظة القنصليات، فأرسل المقدار الكافي من الجيش، وقطع المواصلات بين الرصافة والكرخ حذراً من الاتصال وأن يهيج الكل معاً. وكذا أحاط المدينة بجيش الخيالة لمحافظتها، وللقبض على الفارين من الخدمة العسكرية

وإن محلة الشيخ عبد القادر، ومحلة قنبر علي كانتا في مقدمة الثوار فأرسل الوزير أربع سريات من العسكر إلى محلة الشيخ مع مدفع

تحت قيادة اللواء سامح باشا، وشكر بك ومثله أرسل إلى محلة قنبر علي مع اللواء فيضي باشا، وزودوا بما يلزم من الأوامر الشديدة وخولوا كل صلاحية..

فلما رأى الأهلون عزم الحكومة ودرجة الاهتمام، وحسن التدابير، تفرقوا، فلم يجد الجيش ضرورة لاستعمال السلاح، وأسكتت الفتنة، وقد ألقي القبض في الليلة التالية على جملة من الأشخاص يبلغ عددهم ١٨٠ نفراً، فمن كان من هؤلاء الأشقياء يدخل أسنان الخدمة العسكرية أخذ بلا قرعة، والباقون أحيلوا للتحقيق عن أحوالهم وإجراء محاكمتهم..

ومن ثم أجريت القرعة، وأخذ من أصابته دون أن تحصل للجيش مقاومة أو معارضة فكانت هذه مقدمة أخذ القرعة في الألوية دون العشائر لأنهم أغفل أمرهم، وأعفوا. فمضت بلا زعزع ولا أدت إلى حرب أهلية مع الجيش كما كان يظن فحصل الهدوء بلا تلفيات ولا وقوع في مأزق حرج.

وعلى كل حال انتهت أمور القرعة، وتأسس التجنيد، فكانت تلك البذرة الأولى وكان الولاة قبل ذلك قد تعبوا في تمهيد الخطة فلقيت صدمة في أيام مدحت باشا إلا أنه ذللها[1]

ومن مجموعها يتلخص ما وقع، ويعرف ما جرى ثم إن المقبوض عليهم تجاوزوا (٢٠٠) وإن الذين هم ضمن الأسنان العسكرية نحو ١٠ أو ١٥ وكانت المحلات التي شاعت هي محلة الشيخ وقبر علي ومحمد الفضل[2].

---

(١) الزوراء عدد ١٢ وفي ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٢٨٦ هـ ومذكرات مدحت باشا وفيها تفصيل.

(٢) الزوراء عدد ١٤.

رسم النخيل

كانت القاعدة في ضريبة الحاصلات تجري على الخمس أو العشر، وهذا يكون بطريق التخمين أو تحصيل مكلفتها كبيرة، وحاصلها لا يتم في آن واحد فيتيسر أخذ العينيات، فيصار إلى طريق التخمين لكن ذلك لا يكون على وجه الصحة، إلا أن الفرق قليل، والتخمين تقريبي

والصعوبة ظاهرة في استخراج حصة الحكومة، فكانت تميل إلى إعطائها بالالتزام، وفي هذه الحالة نرى ربح الملتزم في زيادة الحاصل، وفي زيادة التخمين أيضاً ومن جهة أخرى تجري الحيل في التخمين أيضاً وهنا الربح الزائد، والنقص يكون على صاحب النخيل والحكومة تستوفي نصيبها ولا تنظر أمراً آخر مما أدى إلى عدم العناية والاهتمام بالمغروسات، بل تعطلت حذراً من ظلم الملتزمين وتعديهم فكان هناك فوات المنفعة من دمارها على الأهلين والحكومة معاً

ومن ثم وتلافياً لكل ضرر يلحق رعت الحكومة أيام مدحت باشا أن النخلة بصورة وسطية لا تأتي بأكثر من ٢٠ حقة تمراً سنوياً، والتمر العادي تساوي الحقة منه بصورة معدلة ٢٠ بارة فالمحال التي تعطي العشر مثل بغداد وجوارها من الأمكنة تكون رسومها أما حقتين أو ٤٠ بارة وتحصيل البدل أيسر على الحكومة والأهلين فلا يستدعي كلفة وتشويشاً فظهرت الرغبة في ذلك، وتلقوها بالقبول وطلب الأهلون أن تكون دائمة غير مقيدة بخمس سنوات ليراعى ما يحصل من تبدل في المدة في السعر قلة أو كثرة..

وأهل قضاء الخالص كانوا يؤدون الخمس، فطلبوا أن يشملهم هذا الأمر فيؤدوا قرشين عن كل نخلة بدل الخمس[1]

---

(١) الزوراء عدد ١٣ و ١ جمادي الآخرة سنة ١٢٨٦ هـ

الخرص في البصرة

إن مدحت باشا كان قد ذهب إلى البصرة، واتصل بأهليها، وعرف ما يجري من رسوم النخيل، وهي أكثر موارد رزقهم فوجد أن الحكومة كانت تجري التخمين على النخيل، بواسطة خرّاصين وهؤلاء يضرون هذا وينفعون ذاك، وبهذه تجري مظالم كثيرة، وأن الحكومة لا تنتفع الانتفاع الصحيح أيضاً، فيكون في ذلك ضرر عام

وهذه الطريقة حادثة، جرت عليها الحكومة، ولا يدرى زمن اعتبارها في حين أن الدولة الإسلامية الأولى من أيام عمر رضي الله عنه كانت تجري في نخيل البصرة على الجريب بقدر نخيله في مواطن متعددة وبحسب ما يستحقه أعلياً وتقدر قيمته الأمر الذي يسهل على الناس، وهو سريع جداً، ويصح أن تعين المساحة قبل الحاصل وأن مدحت باشا قد ذاكر الأهلين فأبدوا له مظالماتهم، فوافق على الجريب بعد مراجعة أهل الخبرة فكانت هذه الطريقة أسلم من غيرها، وليس فيها غدر على أحد.

ومن ثم صارت تؤخذ رسومات أميرية عن كل دونم ١٥ قرشاً سنوياً، وألغي (الخرص) فكانت تؤخذ مساحة الكل، ولا يترك من الأراضي ما هو غير مغروس، وبما كانت الأرض الخالية داخلة في الحساب مما دعا الناس أن يغرسوا مواطن الخلل أو ما يتحمله الدونم أو الجريب غرسوا الأراضي الخالية، فلم تمض مدة حتى قام الأهلون بمهمة الغرس، ونشطوا للعمل

وكانت واردات البصرة سنوياً ٤٨ حملاً من النقود، فبلغت بعد سنتين (٧٠) حملاً وتجاوزت ذلك فانتفع الميري أكثر مما كان مأمولاً وجرى الأمر بانتظام وضبط تامّين

أما بعض المحال الأخرى البعيدة أو المنقطعة عن العمران فإنه

اعتبر لها طريق آخر في استيفاء الرسوم فإن البصرة لم تكن مغروسة بأجمعها وبصورة متصلة وبعضها لم تغرس نخيلاً، وإنما يرى فيها أشجاراً ومحاصيل أخرى ومثل هذه وجب أن تنفرد بحكم ولكن الوالي لم يرجع إلى الخرص بوجه، وإنما قدّر على النخلة الواحدة من (٤٠) بارة إلى ٣ قروش بصورة متفاوتة، وعيّن لها مقطوعاً[1]

وبذلك انتظم أمر النخيل بصورة لا تدعو إلى تذمر.

الفيلية ـ إيران:

بعض أهل الشقاوة من هذه العشيرة تجاوز الحدود إلى ما بين شهربان وقزلرباط في الجبال هناك، فصادفوا رئيس الخيالة راغب أفندي ومعه نفر ضبطية جاؤوا لأحد المحروسين، فأطلقوا عليهم النيران، جرحوا الرئيس وسلبوا أسلحته. أخبر بذلك مدير ناحية قزلرباط (السعدية) فجهزت العساكر لتعقيبهم نحو ١٥ ساعة، فمضى أولئك إلى الحدود فوصلوا إليهم قريبها فجرح منهم أربعة واستعيدت منهم المنهوبات، وأخذت منهم ثمانية من الحيوانات إلا أنه لم يتيسر القبض على واحد منهم.

وكان قد هاجم قبل أيام ٣٥ شخصاً من قبيلة ملكشاهي من الفيلية مزارع قرية زرباطية، وسلبوا ونهبوا، ومن ثم تعقبوهم فقتل اثنان منهم وجرح البعض، واستردت الأموال المنهوبة وهؤلاء مضوا إلى الحدود فنجوا[2]

وكانوا قد هاجموا ربيعة في أنحاء خانقين فانتهبوا أموالهم ومواشيهم، وقتلوا الكثيرين منهم حتى أنهم أحرقوا ولدي شيخ ربيعة

---

(١) تبصرة عبرت ص ١٠٠. وفي (كتاب النخل) فصلت الرسوم

(٢) الزوراء عدد ١٣ في ١ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦ هـ

بالنار، وهكذا فعل بالسنجاوية وغيرهم من الإيرانيين أوقعوا الأضرار بالسكان والقوافل.. ذلك ما دعا أن تبعث الحكومة (قدري بك) للمفاوضة[1]. وكان أرسل خصيصاً لهذه المهمة.

جاء ذكر أميرهم حسين قلي خان في ١٠ ربيع الأول سنة ١٢٨٨هـ وعدد ١٤٨ من الزوراء. والفيلية ببغداد منتشرون بكثرة أفردت البحث في تاريخهم في كتاب (اللّر ـ الفيلية) والمكشاهية منهم منتشرون في الأنحاء العراقية. ومنهم جماعات كثيرة

قيادة الفيلق:

أبقيت كما كانت بيد الوالي مدحت باشا، وإن وكالة القيادة صارت لرئيس أركان الجيش سامح باشا، وصدرت بذلك الإرادة الملكية، فانتهت المشادة بين مدحت باشا وناظر الحربية (وزير الدفاع)

مديرية الدفتر الخاقاني:

وجهت إلى عثمان وهبي رئيس كتاب القابات

المدرسة الرشدية:

تم بناؤها فتحت على أن تعلم مقدمات العلوم فدعي الأهلون لتقديم أولادهم ليدرسوا فيها[2]

وصارت بنايتها بعد إعلان المشروطية (كلية الحقوق) وآخر أمرها أن جعلت متصرفية لواء بغداد. فكانت الرشدية أول بذرة للتحصيل، ولكن تحصيلها كان بسيطاً جداً وتدريساتها مختلفة وناقصة، تدرس العربي باللغة التركية، ويعلمه أحد المعلمين من الترك، وهكذا سائر

(١) الزوراء عدد ٣٨ و ٣٩ وفي ذي الحجة سنة ١٢٨٦ هـ
(٢) الزوراء عدد ١٥ وفي ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦ هـ

الدروس وكان قد أعلن عنها لقبول الطلاب وتسجيلهم إلى ١٥ رجب من هذه السنة[١]».

وهذه المدرسة من أعمال مدحت باشا، رأى أن قد تأسست مدارس رشدية في بلدان عديدة، فقام بهذا العمل.

وكانت الدولة العثمانية قد قامت بتأسيس المدارس الجديدة في سنة ١٢٦٢هـ من الابتدائية والرشدية. ومن ثم وبالنظر للتاريخ المذكور نعلم درجة التأخر عندنا. فقام هذا الرجل بتأسيس مدرسة الصنائع وهذه المدرسة، وكنت أنا من متخرجيها أيام ولاية المشير فيضي باشا بالوكالة. تخرجت سنة ١٣١٩ رومية أي سنة ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م في صيفها.

اختلاس:

قد اشتهر أن قائممقام الجزائر بك قد اختلس، فعين مكانه عبد العزيز أفندي وكالة، وأحيل للمحاكمة.

قضية الدغارة

كانت تجبى الأموال الأميرية بقوة الجيش، وآمال الحكومة مصروفة إلى طريق الإصلاح فلم يتيسر، فالعشائر لا تؤدي الرسوم المطلوبة، ولا تزال ذممهم مشغولة بالمقادير العظيمة. الأمر الذي دعا أن تركن الحكومة في هذه المرة أيضاً إلى قوة جيشها المسلح وسوقه على عشائر عفك والديوانية كما هو المعتاد قديماً، فذهب إليهم فوج من الجيش تحت إمرة زعيم ومعه متصرف الحلة.

ولما كانت هذه العشائر من الزرع، تسكن الخيام وفي حالة

---

(١) الزوراء عدد ١٨ بتاريخ ٦ رجب سنة ١٢٨٦ هـ.

البداوة فالعسكر ذهب أولاً إلى الدعارة وعفك، وكان موجود الفوج (٣٨٠) نفراً، فنصب خيامه بجانب بستان إلا أن الجيش لم يحترس ولم يتخذ الاحتياطات اللازمة ولم يلتفت إلى أن مزارع الشلب تعرقل الحركات العسكرية لم يشعروا بالخطر أما العربان فهم متيقظون لمثل تلك الأوضاع والاستفادة منها.

يضاف إلى ذلك أن أصل المدينين بالأموال الأميرية هم الشيوخ والرؤساء، فأثاروهم وتمكنوا من جمع نحو ثمانية آلاف أو عشرة آلاف، فأحاطوا بالجيش من كل صوب، وقطعوا عنه الماء، تصدى الفريقان للحرب والدفاع، ودامت الوقائع لويمة مدة ثلاثة أيام بلياليها، وبقي الجيش بلا ماء أصابه العطش، ونفدت أغذيتُهُ الحربية، ولم يبق لديه ما يتمكن من الدفاع به.

وفي هذه المعارك قتل الزعيم والمتصرف والمقدم، وأكثر الضباط والأفراد وتفرق الباقون، فوقعوا في أيدي العربان فكان من نتائج ذلك أن أظهر سائر القبائل العصيان، وقطعت الأسلاك البرقية، مما دعا أن يجهز مدحت باشا الفريق سامح باشا بجيش يبلغ بضعة أفواج كما أنه ألحق بهم ما كان في بعض المواطن مما أمكن أخذه وضمهم إليهم.

وهكذا أوعز إلى متصرف المنتفق ناصر باشا المعيّن أخيراً، وإلى أخيه منصور باشا وفي هذه الحالة أراد ناصر باشا أن يبدي صدقه وإخلاصه، وأن يقوم بما يرضي الدولة بشوق ونشاط فلما وصل إليه كتاب مدحت باشا نهض بأربعة آلاف خيّال، فجاء إلى الديوانية، فاتصل بسامح باشا ووحّدوا جهودهم.

هذا، والقوة العسكرية المحتشدة في الديوانية كانت سبعة أفواج من المشاة، وكتيبة خيالة نظامية وأربعة آلاف خيال من المنتفق وأكثر من ١٥٠٠ من خيالة الكرد والججن مع مدافع وعتاد حربية ومعدات أخرى

كاملة . فلما وصل الفريق سامح باشا إلى الديوانية بقي شهراً لم يقم بعمل ما، ولا زاول أمراً يحمل. تعرب هذا إلى أنه خائف محترس، ومن ثم أخذوا في الاشتباك مع الجيش ومحاصرة البعض منهم في قلاعهم.. وضيقوا أنفاسهم.

وكانت هذه العشائر من الجراجل[1] القاطنين هناك ومن بني حكيم والحبور والبو سلطان[2] وغيرهم. تقدموا في محاصرة نفس الديوانية التي تحصنت فيها القوة. ولم يكتفوا بذلك بل انتهبوا المعدات والمؤن المرسلة من جهة الحلة على طريق الفرات، فصارت الحالة تكتسب وخامة وأهمية. اتخذوا ذلك وسيلة فقطعوا الطرق، ودمروا الأسلاك البرقية، ولم يعد في الإمكان أخذ الأخبار.

فلو دام الحال إلى أكثر من ذلك ازدادت الوخامة سوءاً إذ لم يبق في بغداد جند أكثر من فوجين من المشاة والمدفعية، ولم يعد في الإمكان إمداد الجيش بعسكر كافية الأمر الذي دعا مدحت باشا أن يذهب بنفسه فاختار نحو ٣٠٠ جندي من الفوجين المذكورين وأخذ معه يحيى بك المقدم الركن الذي كان فيه (في بغداد)

أما الديوانية فكانت تبعد عن بغداد ٣٢ ساعة، وبينهما الحلة، فلما وصل مدحت باشا إلى الحلة رأى أن الفريق سامح باشا وناصر باشا وأمير اللواء أحمد باشا وكثيراً من الضباط والأمراء كانوا يفكرون فيما يجب أن يعرف عن أخبار المحصورين في الديوانية ويتطلعوا إلى ما هناك إذ ورد طاهر بك[3] رئيس أركان الحرب للفرقة التي هناك استعانة

---

(١) الجراجل في كتاب العشائر ج ٣ ص ٢٤٥

(٢) بنو حكيم في كتاب العشائر ج ٤ و الحبور في ج ٣ ص ٨٨ والبو سلطان في ج ٣ ص ٣٦.

(٣) صار طاهر باشا

بنحو ثلاثين خيالاً من الجبور الذين لا يزالون في حالة العصيان على الحكومة قد عاد متنكراً إلى الحلة، ومعه مضبطة تنبيء بأن قائد الفرقة العسكرية وجميع الأمراء والضباط قد تحقق لهم أن الثوار لا يزال يتكاثر عددهم، ويحملون السلاح الصالح للاستعمال، فلم يجدوا نفعاً في الحرب معهم، كما أن انصرافهم للزراعة أولى من سفك الدماء وتعطيل الأعمال الزراعية، فرأوا أن الصلح مع هؤلاء أولى حتى يحين الوقت المرهون، فأجرى ذلك معهم

أما طاهر بك فإنه بيّن شفاهاً أن إجراء ذلك، وعقد الصلح، وإعطاء العربان تأمينات وعهائد وتقديم الفريق بيورلدي (أمراً سامياً) مع المصحف الشريف مربوطاً به مما يكسر هيبة الجيش، ويمحو شوكة الحكومة وسطوتها، وسوف يؤثر هذا في جميع الخطة العراقية لا في ذلك الموطن وأهليه وحدهم، فتخرج الإدارة من يد الحكومة، وتكون العاقبة وخيمة جداً

ذلك ما دعا مدحت باشا أن يرسل تحسين أفندي مرافقه الرئيس الأول الذي بمعيته كما تعهد هو بأن يقطع المسافة البالغة ١٤ ساعة في ثلاث ساعات ويحرق صفوف العشائر فتعهد أن يصل إلى الفرقة، فكتب مدحت باشا معه كتاباً في لزوم خروج سامح باشا ونصب أحمد باشا أمير اللواء مكانه، ومما كتبه إليه أن يلغي المضبطة ويجعلها كأن لم تكن وأن مدحت باشا متهيىء للسفر إلى ناحيته بنفسه ومعه فوج من الجند، وهو في طريقه على الفرات عازماً الوصول إلى الدغارة ومن ثم فسخ أحمد باشا المقاولة المعقودة مع الثوار، وأبقى فوجين من الجند في الديوانية وما بقي من الجيش حرق صفوف العشائر بما عنده من العساكر وجاء إلى صدر الدغارة التي ذكر مدحت باشا أنه يصلها

أما مدحت باشا فإنه بما عنده من الجند وهم نحو ثلاثمائة، وما

قدر أن يجمعه من الأفراد المبعثرين هناك، أبلغ ذلك فوجاً، وفي اليوم التالي خرج من الحلة، وتحرك نحو الموقع الذي عينه لأحمد باشا فجاء إلى صدر الدعارة وهو منتصف الطريق ما بين الحلة والديوانية ومن ثم اجتمع الجيشان هناك..

وكان أمل الوزير أن يقطع سبيله من المرور في شط الكار الذي يخرج من الجهة الشرقية من الفرات ويمضي في سهول واطئة حتى يصل إلى شط الحي فيعود إلى الفرات، ويتكون منه في طريقه أهوار بمسافات بعيدة ويعتز أو يحتمي بالعشائر في اليبس فيما بينها، ولا تصل إلى مواطنهم هذه مرميات المدافع، ولا يستطيع الجيش اجتيازها لأنها ليست عميقة فتستعمل الزوارق مما يعطل الوصول إليهم فرأى أن يعمل سداً فيقطع المياه ليحصل يبس في الأرض فحط الجيش هناك بصورة منظمة ومعهم خيالة المنتفق مع ناصر باشا

وهناك تجمعت العشائر وصارت تضارب الجيش إلا أن بنادقهم لا تصل إلى مواطن العسكر، وأن الجيش كان يضربهم بالمدافع، فيقتل منهم الكثير وفي الأثناء باشر بالعمل، وأن أهل الهندية كانوا عارفين في عمل السد، تعهدوا بسده بسهولة لمدة قدرت باثني عشر يوماً وأن العشائر أحاطت بالجيش ثلاثة أيام، فصاروا يطلقون الرصاص إلا أن طلقات المدافع والبنادق دمرت فيهم كثيراً، ولم يتضرر العسكر وفي هذه الأثناء جاء شيخ الجبور وهو الشيخ حليل[1] فطلب الأمان، والدخالة ومعه ألفان من الخيالة، فاتخذ له محلاً مناسباً خارج العسكر، وفي ليلة هاجم خيالة المنتفق على حين غرة وأوقع بهم الأضرار، إلا أن العساكر

(١) الآن رئيس جبور الواوي الحاج محيف بن كتاب بن حليل المذكور وهو نائب في هذه السنة وكذا عبد المحسن بن مراد ابن الشيخ حليل ويعرفون بـ (الحوارزية) عشائر العراق ج ٣ ص ٨٨

الطامية دمرته، فذهب خذناً وفرّ فعلم العشائر يقيناً أنهم لا يستطيعون مقاومة الجيش بالرغم من أن مجموعهم يبلغ المائة ألف وأكثر، وجسّرهم على هذا ما رأوا من فرقة الديوانية من برودة وتهاون، وما شاهدوا من تسامح معهم..

ولما علم الثوار أن عبد الكريم شيخ شمر قد ورد أنحاء بغداد، حاولوا أن يمنعوا الاتصال به، كما أن سد النهر مما يؤثر في كل هؤلاء. فصاروا يهاجمون متوثباً ومن كل صوب وهاجموا سرية عسكر كانت قد خرجت لتدارك تلف المحيوانات، فعلم الوزير بذلك فسيّر سريتين من كل نوع لإمدادهم ومعاونتهم فجرت معركة حامية سقط فيها من العسكر ستة أفراد وخمسة من الجرحى، ومن الثوار قتل أكثر من خمسمائة، وفر الباقون، ورموا بأنفسهم في شط الدغارة، فقد ملّوا، ولم يبق لهم عزم في البقاء..

واستفادة من هذا القرار صدرت الأوامر بلزوم تعقب أثرهم بواسطة خيالة الجيش النظامي ومن المنتفق والجبجن والكرد والعالة فألقي القبض على الكثير منهم، ووجد معهم الأسلاك البرقية

وفي كل ذلك لم يقف أمر الاشتغال في السد، وفي اليوم الثالث عشر تمّ، فانقطعت المياه ثم صار يقل ماء الأهوار، وتيبس الأراضي ومن هنا حصل يأس كبير في العشائر، فأظهروا حينئذ الندم، وطلبوا العفو.. وبعد أن دامت الفتنة نحو شهرين زالت من الأساس، ولم يبق لهذه العائلة أثر مهم، لما قام به الوزير من إجراءات وتدابير صائبة

وهذه العائلة من أهم ما حدث في العراق من الغوائل، فلم يعهد أن اتفق جميع العشائر هناك على محاربة الحكومة، وكادوا يقهرونها ولم يشترك مع هؤلاء أهل الهندية، فلم يبق أحد إلا اشترك من سائر القبائل. وكل ما يقال عن هؤلاء أنهم لا يفرقون بين الخير والشر، وإنما

يطيعون رؤساءهم وشيوخهم دون أن يعلموا السبب

قالوا وهؤلاء الشيوخ هم أصل الفتن.. خصوصاً أن ما وقع في الديوانية من قتل الجيش والمتصرف كان سببه الشيخ دنان رئيس عفك، والشيخ بدوي رئيس الدغارة، فهؤلاء كانت بذمتهم أموال أميرية كثيرة، ولم يقدموها بل حاولوا إثارة القلاقل ليسلموا من ذلك مما دعا إلى وقائع مؤلمة من الطرفين فقد ساقوهم إلى الثورة

أما الوزير فإنه أبقى في الهندية قسماً من الجيش ومضى الباقون إلى الديوانية، وأعلن العفو العام عن الأهلين، وجعل هدفه الرؤساء المذكورين، وأن يتحرى عن أفراد الجيش والمدافع والمعدات فتمكن من استعادة الكثير منها، ومن أفراد الجيش وعودتهم أما الرؤساء دنان وبدوي فقد فرّا، ولكن شيخ المنتفق ناصر باشا بذل الهمة، فألقى القبض عليهما، وأجريت المحاكمة في المجلس العسكري وحكم عليهما بالإعدام لما ارتكبوا من أعمال ضد الجيش فصلبا على جسر الديوانية وبعض الرؤساء من عشائر الديوانية أيضاً ألقي القبض عليهم، فنفوا إلى روم ايلي

وبذلك انتهت واقعة الدغارة وفي هذه الواقعة أبدى كل من ناصر باشا وأخيه منصور باشا من الخدمات الحسنة، والهمم العظيمة ما يستحقان عليه كل تقدير لدى الوالي مدحت باشا

ومما يذكر أن شيخ عشائر شمر الشيخ عبد الكريم كان قد ورد بغداد كما تقدم، وجاء إلى الوزير وهو في الديوانية بداعي أنه جاء لمعاونة الحكومة في تسكين الثورة إلا أنه وجدها قد هدأت، وانتهت الحالة بسلام . أما الوزير فإنه اشتبه من وضعه، ولكنه لم يبد شيئاً ينفره، أو أن ذلك فسر بما سيقع فأخذه معه وعاد إلى بغداد في

كانون الأول[1] كما أن ناصر باشا رجع إلى المنتفق[2]

هذا، وأعتقد أن الواقعة مبالغ فيها ولم تكن بهذه الدرجة إلا أن الحكومة كانت في ضعف وأن الأشخاص الذين قتلوا، والفوج الذي قضي عليه قد مثّ في عضد الحكومة، وأن المقاومة كانت كبيرة وإلا فلا نرى ذكراً للعشائر الأخرى، فلم يعين شخص منهم. ويصح أن يكونوا قد ساعدوا القوم في الخفاء ولكن افندر مدحت باشا أظهر القضية بهذا الوجه ليبدي أنه قام بعمل كبير، وأعلنها لحكومته بهذه الصورة ليبرز عظمة ما تم، وليغطي أمر ما وقع فكأن المائلة عالمية أو هناك خطر حاق بالعراق فأنقذه منه

ومن الغريب أن نرى الأستاذ سليمان فائق قد جعل سبب هذه الفتنة ناصر باشا في حين أن مدحت باشا هو الذي دعاه وكان يثني عليه وعلى أخيه منصور باشا بما تقدم الكلام عليه ولو أن رأينا (علي حيدر مدحت) يكتب هذه الواقعة في أعمال والده ويستند إلى مراجعها الصحيحة الرسمية ومذكرات والده لكان للأستاذ العذر أوضح أن ما صرف من مبالغ وما قتل من نفوس كان بسبب من ناصر باشا في حين أن الحكومة حاولت جباية الميري، فحرك رؤساء العشائر الفتنة فاشتعلت

وعدّ الأستاذ سليمان فائق أن هذه الواقعة مما أثر في الوالي لما طرأ فيها من حالات فصار يحتاط أكثر مما يجب، فلم يستطع أن يقوم بالخدمات المطلوبة منه وعدّ من جملة ذلك أمر لواء المنتفق، يريد أن يتحرك الوالي على ناصر باشا بعد أن قام بما قام به من مساعدة وما فعل من الخدمات الجليلة في (واقعة الدغارة) فيعصبه ويجعل العراق في نار مشتعلة والحكومة في عداء معه، فلم تبق على صاحب في حين أنها

(۱) تبصرة عبرت ص ۸۰

(۲) رسالة المنتفق

كانت في بداية تشكيل جيش، وهي حاجة إلى أعمال أخرى. تغافل عن ذلك كله وأظهر هذه الآراء بعد موقيعة بمدحت باشا والنفرة من أعماله.

وجاءت واقعة الدغارة بما ملخصه.

إن المقاطعات في لواء الديوانية كان يلتزمها شيوخها، وهؤلاء يحدثون شغباً دائماً للتخلص من بدلات الالتزام، فتكون التحصيلات في توقف. علم بذلك الوالي كما عرف أن أيام الحماية وتأدية التقاسيط تجمعهم يولّدون الأراجيف، وما من شأنه أن يثير قلق الأهلين، بل يقومون فعلاً بالعصيان والثورة على الإدارة

وفي هذه السنة قامت العشائر في أنحاء عفك، والدغارة، وبعض العشائر من الخزاعل مثل الشبل، والشلال، والعزالات، فارتكبوا بعض الأوضاع كقطعهم الأسلاك البرقية بين بغداد والهند

ذلك ما دعا الوالي أن يسيّر القائد سامح باشا لقمع هذا العصيان، فأخذ معه فرقة عسكرية وساق بهم قوة بنفسه. وقد وردت الأخبار أن هؤلاء جاؤوا إليه جماعات وعرضوا الدخالة، وطلبوا الاستيمان. وأن مثيري هذه القلاقل قبض عليهم، وتقرر أن ينالوا ما يستحقون من عقوبة[1]

وجاء أيضاً

إن القوة العسكرية التي كانت دفعت إليهم، قد ألحقت بها قوة أخرى بفوجين تحت قيادة أمير اللواء أحمد باشا. وإن الوزير ساق مقداراً من الفرقة العسكرية منها فوجان كانت بنادقهم من أمهات الإبرة، وفوج آخر شيشخان وثلاثة أفواج مشاة وسريتان من الخيالة وبطريات موظفة فوصلوا إلى قرب قلعة الدغارة، فوجدوا العصاة قد تحصنوا في

---

(1) الزوراء عدد ١٦ وفي ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦ هـ

القلعة، فبدأت القوة العسكرية تضاربهم، وكان مع القطعة مدفعان فضربتهم بها فدمرتهم، وفرقتهم ثم دفعت من هناك إلى قبيلة الأقرع، وكان هؤلاء قد حاربوا الجيش، وقاموا بالعصيان هذه المرة فاقتضى تأديبهم فضربتهم القوة، واستعادت المنهوبات التي كانوا قد نهبوها.

وهناك تقدمت الجيوش، ولكن أطراف المواطن أهوار، ومستنقعات، وأن العصاة كانوا يتحصنون في مثل هذه. فلما مرت الجيوش من هناك هاجم هؤلاء البعدة من اليسار، وصاروا يقاومون ولكنهم لم يستطيعوا أن يقفوا تجاه المعسكر ويتحملوا نيرانهم. فتركوا مواطنهم وفرّوا، فتعقبهم الخيالة، وقتلوا منهم نحو أربعين. والباقون فرّوا بالأهوار ونجوا. وإن صعوبة الموطن جعلت هؤلاء بمأمن، وإن الجيش لا يتمكن من السير إلا ببطء وتؤدة ويخشى من الغابات وكمينها. وكانوا فعلاً قد كمنوا في غابة، ولكن المقدم علي آغا أدرك المغرى، وهاجم الموطن المظنون أنهم فيه بنيران حامية على حين غرة. فهلك منهم الكثير، وكان قد جاءهم بغتة ففرّوا، وأعطوا تلفيات كثيرة.

ثم مضت الجيوش نحو حيكان الصغير، فحيكان الكبير[1]، وأخذوا منهم ما يلزم من المحاذير، وعادوا إلى الديوانية. والتحقوا بالفرقة الأصلية..

وفي هذه الحروب كلها قتل ضابط، وستة أفراد، وضابطان و ١٧ نفراً، وثلاثة جنود خيالة من الجيش. وأما العصاة فقتل منهم الكثير وجرح ما لا يحصى..

ثم جاءت برقية تشعر بأن عشائر الشامية جميعها عرضت الدخالة

---

(١) حيكان الصغير والكبير في عشائر العراق ج ٣ ص ٣٩ وبنو حيكان في ج ٤

ولم يبق إلا أشقياء عمك وكانوا قطعوا الأسلاك البرقية، فنالوا ما يستحقون من عقوبة، وذاقوا مرارة فعلتهم . وقد أحيط بالباقين منهم من جميع أطرافهم، وعزمت الحكومة على تأديبهم بل لتنكيل بهم والأمل أن تنتهي في مدة قصيرة من هذه الغوائل.

وفي هذه المرة سيرت الحكومة بكر بك أمير اللواء من أركان الفيلق، وسيقت معه أربعة سرايا من الفوج الأول، ومقداراً من الخيالة، وقطعة من الشيشخان، ومدافع جبلية صغيرة، فذهب إلى أنحاء الحلة[1]..

هذه هي المعلومات الرسمية التي أعلنتها الحكومة، ومنها يتعين أن الواقعة معتادة، ولم تكوّن خطراً كبيراً بل لم تقف وقائعهم عند حد، وإنما تلتها حوادث أخرى

دامت ديول وقائع الدغارة والديوانية والحلة فلم تهدأ الحالة، الأمر الذي دعا الوالي مدحت باشا أن يذهب إلى الحلة بنفسه فسافر يوم الخميس ٨ رجب سنة ١٢٨٦ هـ[2]، فكان فيها وفي الديوانية بحفظ الاضطراب، بل الثورة فاقتضى تأديب أهل الشغب بقي في الحلة بضعة أيام، فطلبت بعض العشائر الأمان، وتوارد آخرون، وكان غرضه استئصال من اعتاد التمرد

رأى الوالي أن هذا متأتٍّ من نهر صدره بقرب الدغارة فاقتضى سد ذلك النهر ليتيسر الوصول إلى هؤلاء بلا مانع، ومن ثم قام الوالي بالأمر فأرسل إلى الجيش المرابط في الديوانية تحت قيادة الركن أمير اللواء أحمد باشا أن يمضي إلى صدر الدغارة بما لديه من قوة، فمضى هؤلاء من الديوانية إلى الدغارة رأساً، وكذا الوالي مدحت باشا ومن معه

---

(١) الزوراء عدد ١٧ في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦ هـ

(٢) الزوراء عدد ١٩ في ١٣ رجب ١٢٨٦ هـ

فمضى فوج من الشامية إلى جهة الدغارة على أن يلحق به الجيش هناك..

وفي يوم الجمعة ١٦ رجب سنة ١٢٨٦هـ تصادمت العشائر، كانوا يهاجمونهم، ولكنهم رجعوا خائبين، وانتصر الجيش فوصل إلى الدغارة وأما الوالي فإنه لم يصادف أي مقاومة وصل إلى الدغارة واتصل بالجيش..

ومن ثم شرعوا بسد (صدر الدغارة) بينما الفيلق مشغول بسد الصدر المذكور، إذ خرجت ثلة من النظامية الخيالة وأرادت في هذه الأثناء أن تتدارك علفاً لخيولها فظهر لها العربان، ووقعت معركة، تعرضت لهم العشائر، فأدت إلى محاربة جسيمة، جاءت تفصيلاتها في برقية أرسلها الوالي تتضمن أن القوة المذكورة أعلاه مع العساكر الموظفة والچچن (الچچان) والعشائر قد نكبت بالمصادمات أثناء اشتغالها في سد صدر الدغارة قتل فيها الكثير من عشائر عفك والدغارة وحليفه ومن هذه المعارك كانت خدمات الخيالة من المنتفق مشكورة، وكانت قتلى البغاة تتجاوز ٥٠٠ أو ٦٠٠ نسمة وقتل من أفراد الجيش ومن الخيالة واحد، والجرحى تسعة أفراد.

فكان النصر حليف الجيش بمساعدة العشائر المذكورة وغيرها[1]..

ثم توالت البرقيات بعد ذلك، ومنها يفهم أن هؤلاء حاولوا الهجوم على الجيش مرة أخرى فلم يفلحوا، وتكبدوا خسائر كبيرة والملحوظ في هذا أن الوزير لم يعتبر العربان كلهم بمثابة واحدة، وإنما ينظر إلى أصحاب إثارة القلاقل، والمحرضين، ثم من يليهم فيعامل

---

(١) الزوراء عدد ٢٠ في ٢٠ رجب سنة ١٢٨٦ هـ.

كلًا على قدر جرمه وفي هذه الأثناء جاء السادات والتجار، وبعض شيوخ البو سلطان، و (وزير) من الجراعل ومن لاذ به من أقاربه.. كل هؤلاء جاؤوا بدخالة وطلبوا عطف الحكومة، والباقون خافوا فتفرقوا شذر مذر وعفي عن الكثير ممن لم تسبق له ثورة وكان مع الفيلق شيخ الجبور خليل وابنه الياس وهؤلاء فرّوا ليلاً، واتفقوا مع الجراعل في حين أنهم كانوا قد التجأوا، ثم فروا وعصوا وحاولوا الهجوم على الجيش الذي كان فيه الوالي فجرت المحاربة لمدة نحو خمس ساعات فقتل منهم ثمانية أشخاص، وألقي القبض على اثنين واغتنم منهم نحو ألفي رأس من الغنم حاولوا تهريبها..

وعلى كل حال قامت الحكومة بتأديب زبيد والبو سلطان لما أبدوا من عصيان، ففرق الجيش شملهم. ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد، وإنما تجمعوا في الجهة الغربية من الجيش في أطراف جيكان، وبقوا على العصيان فجهزت عليهم قوة فنكلت بهم أيضاً.

وإن الحكومة أرسلت تحريراً عاماً إلى الألوية الملحقة بتفصيل المعارك وما اقترنت به من النصر على العصاة تتضمن التبشير بما جرى. وما حصلت عليه الحكومة من النتائج الباهرة وفيها

إن عشائر البو سلطان وزبيد قد التحقت بالدعارة وعصت، فصاروا قوة ظهرهم، واتفقوا مع العصاة وقطعوا أسلاك البرق، فاقتضى تأديب مثل هؤلاء ومن شيوخهم عباس وفارس كانوا قد جاؤوا إلى الوالي مع جماعة منهم بأمل سد شط الدعارة، وأبدوا طاعتهم، وكانوا في الجهة الشمالية من الفيلق، وكذا شيخ الجبور خليل كان بفكرة العصيان، فاتفق مع عصاة الجراعل ففر ليلاً، وكذا البو سلطان قطعوا طريق الحلة، فتحصنوا في كتف النهر ومن ثم أرسلت قوة بقيادة أحمد باشا مع فرقة نظامية، وخيالة من المنتفق، فاشتبكت مع الكمين في كتف

الشط، ولم تظفر بالقوة العشائرية. وغنمت الحكومة أغنامهم البالغة أكثر من خمسة آلاف، والكثير من حبوبهم، ومواشيهم. ولم يتعرض للشيوخ والنساء والأطفال، ولا بأموالهم. واستمر الجيش في تعقيب الهاربين، وكانت خيالة الجيش تحت قيادة عثمان بك زعيم الخيالة ومعهم فوج طليعة من البغالة... ومدفع، ومن المنتفق نحو ألفي خيال فعلم من التحقيقات أنهم يبعدون عن حيكان بمسافة ثلاث ساعات.. في البادية، فسار الجيش عليهم، فلما سمعوا، فروا... ومن ثم قتل من هؤلاء ما يزيد على مائتين من الخيالة والمشاة، ونحو ضعفهم كان مجروحاً، وأسر نحو ٣٠ منهم... وخيالة المنتفق قد غنموا الشيء الكثير.

وعلى هذا فرق شيخ الدعارة (رئس) جموعه، ومال إلى خليل شيخ الجبور، ونصب للمشيخة رئيساً الشيخ علي شيخ الجوار، وكان ضداً للشيخ خليل..

وفي هذه المعركة استشهد من المنتفق واحد وجرح خمسة وانتهت تقريباً هذه الوقعة. فكان ما شاهده العشائر قد قضى على كل آمال لهم وانقادوا للحكومة، فصاروا ينقمون على من سوّل بهم هذه الفعلة.. فتمت بالوجه المرضي[1]

وبعد ذلك استمرت حركة الجيش... وصاروا يتكلمون بالبغاة في أنحاء الجربوعية... جاء لإمدادهم فهد بك متصرف الديوانية، فمضى من هناك إلى نهر علاج، فحارب العصاة ولم تحدث أضرار في الجيش وقتل من العصاة نحو مائة، وولوا الأدبار.

هذا، وأما السدة، فقد تمت، وكان يبلغ طولها ٦٥ متراً بعرض

---

(١) الزوراء عدد ٢١ في ٢٧ رجب سنة ١٢٨٦ هـ

٢٠ متراً. وبنى هناك موقع مستحكم نوعاً للجيش. ولما لم يبق أمل ورأى العشائر المغلوبية الفاحشة صاروا يتوالون في إبداء الدخالة ومن هؤلاء محمد الشخير وعباس من شيوخ آلبو سلطان، ورؤساء كثيرون عرضوا الطاعة، فأعيد نصاب الأمن إلى محله..

ومن ثم عاد الوالي من الدغارة إلى الديوانية في ١ شعبان سنة ١٢٨٦هـ على أن يمضي بعد ذلك إلى الحلة ويقضي هناك مدة أسبوع، ثم يأتي إلى بغداد[1].

ثم إن الوالي ذهب من الدغارة إلى الديوانية وهناك ألقى الجيش القبض على دندن شيخ البحاحثة، وعلى بديوي شيخ جليحة، فتبين أنهما من حملة المحرضين على العصيان، وكان هذا الأخير قد حارب في عفك، ثم أبدى أنه مع الجيش وأعطاه الأمان ثم غدر به. وهكذا ظهرت الأدلة عليهما، فصُلب أحدهما في رأس الجسر، والآخر في الجانب الآخر منه. وأبقي أمير اللواء أحمد باشا مع ثلاثة أفواج، وإن الوالي جاء بمركب إلى الحلة[2].

ثم جاءت الأخبار أن الوالي بقي في الحلة يوماً واحداً، ثم ركب المركب، وذهب إلى الكفاية ليشاهد عمل تطهير النهر، ومنها ورد بغداد[3] يوم الثلاثاء ١٩ منه، وكان أمله أن يؤسس خطاً حديدياً يوصل الفرات بدجلة من أقرب نقطة ممكنة.

ومن هذا علمنا أسماء عشائر الديوانية. والبحاحثة من عفك وهي عشيرة كبيرة. وجليحة عشيرة كبيرة أيضاً ذكرتهما في المجلد الرابع من

(١) الزوراء عدد ٢٢ في ٥ شعبان سنة ١٢٨٦ هـ.
(٢) الزوراء عدد ٢٤ في ١٩ شعبان سنة ١٢٨٦ هـ.
(٣) الزوراء عدد ٢٥ في ٢٦ شعبان سنة ١٢٨٦ هـ.

كتاب عشائر العراق كما علمنا من جذورها من عشائر الحلة مما أوضحناه في كتاب عشائر العراق الريفية المجلد الثالث

عشائر الحلة والديوانية.

من هؤلاء الدغارة، وعفك، وآلبو سلطان والجبور بعد تلك الواقعة قد خلدوا للسكينة. وزاولوا زراعة الأرضين، وعين لكل محله ومكان زرعه.. إلا أن عشيرة آلبو سلطان فرقة آلبو جاسم منهم قد قتلوا رئيسهم الشيخ هنديا، وأن هذه العشائر ـ كما هو المعتاد ـ لا يراجع أحد من ورثة المقتول الحكومة لاستيفاء حقه. وإنما يركنون إلى قوتهم وسلاحهم للانتقام. ومن ثم قدم هؤلاء، ومن يمتّ إليهم، وكذا العشائر التي يعولون عليها فصاروا يطالبون بدم المقتول. فلما علمت الحكومة أن من واجبها صيانة الأمن والأخذ بالحق، وأنها لا تجوز أن يركن كل إلى قوة ساعده. أفهمت ذلك للورثة والقائمين. أما القاتل وأقاربه فقد مالوا إلى حرز منيع من دخالة على القبائل الأخرى. أودعوا أموالهم وهربوا إلى البادية. ولما كانت الدخالة حماية للجاني طلب إلى أولئك أن يجري قانون الحكومة، وأن يسلّم الجاني، أو أن يتركوا حمايته، وإلا ركنت إلى القوة العسكرية اضطراراً. ومن ثم أرسلت قوة عسكرية إلى هناك. وأراد أولئك أن يستعينوا بعفك والدغارة والجبور فلم يلبوا الطلب وقام الجيش بمهمته بالوجه المطلوب[1].

هذه الحوادث جرت أيام مدحت باشا مما يتعلق بلواء الحلة، ونرى أسماء عشائر عديدة، وكلها لها مكانتها، وكانت متصلة لا تفترق وإنما تجتمع دائماً فيما بينها وتقرر ما شاءت، فيظهر قسم المصادقة للحكومة، والقسم الآخر يبقى على نزعه، ومن ثم تنضم القبائل، وتسير

(1) الزوراء عدد ٤٦ في ٩ صفر سنة ١٢٨٧ هـ. وآلبو جاسم في عشائر العراق ج ٣ ص ٣٧.

في الحماء وتأخذ الأخبار وهكذ أصحروا الحكومة، والأمل لم يكن لغرض نيل وربما عنيتهم الخلاص من الرسوم، وأن يكون الشيوخ بنحوة. استمرت مثل هذه الحوادث مدة. ذكرناه لتكون دليلاً على الوقائع الأخرى..

حوادث:

١ ـ في يوم الاثنين ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦هـ ورد بغداد أحمد حمدي باشا عيّن عضواً لمجلس الميلو السادس

٢ ـ فهد باشا عيّن متصرفاً للواء الديوانية.

٣ ـ توفي حميد أفندي متصرف العمارة، فخلفه مراد أفندي رئيس مجلس الجناية[1] ويعرف بـ (بو گديبه)، وزوجته نائلة خاتون صاحبة (مدرسة نائلة خاتون) والمكتبة الموسسة فيها ألحقت بخزانة الأوقاف العامة وكانت هذه زوجة والدي الشفيع شيخ زبيد، فلما توفي تزوجت بمراد أفندي وهذا ولي متصرفية العمارة ومتصرفيات أخرى ولما مات دفن مع زوجته في طريق الأعظمية في بستان الوقف قرب دار السبيل ولما توسع شارع الأعظمية نقلت رفاتهم إلى مقبرة الأعظمية.

عشيرة الجاف:

هذه العشيرة في لواء السليمانية، وهي من العشائر الكبيرة جداً، تبلغ ذكوراً وإناثاً نحو أربعين ألف نسمة ولا تزال رحّالة تقضي أيام الشتاء في العراق في قضاء كفري، وأيام الصيف بإيران في أنحاء سنة، ترعى المواشي..

بقيت متفرقة، ومتجولة بين إيران والعراق، فوجب أن تتعين لها

---

(١) الزوراء عدد ١٨ في ٦ رجب سنة ١٢٨٦ هـ

مراع للإقامة في العراق صيفاً وشتاء بناء على طلب محمد بك رئيسها، وكان صاحب دراية وعقل. وله رغبة أكيدة في إسكان هذه العشائر وأن توطن بأن تتخذ القرى سكنى لها.

تعهد للحكومة بهذه المهمة، وأن تقوم عشائره بأمر الزراعة، وأن تفوض الأراضي في الطابو لعشائره، وأن تكون لكل عشيرة قطعة. وعلى طلبه هذا رأت الحكومة لزوم تقريب العشائر من الحضارة، وأن تأخذ بناصر الراغب حباً في المعمورة فقرر مجلس الإدارة قبول ذلك وعرضه على الباب العالي، فلم يتم أمر[1]

دار الحدادة

إن الوالي الأسبق رشيد باشا الگوزلكي كان قد أوصى من أوروبا بشراء عدة مراكب بخارية وآلات زراعية لبغداد، وكذا بما يلزم لها من المعامل من طورنه (تورنه) ومقراض ومنقب وما ماثل يشتغل بواسطة ماكنة بخارية فاتخذ بمحل خاص بجانب الكرخ عرف بـ (الحداد خانه) أو (دار الحدادة).

وكان هذا المعمل يشتغل منتظماً، وبعد مدة طرأ عليه خلل، حتى تزايد العطل فأهمل تماماً

وفي أيام نامق باشا التزم تكثير السفن البخارية، فأوصى إلى أوروبا بما يلزم من العدد، فوردت البصرة وبلغ من هنالك خمسة مراكب بخارية، تشتغل بين بغداد والبصرة، وكذا اشترى بضع قطع صغيرة أيضاً، فاقتضى أن لا يبقى هذا المعمل معطلاً فأمر مدحت باشا مسعود بك رئيس الدفعة أن يقوم بتنظيف الآلات والأدوات فيه وأن يجمعها

---

(١) عشائر الجاف فصلت أحوالها في كتاب (عشائر العراق) ج ٢ ص ٤٤

صالحة للعمل تأميناً لفائدة الإدارة البهرية، فأصبحت

وكذا قام المعمل بخدمات لمصلحة الجيش، وذلك أن البندقيات المسماة (جاقما قلي قوال تفنك) عادت لا تصلح، وأن الجيش كله مسلح بالسادق المسماة (شيشخانه لي) أي (شيشخان)، وغالبه (اگنه لي تفنك) أي البندقية ذات الإبرة حتى إن الرديف مسلحون بالأسلحة النفيسة، فلم يبق لزوم في ترك السادق وأن يبعها بثمن بخس، أو إهمالها حتى يأكلها الصدأ عبر حذر، وكان في الإمكان تحويلها إلى (تفك قابسول) أي سادق (كسور) من نوع الشيشخان كما ثبت ذلك بما أجري من التجربة..

ومن ثم صار يقوم المعمل بهذه الخدمة أيضاً وهذا النوع من السلاح يقوم به الصطبة فيسد حاجة مهمة[1]

رئاسة أركان الفيلق السادس:

وجهت رئاسة أركان الفيلق السادس إلى الفريق أحمد حمدي باشا وصل إلى بغداد في أواخر شهر رمضان، وعهد إليه بوكالة القيادة. وحصل على وسام من الرتبة الثانية[2]

دفتري بغداد:

عين للدفترية ببغداد أحمد رسم فوصل يوم الجمعة ٢٢ رجب سنة ١٢٨٦هـ إلا أنه لم تطل إقامته فمرض وعاد إلى استانبول[3]

---

(١) الزوراء عدد ١٨ في ٦ رجب سنة ١٢٨٦ هـ

(٢) الزوراء عدد ٢ في ٢٠ رجب سنة ١٢٨٦ هـ

(٣) الزوراء عدد ٢١ في ٢٧ رجب سنة ١٢٨٦ هـ وعدد ٣٩ في ذي الحجة سنة ١٢٨٦ هـ

تدابير لسير المراكب:

كان يمنع سير المراكب في نهر دجلة بعض الموانع وهي:

١ ـ سد نمرود

٢ ـ سلطان عبد الله

٣ ـ أبو شارب.

فهذه عوارض يجب رفعها. وقد وردت الأخبار من شهررور في هذه الأيام أن أحد هذه وهو أبو شارب قد أزيل تماماً. وقد أجري التفتيش فلم تبق عارضة سوى عارضة (السلطان عبد الله). وهذه تأتي بعد أبي شارب. ولم يتم أمر، ولا أحدث تدبير[1].

السنجاوية ـ دالبان:

هاجم بعض السنجاوية من فرقة دالبان الإيرانية في أول تشرين الثاني سنة ١٢٨٥هـ الأسلاك البرقية وقطعتها وكسرت المناجين وهاجمت قافلة وبين هؤلاء هواس من ضباط الجيش الإيراني، وأخوه نور علي وطاهر شوارخان ابن حاتم، وناصر بن خومالي دالبان، وأفراد يبلغون الثمانين من المشاة والمائة من الخيالة.

فلما سمع الجيش بهم عقب أثرهم، ومن ثم تركوا المنهوبات وجميع أثقالهم الأخرى. في المحل الذي كانوا قد أدركوا فيه وهو (جبل الجص) ويسمى (كرج طاغ). فانهزموا شر هزيمة، وعادوا بصفقة الخسران[2].

ويلاحظ أن طالبان العراق منهم في قرية معروفة بهذا الاسم (طالبان) لا يبعد أن سكنها بعض أفراد هذه القبيلة فسميت باسمهم ومن

---

(١) الزوراء عدد ٢٢ في ٥ شعبان سنة ١٢٨٦ هـ

(٢) الزوراء عدد ٢٣ في ١٢ شعبان سنة ١٢٨٦ هـ

ثم انتسب إليها شيوخ الطالبانية، من جراء أنهم أقاموا بها مدة. فعرفوا بالطالبانية. وأمثال هذا كثير جداً.

وهؤلاء الشيوخ معروف أنهم جاؤوا أولاً إلى هذه القرية فعرفوا بالنسبة إليها، وإلا فهم من عشيرة زنگنة، أو موالون لهم[1] وشيوخ الطالبانية أنفسهم يقولون إن أصل لفظة (طالبان) هي جمع (طالب). كانوا يدرسون على الشيخ محمود زنگنة وكانت القرية كلها من طلابه فسميت بـ (طالبان) وهي قرية تابعة لقضاء چمچمال ولا يبعد قول أحد الرأيين لوجاهته وقوة تعليله وبما كان الطالبانية المعروفون اليوم من عشيرة زنگنة فلا يؤثر عليهم أن يكون الطالبانية من (دلبان) من السجاوية، أو من (طالبان) بمعنى طلاب وهم على الطريقة القادرية. وتمت عليهم السياسة في هذه الأيام والشيخ عبد الرحمن الطالباني المعروف من رؤساء الطريقة القادرية في كركوك.

تطهير دجلة:

تطهير هذا النهر من أصعب الأمور. كان قد سبق أن أجري تطهير (أبي شارب) ثم وجد المهندسون في طريقهم سد نمرود وكل ما علم أن هذا السد كان جسراً هكذا شائع بين الناس، والحال أن هناك سدين أحدهما العواية في جهة، والجايفة في جهة أخرى، وهما لسد المياه أما العواية فكان سدها يقصد به أن تميل المياه إلى أنحاء إربل، وهي جسر أيضاً وأما الجايفة فإنها ليست سداً وإنما هي تلول الجبال المسلسلة ولا يمكن رفعها كما يمكن رفع العواية التي هي طبيعية. وإنما يجب تحويل النهر بحفر مكان مجاور بطول ١٦٠٠ ذراع، وعرض ٢٥ ذراعاً، وبعمق يلزم لذلك

---

(١) عشائر العراق الكردية ج ٢ ص ٢٢٨ وفيه بيان أحوالهم وطريقتهم

وهذا أيضاً لم يتم، ولا يزال إلى الآن على وضعه

الصنوف العسكرية:

إن التنظيمات العسكرية كانت قد وضعت سنة ١٢٥٩هـ وبمقتضاها كانت الصنوف العسكرية عبارة عن:

١ ـ النظامية

٢ ـ الرديفية.

سبق ذكر ذلك. نشرت في سنة ١٢٦٤هـ وأعلنت للعموم. وصدر فرمان يتضمن تقسيمها إلى:

١ ـ النظامية. ومدتها ٤ سنوات، وهي إجبارية

٢ ـ الاحتياطية. وهذه متفرعة من النظامية ومدتها سنتان، وهي عند الحاجة ولا يطلق سراح الاحتياط

٣ ـ الرديفية ـ ومدتها ٦ سنوات

٤ ـ المستحفظة. وهذه متشعبة من الرديفية. ومدتها ثماني سنوات..

وقرىء الفرمان يوم الخميس ٢٧ شعبان، وصدرت خلاصته في الزوراء

هذا، وقد فصل محتوياته محمود شوكت باشا في كتابه (تشكيلات الجيش وكسوته)[1].

---

(١) عثمانلي تشكيلات وقيافت عسكريه سي ج ٢ ص ١٩ وعين قوة الجيش وترتيبه وصنوفه بالتفصيل. ومحمود شوكت باشا آخر محاميه الأستاذ السيد حكمت سليمان

المراكب البخارية:

ورد في هذه الأيام (مركب الحدباء) وهذا مركب صغير، أوصى به لتطهير دجلة والفرات بقوة خمسة حصن، ذهب مع (مركب بغداد) لكشف أمر تطهير دجلة متوجهاً نحو الموصل وسيأتي من البصرة (الشهباء) وهو بقوة سبعة حصن وينتظر وروده مع مركب (موصل)

وأما مركب (الحدباء فقد وصل يوم الجمعة في ١٢ رمضان سنة ١٢٨٦ هـ[1].

إن هذه المراكب الصغيرة استخدمت لتعيين عمق الأنهر، وما يسع المركب من حمولة، فهي صغار جداً، وتستخدم لغرض البريد أيضاً ولها فوائد لعمر السواحل واشترت الحكومة مركب نابل فذهب إلى لندن ليأتي بالمطبعة والمعامل وكانت قد اشترته الحكومة من الإنكليز ومركب (آثور) الذي اشترته من لندن أيضاً[2]

مكتوبي بغداد:

عين صائب بك مكتوبياً لولاية بغداد وكان معاون مكتوبي ولاية كريد[3]..

السردار الأكرم:

السردار الأكرم عمر باشا قد سيق للتقاعد براتب سرعسكر لما رأى من الخدمات[4]..

---

(١) الزوراء عدد ٢٨.

(٢) الزوراء عدد ٢٨.

(٣) الزوراء عدد ٢٩ في ٢٤ شهر رمضان سنة ١٢٨٦ هـ

(٤) الزوراء

نائب بغداد:

محمد مظهر أفندي عيّن لنيابة الشرع في بغداد، ووصل إليها في ٢٣ رمضان وكان نائباً في بيلان[1]

مدحت باشا ـ البصرة:

في ٤ شوال سنة ١٢٨٦هـ ذهب الوالي مدحت باشا إلى البصرة لقضاء بعض الأشغال وكان معه متصرف بغداد شاكر بك، وواحد أو ثنان من الموظفين استصحبهم معه

قدري بك ـ إيران:

من أعضاء شورى العدلية، ورد بغداد لقضاء بعض الخصوصات الملكية بوظيفة خاصة تجاه لجنة تعيين وهذا أرسلته حكومته للمفاوضة مع إيران..

حدث زعازع من عشائر ثعلبة وغيرها فأرسل بهذه المناسبة[2]

كلعنبر:

كان قد نصب رئيس عشائر الجاف محمد بك قائممقاماً لقضاء گلعنبر ومنح لقب باشا ومنح رتبة قبوجي باشي اي (رئيس الحجاب)[3].

---

(١) الزوراء أيضاً

(٢) الزوراء عدد ٣٨ و ٣٩.

(٣) الزوراء عدد ٣٠ في ٩ شوال سنة ١٢٨٦ هـ

المراكب البخارية
(البواخر)

كانت الحكومة قد اشترت مركب (الرصافة) وبعد أن تم تركيبه ووصل إلى بغداد صار يسير بين البصرة وبغداد وفي ٣ شوال عاد إلى البصرة. أما مركب (بصرة) فإنه يسير في نهر الفرات، ومركب (بغداد) يستخدم للكشف عن النهر لما هو شمال بغداد، وملاحظة أمر تطهيره ومركب (الرصافة) قد خصص لنقل البريد. وهذه أضيفت إلى ما هناك من (مركب بابل) وكذا (المركب الاخوان) وبذلك توسعت (إدارة المراكب) وتسمى (الإدارة النهرية).

وفي هذه الأيام اشترى نقيب البصرة السيد عبد الرحمن مركباً سماه (الفيحاء) وهو مركب صغير[1] ثم إن النقيب المومأ إليه قد تبرع به للحكومة فصار في تصرف (الإدارة النهرية).

وجاء في الزوراء أن مركب (دأس) الذي اشترته الحكومة من أوروبا ورد البصرة، وأنه سيسير بين البصرة وجدة في موسم الحج بسعر رخيص، وكان الإنكليز يغالون في السعر، وحصروا الأمر بهم، يصل إلى جدة في مدة ١٥ يوماً وعينت له الأجرة ٤٠٠٠ قرش للموقع الأول و ٢٥٠٠ للموقع الثاني و ١٢٠٠ للموقع الثالث[2]

متصرف الموصل:

انفصل متصرف الموصل ضيا باشا، وصار مكانه دفتري الولاية

---

(١) الزوراء عدد ٣١ و ٣٥ والسيد عبد الرحمن ابن السيد طالب أخو السيد محمد سعيد. ونقابة البصرة قديمة فيهم. وترجمته في كتاب (الدر المنضد في مناقب السيد أحمد ووالده الممجد) يريد السيد محمد سعيد المذكور.

(٢) الزوراء عدد ٣١ في ١٦ شوال سنة ١٢٨٦ هـ

السابق آصف أفندي، ذهب إلى محل وطيفته يوم السبت ٢٠ شوال سنة ١٢٨٦ هـ[1].

حوادث عزل:

عزل متصرف البصرة الأستاذ سليمان فائق، والمحاسب سليم، وأمين الصندوق فأخذوا للمحاكمة كما جاء في الزوراء. والأستاذ تدخل في أمر الالتزامات في المنتفق ولكن لم يتظاهر علناً بل راعى جانب الدولة في لزوم القضاء على هذه الإمارة ولذا لم يترك وشأنه تجاه مناوأة آل السعدون.

والملحوظ جداً أن عزله كان لمصلحة التفاهم مع المنتفق وإرضاء ناصر باشا الذي أصر على تنحيته، وتبين للوالي أنه لا يأمن من غائلته، والوالي في حاجة إلى أمراء المنتفق حتماً في التفاهم معهم بأمل قضاء أشغاله الأخرى ومن هنا كان سبب ترجيحهم عليه وبعد مدة يسيرة منح رتبة ميرميران (أمير الأمراء)[2]

الكويت

تبلغ نحو ستة آلاف أو سبعة آلاف بيت، وهي تبعد ٢٤ ساعة عن البصرة، تقع في جهتها الجنوبية، وأكثر الأهلين هناك تجار، وملاحون في السفن والبلدة ميناء تجاري (بندر) وفيها نحو ١٠٠ سفينة كبيرة، و ٤٠٠ أو ٥٠٠ سفينة صغيرة وهذه تسير في المحيط الهندي.

والبلدة من ملحقات البصرة إلا أنها إلى الأيام الأخيرة لم تنظم إدارتها بعناية واهتمام بل بقي أمرها بيد شيوخها ورؤسائها في حين أنه

(1) الزوراء عدد ٣٢ في ٢٣ شوال سنة ١٢٨٦ هـ وفيه الأنباء ص ٢٩٦

(2) الزوراء عدد ٢٦ في ٢١ ذي القعدة سنة ١٢٨٦ هـ

يحب أن تتمتع بإدارة قويمة . والأهلون هناك يبلغون نحو ۳۰ ألف نسمة لا يزالون في حال العزلة.

ولما ورد الوالي البصرة وفد إليه جماعة من رؤساء الأهلين هناك وأشرافهم فطلبوا إليه أن يدخلوا ضمن تبعة الدولة، وأن ينالوا نصيبهم من الرفاه، والعدل، وأن شيخهم الحالي عبد الله الصباح قد نصب (قائممقاماً)، وأجري المقتضى هناك، وجعل القاضي (نائب الشرعية) محمد بن عبد الله العدساني. وفيها جوامع عديدة، فاختير منها خمسة كبيرة لإقامة الجمعة والصلوات . ووجهت الخطابة لمن يقوم بالأمر وطلب من استنبول براءات شريفة لهؤلاء الذين تعينت أسماؤهم . وأما أمور الضبط، وضابطة بحرية فإنها في موقع الدرس . قالوا وسوف توسع التجارة وينال هؤلاء الرفاه والعمارة ويصيبهم العدل، والعناية بعين عناية السلطان

الكويت وتابعيتها

الكويت تبعد عن البصرة بحراً (٦٠) ميلاً وتقع في ساحل نجد أهلها مسلمون، ولم يكونوا تابعين لدولة . وكان الوالي نامق باشا قد عزم على إلحاقها بالبصرة . وأن تكون للدولة الحماية عليها . ولكن الأهلين اعتادوا أن يكونوا بنجوة من التكاليف، وكانت إدارتهم على البساطة لم يوافقوا أن يرضخوا لأحد . ولم يؤدوا الضرائب ولا الرسوم الجمركية، فأبقوا على ما كانوا.

وبيت الإمارة يمتّ إلى قبائل عنزة من القبائل العربية، مالت بني هذه الديار منذ خمسمائة سنة، مع قسم من عشائر مطير والأمراء ينتسبون إلى فرع من عنزة يقال له الشملان . ومن هؤلاء (الصباح) باسم جدهم الأعلى فعرف بهذا الاسم، فتكون منه بيت المالك وهو الذي شكل هذه البلدة، أو كانت صغيرة فوسعها . وكانت بيد آل عريعر من بني خالد

ويرجح تأسيسها سنة ١١٣٥هـ أيام صباح الأول بنيت مجدداً فتكاثر الأهلون، فاكتسبت شكلها الحاضر.

والأهلون شافعية، يسيرون طبق الأحكام الشرعية، وإن قاضيهم، ومفتيهم وعلماءهم ومدرسيهم منهم. وكانوا يدبرون مصالحهم فيما بينهم.. فلا يسيطر عليهم أحد.

ولم يكن لهؤلاء زراعة، وإنما يزاولون التجارة البحرية، وقد ألفوها من أمد بعيد. ولهم نحو ألفي سفينة بين صغيرة وكبيرة، ويتعاطون صيد اللؤلؤ في مياه عمان والبحرين، وأكثر سفنهم الكبيرة تذهب إلى الهند وزنكبار.

وكانوا يرفعون علماً خاصاً بهم إلى وقت قريب، وتحت هذا العلم يسيرون، ويتاجرون إلا أن هؤلاء منذ مدة لم يأمنوا من تعديات الأجانب وسائر الأقوام فاضطروا إلى أن يرفع بعضهم العلم الهولاندي، والآخرون العلم الإنكليزي. اعتادوا ذلك، فكان مقدمة الحماية الأجنبية. وفي بغداد والبصرة خاصة مما يدعو إلى محاذير ملكيةٍ عظيمة. ذلك ما دعا مدحت باشا أن يجلب رؤساء هؤلاء ويفهمهم الخطر المترتب، ونصحهم أن يحترسوا من عمل كهذا، وتعهد بهم بأن لا يأخذ منهم ضرائب، ولا تكاليف أخرى من كمرك وما ماثل، وأعطاهم سنداً بذلك، وقبلوا أن يكونوا تابعين للبصرة، مرتبطين بها.

وعهد بقائمقامية الكويت للشيخ عبد الله الصباح، وأبقى القاضي والمفتي على حالهما. وأقرّ تشكيلاتهم. وكانت تعطى لهم الأوامر الرسمية، والبروات الشريفة للجوامع، وسائر المعاملات المشعرة بارتباطهم وتركوا الأعلام الأجنبية، ورفعوا العلم العثماني.

وهذه قائمة بأسماء أمرائهم:

١ ـ صباح الأول. وتوفي نحو سنة ١١٩٠ هـ.

٢ ـ عبد الله الأول ابن صباح. وتوفي سنة ١٢٢٩ هـ.

٣ ـ جابر الأول بن عبد الله بن صباح. وتوفي سنة ١٢٧٦ هـ.

٤ ـ صباح الثاني ابن جابر. توفي في رجب سنة ١٢٨٣ هـ

٥ ـ عبد الله الثاني ابن صباح الثاني. توفي في ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هـ

٦ ـ محمد بن صباح الثاني (أخو سابقه) قتل في ذي القعدة سنة ١٣١٣ هـ.

٧ ـ مبارك بن صباح الثاني. توفي في المحرم سنة ١٣٣٤ هـ

٨ ـ جابر بن مبارك. وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٥ هـ

٩ ـ سالم بن مبارك. وتوفي في رجب سنة ١٣٣٩ هـ

١٠ ـ أحمد بن جابر. وتوفي ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٩ هـ

١١ ـ عبد الله بن سالم. الأمير الحالي

ومن هؤلاء الأمير عبد الله بن صباح كان أيام مدحت باشا. وفي الحقيقة يرجع تاريخ إمارتهم على الأرجح إلى تاريخ تكوّن الكويت سنة ١١٣٥ هـ. ودامت من ذلك التاريخ إلى أيامنا[1].

تبدل في المتصرفين:

عزل الأستاذ سليمان فائق من البصرة كما تقدم ونصب مكانه متصرف كربلاء حافظ باشا، ومنح رتبة مير ميران أي (أمير الأمراء) وانفصل فهد باشا من متصرفية الحلة، وصدر مكانه مظهر باشا متصرف

(١) البصرة عبرت ص ١٠٤ وتاريخ الكويت للمجلد الأول والثاني والكويت الحديث ص ١٢ ـ ٢١ وملوك العرب ج ٢ ص ١٦٠ وأيام الكويت ص ٩ ـ ٢٦.

السليمانية، وعهد بمنصبها إلى قريبي باشا متصرف الحلة الأسبق. وكان هذا خطاطاً، أستاذاً في الخط، أخذ عنه خطاطون عراقيون إجازة في الخط. ولا يزال خطه معروفاً، متداولاً بين الخطاطين وعندي بعض خطوطه.

مراكب بخارية:

ورد بغداد من البصرة مركب اثور يحمل آلات وأدوات عديدة واشترى من شركة صبية مركب آخر بشرط التحقيق عن سلامته وامتحان آلاته أورد إلى بومبي. ولكنه لم يصدق عليه. فاقتضى شراء غيره قرر الشراء من لندن، فاشترى بمبلغ (٢٨٠٠٠) ليرة

مدحت باشا في البصرة

المنتفق أيضاً:

كان مدحت باشا بالنظر لما قدم به من الأعمال يعد من أعاظم الرجال، بل لو اجتمع مئات لما قدموا بما قدم به ولكنه رأى المعارضات كبيرة، والتصلب في الآراء شديداً جداً، فكان لا يقنع بترجيح رأي لموافقته لآخر، وربما زاول الأمور مباشرة، فلم يكن مقاداً لرأي دون أن يتحقق الحالة بنفسه مما دعاه أن يذهب إلى البصرة، ويتحقق أوضاعها ليكون على علم بما يجري أو يقع. وأمله أن يقوم بأعمال أخرى أيضاً. وربما كانت الأعمال الأخرى هي المقصودة. وهي قضية نجد.

سار هذا الوزير إلى البصرة، ووصل ملتقى النهرين (القرنة)، وشاهد بعينه أكثر القرى والمزارع التي بقربها من لواء المنتفق، وعلم مواقع أخرى ومزارع. بل درس الحالة هناك من جميع وجوهها، ودعا الشيوخ والمعتبرين ممن هو قريب من تلك الأنحاء وسألهم عن أحوالهم

وشؤونهم، وما يشكون من ظلم نالهم، أو تعديات لحقت بهم. فعرف ما هناك مما يجيش في صدورهم..

والملحوظ أن مدحت باشا لا يتسرع في الحكم ولا يعجل في الحل، ولكن الأستاذ سليمان فائق قد بيّن أنه أمر محال أن يكون هؤلاء تابعين لقضاء القرنة وفصلهم عن المنتفق، وأكد لهم أنهم صاروا بنجوة عن التعديات، وأوصاهم أن يسعوا لأمر الزراعة، وأن يثابروا على ما يعود لهم بالخير، وأن يراجعوا في مصالحهم قضاء القرنة.

قال: وبعد بضعة أيام ورد ناصر باشا البصرة، وجلب الشيوخ المرقومين وقال لهم أنتم من المنتفق فلا تعرفوا غير ذلك، وهدّدهم أن يخالفوا أمره، وحذّرهم أن يفرط منهم ما يكره، ولم يكتف بهذا بل وبّخ قائممقام القرنة، وأبدى سخطه عليه. ولما وصل إلى البصرة واجه صاحب رأيه وهو اليهودي، وأخذ منه الدرس وبيّن للوزير أن تفريق هذه الأماكن وفصلها عن المنتفق يستدعي محاذير، ويخشى أن يقع اضطراب بين العشائر والحكومة. وكأنه يذكره بما وقع في الحلة، فاتخذ ذلك وسيلة لتهديد من طرف خفي، وأبدى مطالبته في لزوم صرف النظر عن ذلك.

ومن ثم أصر ناصر باشا على رأيه، وصار مدحت باشا يلتمس الخروج من هذا المأزق واستصبح رأي الأستاذ سليمان فائق، وقال له إن ناصر باشا لا يزال مصراً، ولم يتقرب بوجه فهل في وسعنا الموافقة على ترك هذه الأماكن تابعة للمنتفق..؟

فأبدى الأستاذ أن فهد بك كان قد أعطى كلاماً باتاً في الموافقة على ترك المواطن المذكورة، وأخرى غيرها وهو لا يزال في بغداد ولا يدري ما إذا كانوا يترحمون، فلم تعرف فكرته الآن. وعشائر المنتفق محاربة كعشائر الحلة، ولآل السعدون سلطة قوية عليهم، وإن

كانوا في ثغرة منهم وإن تسلطهم على هذه القبائل دعا إلى ذلك

ومن جملة ما قاله إن العثم أفسد أوضاعهم، وبسبب الترف ذهبت فروسيتهم وإن الجور نفر منهم عشائرهم، ولو أرسل إليهم فوجان من الجند المسلحين بالأسلحة الجديدة لما استطاعوا الوقوف وولّوا الأدبار، ولكانوا لجأوا إلى الدخالة والاستيمان. وذلك لا شائبة فيه

هذا ما بيّنه، وكان لا يرضى إلا بالقضاء عليهم ولو طلبوا الاستيمان. أما الوالي فلم يجبه على قوله، واختار السكوت لم ينبس ببنت شفة..!

ومن ثم أدرك الأستاذ سليمان فائق ـ كما قال ـ خطأه في قوله للوزير إن المعضلة تتم بقوة السلاح، وندم لأنّ الوالي قد شاهد عشائر الخزاعل والحلة، ويعتقد أن المنتفق يعدون مائة ضعف أكثر من الخزاعل، وأن أوضاع مدحت باشا باشتهار معارضيه في دار السلطنة حرجة جداً. يترقبون أن يرتكب غلطة أو هفوة أمثال هذه ليفتح طريقاً لتقولاتهم فكان يتباعد عن القيل والقال، ويتجنّب ما يدعو للخطر، فالتزم حالة الهدوء والطمأنينة فلم يشأ أن يحرّك ساكناً، ولم يكن له ميل إلى استعمال القوة..

ذلك ما اضطره أن يراعي الحكمة، ويروج مقاصد المنتفق، ولم ير بدّاً أن يعلن عدوله عن إقرار المواطن الكثيرة، فمال ناصر باشا في هذه المرة أيضاً أغراضه ومقاصده ودعا إلى أن تقف التشكيلات الإدارية التي عزمت عليها الحكومة وأقول إن تجنب الحوادث من مدحت باشا لم يكن إلا بأمل أن لا يشوش على المنتفق فتفسد عليه الخزاعل وأنحاء الديوانية، ويضيع الكل من يده، وأنه له مصالح بالمنتفق من أعظمها (قضية نجد)..

إن أوضاع الأستاذ سليمان فائق هذه لم ترض المنتفق وكان

يصارح بها الوزراء، فكانت الوحشة بينه وبين الأمراء تعد السبب في تخديش أفكار الوالي عليه. أفهموه أنه سوف لا يدع الإدارة تستقر على حالة بل يزعج الحكومة في يقدع عتو وثارة الزعازع. أرادوا التخلص منه فاختلقوا عليه ما اختلقوا، مستعانة باليهودي المذكور وبمحاسب البصرة، لتهدأ الحالة.

هذا. ومن ثم نعلم نوايا الحكومة، وأوضاع الأهلين، ونزعة الأستاذ سليمان فائق. وبذلك ندرك ما نال المنتفق من العناء والشقاء فتجاوز حده، نرى الحكومة في كل بضع سنوات تريد في بدلات الالتزام، وتقتطع جملة من الأراضي أو تعيدها، فتكون الضرائب مضاعفة، الأمر الذي دعا أن تميل جملة من العشائر إلى إيران، والأمراء في انزعاج كبير بين إلغاء المشيخة أو إبقائها.

ومن هنا نشأ الاضطراب وارتباك الحالة وما تكبدته الحكومة من وقائع وكلفات باهظة وأضرار كبيرة فلم تسلك الطريق السوي في الإصلاح. وغالب الأشخاص من يهود وغيرهم يصطادون من تعكر الحالة، ويلعبون أدوارهم. والموظفون لا يخلون من استفادة بل هم بيت القصيد، والغرض مصروف إلى جهات إرضائهم. وهناك الأضرار في النفوس، وفي الأموال.

وهذا هو سوء الإدارة، وارتباك أمورها وكثرة مشاغلها في عوائل، والأمر ليس كما يتصور الأستاذ سليمان فائق من أمر القضاء على مشيخة المنتفق وأنه من السهولة بمكانة، لم يتوسع أكثر، ولذا عدّ كل مخالفة لرغبته هذه جريرة.

كانت تعترض الدولة عقبات، وإلا فالمعرفة بأحوال المنتفق لا تكفي، فالحكومة أعرف بوضعها العام، فلا تطوّح نفسها في أخطاء غير مأمولة النجاح، والمغامرة مقامرة، وقضية المنتفق شغلت تاريخ هذه الحقبة فلا تزال مضطربة.

والملحوظ أن مجيء الوالي إلى البصرة كان قبل سحب يد الأستاذ سليمان فائق من البصرة[1].

بناء الناصرية

إن الخلاف بين أمراء المنتفق، وتنازعهم على السلطة من الأسباب المهمة للقضاء على هذه الإمارة وتعد كافية لنجاح مشروع الدولة في الاستيلاء على هذا اللواء كما استولت على بابان وغيرها. ولكن هناك عوائق حالت دون الإتمام وكلفت الحكومة كلفاً عظيمة أدت إلى القوة بالأهلين ومن أهمها تزييد بدلات الالتزام، واقتطاع أقسام من أراضي المنتفق مع الاحتفاظ بهذه الزيادات، فقد ولّدت ظلماً، وأنتجت ارتباكاً، ودعت إلى أن يهرب العدد الكبير من العشائر إلى أنحاء إيران. فكان ذلك التشوش مطلوباً منها، وداعية لكره والحنق عليها، وقتالها بتهالك زائد حباً في الانتقام وأخذ الحيف.

وقد مر أن ناصر باشا لم ير بداً من الإذعان لأمر الوالي مدحت باشا حذر أن يوافق سواه من مناوئيه، وأراد أن لا تنزع السلطة منه، ولا يضيع الفرصة وأن يجري مع المقادير. فقبل أن ينفذ رغبة الوالي أسس بلدة الناصرية المسماة باسمه. خططها المهندس البلجيكي المسيو جول تللي فوضع الحجر الأساسي لدار حكومتها في سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م، فوافق رغبة الوالي. حصل على مطلوبه دون استعمال قوة، أو امتشاق حسام. وفي الحقيقة هو الذي ألغى بحق مشيخة المنتفق بتأسيس بلدة صارت مركز اللواء وحصناً للدفاع والاحتماء بها. فكانت مقدمة للاستيلاء النهائي على المنتفق وإلغاء إمارتهم. وهذا هو طريق الإصلاح الملتمس، فلم يعاكس بقوة.

---

(١) البصرة عبرت، والزوراء، ورسالة المنتفق.

وكان أول من بنى داراً فيها لنسكنى نعوم سركيس والد الأستاذ يعقوب سركيس، ثم بنى أسواقاً وحوانيت وقهاوي، وكان قد اتصل بناصر باشا، فأقامه أميناً لخزانته، ثم زادت العمارات، واستمرت في تقدمها إلى أيامنا هذه.. واليوم هي مركز اللواء[1]

ومن ثم عوضت لهم الحكومة أمراً آخر عبر توجيه منصب اللواء، فجعلت الأراضي الأميرية في قبضتهم فوصلتها إليهم فكانت بعد انتزاع السلطة منهم معوّلهم الأخير

جاء في لغة العرب

«صارت ـ الناصرية ـ قاعدة بلاد المنتفق، وقد حكم فيها ناصر باشا من آل السعدون، ثم ولده فالح باشا، ثم فهد باشا والد صاحب الفخامة عبد المحسن بك[2] وأخيراً في أول إنشاء الحكومة العراقية كان متصرف الناصرية الزعيم الكبير إبراهيم بك بن مزعل باشا السعدون»[3].

وحدثت بعد ذلك مدن عديدة في هذا اللواء

وجاء في جريدة الزوراء عن سنة الناصرية أنه كان لناصر باشا همة تشكر في تأسيس هذه المدينة حينما جرى تحويل عشائر المنتفق إلى لواء، وهؤلاء لا يزالون يسكنون الصرائف، وبيوت البردي ولما كان سوق الشيوخ لا يصلح أن يكون مركز لواء، اقتضى تأسيس بلد آخر وهذا سمي بـ (الناصرية)[4]

---

(١) لغة العرب ج ٢ ص ٢١ بإمضاء مستفيد وهو الأستاذ يعقوب سركيس والزوراء في أعدادها الأولى.

(٢) هو فخامة المرحوم عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء الأسبق وتوفي ببغداد في ١٣ ـ ١١ ـ ١٩٢٩ م

(٣) لغة العرب ج ٥ ص ٥٣٩ للأستاذ علي الشرقي

(٤) الزوراء عدد ١١.

والهمة مصروفة لبناء جامع شريف، ودار حكومة، وأبنية أخرى، والمأمول أنها تتم في هذا الصيف بتدارك ما يلزم[1]

وكان قد تبرع ناصر باشا بمبلغ ٥٠٠ كيس، ثم بمبلغ ٣٥٠ كيساً لإكمال بناء الناصرية وله تبرعات أخرى لإنشاء جسر تقدر بعشرة آلاف شامي أي ٩٧٥٠٠ قرش. وهذا يدل على ما فطر عليه من كرم وهمة وأخلاق مرضية[2]..

هذا. وقد علمنا:

١ ـ أن الناصرية صارت مركز اللواء ومتصرفها ناصر باشا السعدون

٢ ـ الشطرة من أقضية هذا اللواء وقائممقامها فالح بك السعدون ابن ناصر باشا.

٣ ـ الجبايش من أقضية هذا اللواء وقائممقامها مزيد بك.

٤ ـ سوق الشيوخ

ونائب الشرع في اللواء السيد عبد الباقي الألوسي ثم حصل تبدل في هذه التشكيلات الإدارية فاستقرت على ما هي عليه اليوم من أقضية. فتبين لنا أن أول متصرف هو ناصر باشا، تعهد ببناء الناصرية، وأن تحوي دار حكومة ومكتباً وجامعاً وأن يصرف المبلغ المقتضية من كيسه. وأرسل إليه التخطيط من بغداد، وهكذا تكاملت، وصارت في عداد المدن المنتظمة ولا تزال في تكامل

(١) الزوراء عدد ٣٨ في ٥ ذي الحجة سنة ١٢٨٦ هـ

(٢) الزوراء عدد ٤٥ في ٢ صفر سنة ١٢٨٧ هـ ومن هنا نعلم أن الشامي يساوي ٩ قروش صحيحة و ٣٠ بارة ٧٥٪ من القرش

أعشار القطن

إن الحكومة راعت في القطن خاصة العشر، ولم تجعل حسابه كسائر المزروعات من أحد الخمس، أو ربع، أو ثلث، كضريبة، وفي بعض المواطن النصف. فيه ثقيل خصوصاً أنها ترغب في تكثيره أعلنت بأنها تستوفي من حاصله العشر[1]..

حوادث سنة ١٢٨٧هـ - ١٨٦٩ م

أيام عاشوراء:

جرى إعلان من الحكومة في منع ما يجري أو بقصد وكذا التجاهر به والتشويش على الناس وهدّد من قام بأي عمل مخالف[2]..

جرت محاولات أمثال هذه، فلم تكن إلا تدبيراً عاجلاً، ولم ينقطع أمرها.

الفيلق السادس ببغداد:

نصب الفريق سعد باشا ركن الفيلق وكان متصرف استنبول، تحرك نحو بغداد[3]

حدود إيران - العراق:

لحسم بعض مواد الحدود جاء عن دولة إيران محب علي خان وتفاوض مع قدري باشا اجتمعوا في (شهربان) للنظر في قضية الحدود

---

(١) الزوراء عدد ٣٨ في ٥ ذي الحجة سنة ١٢٨٦ هـ
(٢) الزوراء عدد ٤١ في ٤ المحرم سنة ١٢٨٦ هـ
(٣) الزوراء عدد ٤٥ في ٢ صفر سنة ١٢٨٧ هـ

بين إيران والعراق[1] ثم استمرت المفاوضات في اجتماعات عديدة، وقبل إنهاء الأمر وعلى حين غرة عاد المفوض الإيراني ليلاً إلى مملكته من طريق خانقين فلم يعلم به إلا وفد عدن العراق[2]

ترامواي الكاظمية:

الكاظمية أشبه بالمحلة من محلات بغداد لا تبعد كثيراً عن بغداد وفيها مرقد الإمامين موسى الكاظم، ومحمد الجواد والناس هناك بين زائر، وصاحب شغل أو مقيم و الاتصال ببغداد دائم بلا انقطاع

وإن الوسائط النقلية القديمة معروفة إلا أن المرء يتطلع إلى ما يسهل تزيد الحاجة في موسم الزيارات و الأعياد أكثر والضرورة أشد عندما يريد المرء نقل البضائع فالوسائط لا تكفي. وفيها من الصعوبة والأضرار الكثيرة ما لا يحصى، وكذا أيام الأمطار و الأمطار مما لا يحصى ضرره

كل هذه وأمثالها مما يدعو إلى تأسيس شركة تسهل على المارة ذهابهم وإيابهم. وهي مدار نفع وأرباح طائلة من جراء هذا التسهيل تكونت شركة الترامواي فصارت تبيع الأسهم بكثرة وفي عشرة أيام أو اثني عشر بلغت ٧٨٤ حصة لما حصل من تشويق وإقبال، ثم استمر بيع الأسهم[3]

تم الإنشاء، وللوالي الفخر في ذلك فيعد من خير الأعمال خفف عن الناس كثيراً من العناء دامت الاستفادة منه من حين تأسيسه إلى اليوم..

---

(١) الزوراء عدد ٤٥ في ٢ صفر سنة ١٢٨٧ هـ
(٢) الزوراء عدد ٤٦
(٣) الزوراء عدد ٤٦ في ٩ صفر سنة ١٢٨٧ هـ

وفي نيسان سنة ١٩٤١م صدر حكم بتصفية (شركة ترامواي) بغداد ـ الكاظمية. إن المحكمة اعتمدت على سبب أنه غير مصادق عليها، وكأن الحكام لم يكونوا من بغداد، أو لم يشاهدوا فقضى على هذا المشروع فأماتت هذه المؤسسة، وكان في الإمكان قلبها إلى شركة كهربائية أو مشروع نقل آخر.

كانت أسست بتشويق من الوالي، وتأمين الحكومة، وجعلت كل حصة (٢٥٠) قرشاً على أن تكون ٦٠٠٠ حصة فيكون مجموع رأس مالها ١,٥٠٠,٠٠٠ قرش. فكان الأمل قوياً في نجاح المشروع[1].

كان هذا من أجل أعمال مدحت باشا وبذلك حصل منه الربح، وسهّل على الزوّار فكان عملاً نافعاً. وعوّد المراقبين على المشاريع النافعة المفيدة. مدّوا السكة لمسافة ٧ كيلو مترات بين بغداد والكاظمية رتبت شركة أسهم محدودة (توبيم)، وكانت تجر بالخيول لا بالبخار أو الكهرباء. فتم إنشاؤها في تلك السنة. وصارت تشتغل.

وقامت هذه المؤسسة بكل ما تحويه بمبلغ (١٨) ألف ليرة. ولم تصرف سهامها جميعها وإنما صرف نحو ألف سهم منها. بلغ ربح المشروع في السنة ١٨/ أو ٢٠، فصرف بعضه لأرباب الحصص والبعض الآخر جعل تسديداً للدين في نهاية كل سنة. فبلغت شركة الترامواي خمسة آلاف حصة، فبقيت كذلك[2].

حوادث إيرانية:

حدثت بعض الوقائع والتجاوزات على أراضي (عربية) وأراضي (بكسايه) من ملحقاتها. وهي من أراضي بني لام. صار يتجاوز عليها أشقياء إيران فأرسل الوالي قوة إلى هناك. وكان أحد شيوخ بني لام

---

(١) الزوراء عدد ٤٤ في ٢٥ المحرم سنة ١٢٨٧ هـ.
(٢) تبصرة عبرت ص ٩٤.

محمد علي التزمها من الحكومة، ثم متنع من أداء بدل الالتزام[1]

رئيس أركان الفيلق السادس:

جرى نقل حمدي باشا الفريق رئيس أركان الفيلق السادس إلى الفيلق الرابع، ونصب مكانه الفريق رؤوف باشا[2].

مراد افندي متصرف العمارة:

وجهت إليه رتبة اصطبل عامرة. وهذا هو أبو كَذبله روح نائلة خاتون صاحبة المدرسة المعروفة باسمها وذات الأوقاف المهمة[3]

متصرف البصرة:

إن متصرف البصرة راشد باشا توفي أثناء عودته في الكويت لمرض أصابه. ومن ثم عين مكانه حلبي بك نقل من الحلة إلى متصرفية البصرة[4]

الفريق نافذ باشا:

عين للأركانية في الفيلق السادس، وصل إلى بغداد. وهذا صار قائداً للأحساء[5]

متصرف بغداد:

شاكر بك حصل على وسام عثماني من الرتبة الرابعة[6]

---

(1) الزوراء عدد ٤٧ في ١٦ صفر سنة ١٢٨٧ هـ

(2) الزوراء عدد ٤٩ في ٣٠ صفر سنة ١٢٨٧ هـ

(3) الزوراء عدد ٥٣ في ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٨٧ هـ.

(4) الزوراء عدد ٦٤ في ١ جمادى الأولى سنة ١٢٨٧ هـ

(5) الزوراء عدد ٦٣ في ربيع الآخر سنة ١٢٨٧ هـ

(6) الزوراء عدد ٦٥ في ٤ جمادى الأولى سنة ١٢٨٧ هـ

ناصر الدين شاه

في بغداد

ناصر الدين شاه ـ زيارة الأئمة·

صدرت الإرادة الملكية في قبول هذه الزيارة، وجاءت الأوامر للاهتمام بواجب الضيافة وأن تتخذ له حديقة البلدية، ويبنى له قصر خاص فيها لإقامته رحبت الحكومة به، وعدت ذلك دليل الإلفة والصداقة وحسن الجوار(١).

اهتمت الدولة، وقامت بأمر الاحتفاء به، وجعل أملها تأسيس تعاون بين الدولتين في منع ما كان ولا يزال يجري في الحدود من حوادث وأن تتفاهم على مطالبها، وصادف وروده أيام مدحت باشا، فكان الوضع ملائماً، وحكمة هذا الوالي جعلته يلهج بهذا الاحتفاء، وصار يراعي حسن الجوار، واتخذ هذه الزيارة فرصة لتأمين العلاقات

ورد بغداد يوم الاثنين ٢٨ شعبان سنة ١٢٨٧هـ ـ ١٨٧٠م ومدحت باشا عرفت في أيامه حوادث عديدة كان لها مكانها وتستحق الذكر ولعل للجريدة الرسمية في تدوين أعمال الحكومة قيمتها ومنها ما للوالي من يد في التوجيه، وكذلك من وقائع أيامه ورود ناصر الدين شاه لزيارة العتبات فكان الاهتمام به عظيماً، وأن السلطان عبد العزيز أرسل كمال باشا نائباً عنه في استقباله والترحيب به. وكمال باشا هذا مدحه الأستاذ محمد فيضي الزهاوي بقصيدة فارسية أثناء ملاقاته قال في أولها

شكر كز فضل ايزد متعال

يافتم دولت وصول كمال

---

(١) الزوراء عدد ٤٩ في ٣٠ صفر سنة ١٢٨٧ هـ

وهي قصيدة عامرة..

ولما ورد الشاه بغداد مدحه الأستاذ ابرهاوي بقصيدة فارسية أيضاً تتضمن الترحيب بقدومه، أولها

هزاران شكر كز فضل وعطاي ايزدمنان

شدأرتشريف شه بغداد رشك جملهٔ بلدان

إلى آخر الأبيات. رأيت القصيدتين في (ديوان ناظم) المخطوط مكتوبتين على غلافه، وأبيات أخرى بخطه أيضاً. وعندي مخطوطته

وهذه الزيارة بيّنها ناصر الدين شاه في سياحة خاصة. طبعت وفيها تفصيل لما أجري له من الاحتفالات والتكريمات

وكان الاحتفال بالشاه باهراً. استقبله لحد من خانقين بأبهة فائقة واتخذت له الحديقة النجيبية مسكناً، وهي المعروفة (بالمجيدية) كانت بستان نجيب باشا، فصارت (حديقة الأمة) أو كما يقولون (حديقة البلدية). جعلها مدحت باشا (حديقة عامة)

ثم صارت مستشفى أيام رجب باشا. جعلها مستشفى الجيش، وبقيت إلى آخر أيام الترك العثمانيين تعرف بالمستشفى العسكري. وهي اليوم (المستشفى الملكي التعليمي)

دامت سياحة الشاه نحو ثلاثة أشهر في خلالها زار العتبات في النجف وكربلاء وسامراء، وكانت إرادة السلطان عبد العزيز أن يكون مدحت باشا في صحبته. وكان في هذه السنة قحط وغلاء، فحدثت صعوبات جمة وكان في خدمة الشاه جماعة كبيرة ذكوراً وإناثاً، ومعهم أكثر من ١٥ ألف دابة. فكانت الحكومة تقوم بتدارك ما يلزم للكل. وبلغت جميع المصاريف لسياحة الشاه ولما اتخذ له من إنشاءات ومفروشات لقصره ما يزيد على ثلاثين ألف ليرة عثمانية. بذلت الدولة ما يليق من احترام عظيم، وأبهة لائقة بمقامه

بين إيران والعراق:

اتخذ الوالي فرصة وجود الشاه في بغداد ففتح باب المفاوضات عن المسائل المعلقة وكان قد ورد قدري بك لهذا الغرض.

١ ـ إن نقود إيران لم تطرد، ولم تقف عند سعر معين، وتتداول بصورة متحولة بين خمسة قروش وثلاثة وربع فأقنع الوالي الإيرانيين بأنها تتداول كسائر نقود الأجانب بقيمة القران الحقيقية وهي ثلاثة قروش وربع القرش ٣/٢٥ لا تزيد على ذلك، وأعلن للعموم، والزيادة تابعة للرعية.

٢ ـ الدفنية في العتبات العالية مما تضر بالصحة العامة من جراء التعفنات، فلزم أن يدفن الميت في موطن موته ويبقى مدة سنة، وبعد مرور السنة تنقل عظامه ورممه فيحصل الغرض فتمت هذه وغيرها من القضايا المعلقة[1]..

معاون الوالي ومحرر الزوراء

معاون الوالي رائف ذهب إلى استنبول هو والأستاذ (أحمد مدحت) محرر جريدة الزوراء. وهذا كان له بعد ذلك شأن في عالم الأدب والتاريخ، فاشتهر كثيراً بما نشر من مؤلفات.

الأراضي العراقية

في أيام مدحت باشا سارت الحكومة في قضية العقر على نهج معين، وأعلنت مدة لإثباته، فلا تسمع الدعوى بعد ذلك حذراً من أن تحدث مشاكل بعد تفويض الأراضي بالطابو للراغب فيها.

وهذا ما جاء في جريدة الزوراء:

---

(١) تبصرة عبرت.

«كانت الأراضي ولا تزال تعطى بالالتزام وأن صاحب الأرض يعلم يقيناً أنها ليست ملكه فلا يغرس فيها، ولا يراعي إصلاحها الدائم لتكون المنفعة مستمرة.. وهذا الحال مشهود..

وهذا كان يأتي بالنفع للحكومة من جراء إعطائه بالالتزام، إلا أن أضراره كبيرة من جراء ما يأخذه الملتزمون، وما يقسرون الأهلين على أخذه زيادة عما تطلبه الحكومة بأمل الاستفادة والمقادير متفاوتة بين الخمس والثلث أو أكثر

وآمال الحكومات اليوم ليس المراد بها سلب الأهلين ما عندهم، وإنما همّها مصروف لزيادة الثروة العامة، ومراعاة نفع الأهلين. والتجارة عندنا منحطة، فلا طريق للاستفادة إلا من ناحية الزراعة والزارع لا يملك مزرعته، ولا يد له في التصرف بها فيعدّ أحد الغيري حصته، والملتزم حصل على نصيبه فلا يبقى بيد الفلاح إلا الربع أو الخمس أو أقل فاقتضى سوقه إلى أن يكون مالكاً لينال رفاهه فاختارت الدولة التفادي في سبيل منفعة هؤلاء.

ومن ثم ابتدأت في أن تحمل الأراضي طابو وتفوضها بالمزايدة لطالبها أو لزارعها كما هو الشأن في الأراضي في البلدان الأخرى

وقد شوهد ما يعارض هذا التصرف من الادعاء بالحقر، وهو واحد من عشرين أو من خمسة وعشرين أو من ثلاثين وهذا الحق مشهود بعضاً وثابت قطعاً، وبعضهم صار يدعي به بلا وجه حق

وهذا الحق كان قد منح للفاتحين الأولين، وبقي أثره إلى اليوم.. ولا يضر بتصرف المالكين ثم إنه بعد زمان صار يوجه إلى بعض الأشخاص ممن قام بمهمة عسكرية، أو تعهد بالقيام بها بالوجه المطلوب منه والحال أن مثل هذا لم يبق فيه لزوم، وأن الترقيات الحاضرة تستدعي أن تقوم الحكومة رأساً بمثل هذه الأمور.. وأن القيام

بخدمات يعوض من ناحية أخرى وأن المستخدمين في أعمال الدولة كلهم موظفون.

ومن ثم راولت الحكومة البت في أمر العقر، والتهاجيه نحو نهج مرضي وأن لا تتولد كل يوم دعاوى في الاعقار، وتضر بحقوق المتصرفين أو المتعوضين بها ومن ثم تكوّن قومسيون أي لجنة للنظر في مثل هذه الأمور وتثبيتها بالوجه الشرعي وأن لا يقبل ما كان فيه شائنة

وعلى هذا أعلنت الحكومة بأن الدولة عازمة على تعويض الأراضي بالمزايدة وبعد التعويض لا تسمع (دعوى العقر)، وأن لجنة تشكلت للنظر في ذلك، وبهذا نمهل الحكومة بلزوم المراجعة وإثبات العقر إلى غاية أيلول من سنة (١٢٨٦ رومية) وإلا فلا تقبل المراجعة بعدها لئلا يتشوش أمر التعويض ويؤدي إلى اضطراب المعاملات »[1] اهـ

وهنا يلاحظ أن ما أوردته الزوراء يخالف في تعليمه ما جاء في نفس (الفرمان المتعلق بالعقر في القطر العراقي) وهو

«إن أغلب الأراضي للقطر العراقي تدار بالالتزام ولا تفوض إلى أحد، ولذا ترى الملتزمين يهتمون بالاستفادة من مدة التزامهم فقط، ولا يبالون بإعمار الأراضي فلم ترق الزراعة والفلاحة فيه، وكان من النتائج المضرة لهذه الطريقة أن الأراضي الواسعة للقطر العراقي أصبحت خالية من آثار العمران ولا شك أن تكثر الثروة والعمران في الملك متوقف على تأمين حقوق الأهالي بالتصرف فيه، ولم يزل يبصان أمر الزراعة والفلاحة في ولاية بغداد إلى الدرجة المطلوبة منها مما ترغب فيه ذاتي الملكية، وإن إحدى المسائل والأسباب المؤدية إلى ذلك الرقي هو

---

(١) الزوراء عدد ٥٠ في ربيع الأول سنة ١٢٨٧ هـ

إصلاح قضية التصرف للأرضي، ولذلك قرر في ابتداءة إقطاع الأراضي المذكورة وإحالتها إلى طالبيها، ولكن لصدمات والتقسات التي اعترت البلاد مد مائتي سنة سلبت من السكان القوة المالية، والقدرة على الزراعة والفلاحة، فحدث أن أخذت أغلب الأراضي من أصحابها بانضمام موافقتهم، وسلّمت إلى حسب الميري لتزرع الأرضي وتعمر ويستفيد أصحابها منها، وهكذا صارت تدار مزرعة تلك الأراضي بواسطة الميري على أن يترك لأصحابها في العشرين وفي الخمسة والعشرين وفي الثلاثين واحد باسم عقر، ولم تزل هذه المعاملة تجري على الأراضي المذكورة حتى الآن، ثم انقرض بعد ذلك أصحاب الأراضي الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت وأصبح حق التصرف عائداً إلى الميري، ولم تبق على الأرض إلا الحصة العقرية ولما كان أصحاب العقر لا يتعرضون في المتصرف بالأراضي وتملكها بل يأخذون حصصهم العقرية كما هي. ولما كانت هذه الحصة تزداد بنسبة عمران الأراضي ورقيها، فاستفادتهم سيزداد طبعاً بالتدابير الإعمارية التي يتصور اتخاذها، وعليه فقد قرر ما يأتي:

١ - يبقى العقر بأيدي أصحابه إذا ثبت تصرفهم فيه بالسندات المعتبرة، ومن لم يثبت يؤخذ منه، ومن لم يكن بيده سند وتحقق تصرفه مدة ٤٠ سنة يعامل معاملة المتصرف في السندات المعتبرة

٢ - إن الأراضي العقرية (المعقورة) تعرض على صاحب العقر أولاً ببدل المثل الذي يقدره أرباب الوقوف الحاليين عن الأعراض وذلك كالمعاملة التي تجري بحق أصحاب الطابو، فإذ لم يقبلها تعرض بذلك البدل على الأهالي المجاورين وإذا لم يقبلو أيضاً تعطى لطالبيها.

٣ - إن الأراضي التي تباع بأيدي أصحابها إذا كانت مربوطة بعقر، فتعرض أولاً على صاحب العقر، فإذ لم يأخذها تباع للآخرين، وكذلك

إذا باع أصحاب العقر حصة عقرهم، تتعرض على المتصرف بالأرض أولاً بشرط أن يدفع حاصلات الحصة العقرية لمدة لا تزيد على خمس عشرة سنة، وتحسب السنة من معدل حاصلات العقر مدة ثلاث سنين، فإذا لم يأخذها تباع لغيره، وإذا كانت الأراضي والعقر معاً بيد واحد، أو بيد أشخاص متعددين يتصرفون فيهما مشتركاً، فيمتنع بيع كل من الأراضي والعقر على حدة بل يجب بيعهما صفقة واحدة، ويجب جعل فراغ العقر وانتقاله بتصديق مدير الدفتر الخاقاني في بغداد وهذه قاعدة يسار بمقتضاها وعلاوة كون الأراضي التي تعطى لصاحب العقر أو المجاورين ببدل المثل إن عطلت ولم تعمر مدة ٣ سنين بدون عذر تنزع من أيديهم، وتفوض إلى طالبها.

وعلى ذلك صدرت إرادتي السنية في اليوم الثالث والعشرين من شهر شوال المكرم لسنة ١٢٨٧ هـ[1].

ومن هذا نرى أن الحكومة أرادت تفويض الأراضي بالطابو، وأن تكون سالمة من علاقة العقر، أو أنها تكون معفورة، فاتخذت هذا الفرمان كتدبير للمعاملة وسلامتها لا غير. ومن ثم يزيد نصيبها أو لا يزيد، وأن مدحت باشا لم يقم بإصلاح كبير في أمر ذلك، وإنما أراد أن يحصل على مبالغ لدولته، وهي في ضنك مالي عظيم، وأن يملك العشائر الأراضي فيتصلون بها فلا يثورون دائماً

كانت أعماله هذه في الأراضي تهدف إلى ما يشير إلى نفع الأهلين أيضاً فكانت عملية تتلخص في رغبة الدولة وحاجتها في المال. تعد من نواحي الإصلاح المهمة، وإلا فليس هناك ما أبداه الكتاب ذوو

(١) نشر نصه في الزوراء عدد ١٢٥ وفي ١٩ ذي الحجة سنة ١٢٨٧ هـ ومذكور في مؤلفات عديدة

العلاقة.. أو ضائع الدولة آنئذ وعلى ما نراه أن المقصود به هو أن لا يفاجأ العمل السوي بمعارضة وهذا هو الذي حدا بالمتأخرين أن يعدوا ذلك من حسناته ولحق أنه قام بالمهمة، فرأت قبولاً لا مزيد عليه. وكان الأعيان وأعيان المملكة مرغمين عليها وعدّوها ضريبة.. ثم صارت نتائجها نفعاً كبيراً للمتنفذين، وجاءت بالخير العميم للأهلين ولخزينة الدولة..

وحق ما نقوله إن الدولة جربت تجارب عديدة للحصول على أقصى حد ممكن من الضرائب ونلاحظ أعمالها أنها كانت تجبي رأساً، أو بطريق الالتزام المقطوع، ولا شك أن واردتها تعصف بوقائع مؤلمة، وحوادث ملأت غالب صفحات (تاريخ العراق) من جراء أنها لم تجعل علاقة لمالك بها، بل يتهافت عليها المتزايدون فيقبلها أصحابها بمبالغ كبيرة، فيعجزون عن الأداء فتحدث الفتن، كما أن ضرائبها كانت قاسية تقاسم الأهلين في النصف، أو تأخذ الثلثين، وإذا رأت نقصاً عوضته من ناحية التخمين والتقدير، وإذا شعرت بضعف وخوف حسمت بالقليل ورضيت به ومشت على رأي القوي وتابعته في تقديره، وهكذا كانت لا تجري على قاعدة معينة فتمضي التدابير، ولم يكن لها قدرة على الإجراء.

وتلخص أعمال الوزير في أمرين

١ ـ حصوله على المال

٢ ـ جعل المتصرف بالأراضي كما يقول القانون (متفوضاً) بالأراضي فتبقى رقبة الأرض بيد الميري

ومن ثم قام بمهمته إلا أن العراق كله أرض وإصلاحه غير متيسر في آن واحد، بل إن تخريبات العصور لا تعمرها الأيام المعدودة ولا يستطيع إيجاد إدارة جديدة في يومين والعراق قد دمّرته الفتن وأرعجته

الحوادث وسوء الإدارة فعاد خراباً ومهما يكن فقد زاول الأمر الأول وأما الثاني فهو نتيجته. ومن حين عودته من الدعارة صار يفكر في قضية الأراضي والاستفادة للحاجة منها. وذلك بتمليكها للآخرين ليتم إعمارها.

رأى الوزير الأراضي العراقية لا تشبه أراضي الممالك الأخرى مثل الأناضول، والروم إيلي مصرّ لطبيعة موقعها، فإن أكثرها يسقى بماء الأنهار (سيحاً)، و لآخر بواسطة الكرود أو تزرع ديماً. وبهذه الوسيلة تختلف أنواعها، وتتفاوت فوائدها وخيراتها وهناك حقوق أخرى تتعلق بها مما ولدته العصور، فلا تعتبر أميرية صرفة، بل بينها ما هو مملوك، أو موقوف إلى جهة، أو أنها مرتبطة (بعقر) وأمثال هذه من الحقوق، وتتنوع إلى أقسام وحصة الحكومة (الميري) تكون تبعاً لذلك مختلفة إلى ضروب، فتأخذ تارة الثلث، ومرة النصف، أو الثلثين وهكذا بالنظر لطبيعة الأراضي قد تأخذ المقطوع.

وهذه الأراضي بأنواعها لا يصح عدها بمثابة واحدة أثناء التفويض، فإذا أخذت الحكومة العشر من الأراضي وفوضتها إلى الآخرين فلا شك أن ما أدى حاصلاً أكثر فله قيمة أكبر، ويجب تفويضه ببدل زائد على غيره، وهكذا يتفاوت بدل التفويض لتفاوت قيمة الأرض بالنظر لطبيعتها فيما إذا كانت تسقى سيحاً أو ديماً وهكذا تختلف قيمتها فيما إذا كانت بعيدة من العمران أو قريبة للمدن الكبيرة أو أنها قريبة لدجلة والفرات أو بعيدة عنهما أو عن أحدهما إلى آخر ذلك من الاعتبارات.. فكانت توضع بالمزايدة..

ومن جهة أخرى أن البدل لا يستطيع المتفوض أن يؤديه دفعة واحدة، ولا يستطيع كل أحد القيام بذلك، ولتسهيل مصلحة الأهلين صار يأخذ عشرين من بدل المزايدة، والباقي بأقساط لسنين أخرى، وإذا

سلم المتفوض خمسة أعشار عن خمس سنوات دفعة واحدة، فلا تؤخذ منه الأعشار الأخرى، وتفوض له الأرض رأساً.

وفي الأراضي المعطلة التي لا ينتفع منها يجري التعويض على العشر فقط، ولا يستوفى من المتفوض أكثر من ذلك تأميناً لتقوية المتفوضين وقيامهم بما يلزم من الأعمال وطرق الإعمار. فتعطى ببدل العشر أثناء المزايدة، ولا يؤخذ غير ذلك

وأما أصحاب الديم وأصحاب الكرود فإن الأراضي تعطى لهم بعشرها، ولا يؤخذ منهم شيء وتسجل بأسمائهم كذا قيل وهي ليست جارية على ذلك في الغالب، وإنما يؤخذ في الغالب المقطوع من أصحاب الكرود ولعل هذا لم يجر تبعرف عنه ما ذكره صاحب (تبصرة عبرت)..

وأما الحالة في أراضي الهندية وأمثالها فقد قرر أن تبقى زراعتها بيد أهلها، وتقسم ما بينهم على حساب الدونم والجريب ببدل مناسب (طابو المثل) لا بطريق المزايدة، فتفوض كذلك، وفي السنة الأولى فوضت جملة أراض بهذا النمط، واستفاد المتفوض أمراً مهماً وهو أنه أسقط قسماً من الرسوم الأميرية وذلك أن مدحت باشا في الشهر الثاني من وروده إلى بغداد ذهب بنفسه إلى الهندية، فعلم أن زراعة هؤلاء خاصة بالأرز (الشلب)، وأن البذور كانت منهم، ومع هذا يؤدون للحكومة ٦٦ من مائة من الحاصلات باسم (ميري)، والباقي تؤخذ منه عوائد الشيوخ والرؤساء وكراء محل جمعها ووزانة، فلا يكاد يبقى لهم شيء، الأمر الذي يستدعي فقرهم دائماً، فيضطرون للعصيان، وغوائل الهندية تتوالى من جراء ذلك هذا ما استنقذه الوزير من المعلومات محلياً..

ومن ثم أنزل الحصة الأميرية إلى (٥٠) من مائة، وألغى الكثير من

العائدات الأخرى والمصاريف، ووعدهم أنه إذا رأى منهم استقامة وهدوءاً أنقص من الميري أكثر من ذلك وجعله ٤٠٪ وهكذا يمضي في التنزيل كما ينطق بذلك الأمر المعطى من مدحت باشا نفسه ويلاحظ أنه لم تمض مدة حتى ثارت ثائرة الدعارة، وأن الأهلين يبلغون في الهندية نحو خمسة عشر ألف مسلح وكان يؤمل أن يعاونوا أهل الدعارة ويظاهروهم، ولكنهم بقوا موالين للحكومة ولم ينحرفوا عن الطاعة وعزموا على تأدية الحصة الأميرية بكمال الاستقامة فأدوا في السنة التالية المطلوب منهم، وأن لو لم أنزل الحصة الأميرية إلى أقل ومع هذا كان الحاصل أكثر من السنين السابقة أو أنه كان أكثر من أي سنة مرت برخاء ووفرة حاصلات

جرى هذا التعويض في جملة أرض، وانتفعت الحكومة أكثر من مائة ألف ليرة فكانت منفعة زائدة حصل عليها مدحت باشا، وكان يخشى أن تتنزل الواردات بتنزيل مقدار الحصة الأميرية إلى (العشر) و (الخمس)، ولكن المحصولات كانت وافرة في تلك السنة، فسدت النقص، ولم يحصل فيها تبدل وكذا في السنة الأخرى تجاوز ذلك حدود السنة الماضية ومن ثم انتفعت خزانة الدولة من النقود دون أن يطرأ خلل في الميري..

وقد كانت إدارة الأراضي من جراء الرسوم الأميرية تجري بطريق (الأمانة) أي تقوم بها الحكومة رأساً ومباشرة، أو بطريق المقطوع (الالتزام) وهذه تعينت مضراتها فلا شك أن الأصول التي قام بها مدحت باشا تؤدي حتماً إلى الإعمار، وتكون العلاقة بالأراضي مكينة جداً ومن جهة أخرى يحصل الارتباط بالأرضين، وأن أصحاب الأراضي لا يقومون بثورات ضد الحكومة بعد أن يعلموا أنهم أصحاب أراض، فراد التوثق من أصحابها وصار انتفاعهم كبيراً، فذاقوا لذة التوطن والاستقرار . ومن ثم زالت غوائل كانت تتوالى دوماً

ومن ذلك كله نعلم ما قام به مدحت باشا وأنه ينوي توزيع الأراضي مثل الهندية وغيرها إلى زراعها باعتبار الجريب والدونم.

والملحوظ أن التفويض ولو بلا بدل كان نفعاً للحكومة من جراء تداول الأيدي، وتعدد المعاملات من انتقال وتفريغ ورهن وتأمينات. وأن إبقاء الأراضي أميرية صرفة لا منطق له، ولا قيمة في التدبير أو الاحتفاظ. فلا نعلم إصلاحاً لمدحت باشا في الأراضي إلا بمائدة حكومته، وإلا حدث الاضطراب المتوقع دوماً. وعلى هذا الأساس أصدر فرمان العقر، وحق القرار.

هذا. وأن حق القرار يفتح على الحكومة باباً يجعلها لا تستفيد من أرض. ولهذا أبطلت الدولة حق القرار في الأراضي، وأعلنت التفويض. ولكن هذه الفكرة لم تكن صحيحة، وأن التجارب أدت إلى بطلانها، فإن استفادة الدولة في التفريغ والتصرفات الأخرى من انتقال وغيره مهمة عدا كسب العلاقة بالأرضين. لا تريد أن تعطى حقًا من لسان غيره وتكتسب تدريجاً ما هو مقرر لها من الرسوم، وهو أضعاف ما أعطته.

وعلى كل حال كانت مضابط العقر قد جرت موافقة للقانون، ولا تزال مرعية في المحاكم، وتسمى (مضبط العقر) بـ (مضابط قوميسون الاعقار) وتعد من الحجج القانونية. والملحوظ أن العقر كان معلوماً قديماً، ولكنه خصص في المتعامل عليه من هذا النوع مما يؤخذ من الحاصل، وتاريخ تولده لم يكن أيام مدحت باشا، ولكنه كان معروفاً، محدد أمره. وألغي (حق القرار) من العراق مع أنه أمر قانوني من جراء تفويض الأراضي، وأن لا تحصل عرقلة بسببها. ولم يبق إلا في بعض المواطن (حق اللزمة).

سد النهروان

قام الوالي بهذا المشروع فعمل للنهروان سداً في نقطة (رلي) محل ملتقى النهروان بنهر ديالى، وكان معروفاً قديماً، فعمل له سداً، ولكنه لم ينجح، والمحل المقابل يعرف بـ (أبي عزّوج) وحال دون المشروع مواد السد وعدم صلاحها لمقاومة تيار المياه ومجاريها القوية

وفيات:

١ ـ محمد علي خان نواب توفي يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٨٧هـ وكان أحد نواب الهند المقيمين ببغداد، مرض قبل ستة أشهر فمات والمعروف أنه سيد ويعرف بسيد علي خان وهذا هو عم أحمد اغا ونادر آغا آل النواب كان أبوهما وزيراً في دولة (واجد علي شاه) في الهند في لكنهور وهذا الشاه ابن عم سراقبال الدولة ابن النواب شمس الدين حيدر بن سعادة علي خان أول من ورد بغداد من هؤلاء وله زوجة اسمها ثريا بيگم كانت حمية ومحبوبة للنواب سيد علي خان اشترى أملاكاً في رأس القرية وداراً في جانب الكرخ وكان يكره أولاد أخيه أحمد آغا النواب ونادر آغا لحد أنه رأى في نظارته أحمد آغا النواب فكسرها فلما سئل عن السبب قال رأيت فيها أحمد آغا النواب..!

ومما ينقل أن صفية خانم بنت المرقجي كان اسمها ليلوه فتزوجها وسماها بصفية خانم. وهذه كانت صغيرة فقالت إن هذه الدور ستكون لي ومن ثم صدقت كلمتها فصارت لها بعد أن تزوجت به ولما مات ترك زوجتيه المذكورتين وابناً من صفية صغيراً، فمات بعده. وكان أوصى لزوجته ثريا بكل ما عنده من نقود وأثاث ومجوهرات. وهذه تزوجها أحمد آغا بعد وفاة زوجها وانقضاء العدة. كانت ذهبت للزيارة، فسار إليها في الطريق في المحمودية، فتزوجها من ليلته، وأن أخاه نادر

آغا تزوج أيضاً صفية خانم وولدت منه آغا صادق وآغا تقي. ثم بعد وفاة بدر تزوج أحمد آغا صفية خانم حيما توفيت ثريا بيگم، وولد منها آغا تقي وآغا مصطفى. ولأحمد آغا زوجة أخرى هندية ولدت له سجاد علي خان وأحمد حسن خان.

ومما يحكى أن النواب أحمد آغا قد استولى على ثروة السيد علي خان، وأنه قدم فصًا للسيد حسين الحكاك من زمرد كان ختم السيد علي فيه فقال له حكّه، واكتب اسمي، فقال له اقلبه لئلا يضيع منه شيء، فقال امح اسم هذا النحس ولا يهم أن يحف الفصّ، فكانت هذه مثل قضية النظارة..

حوادث سنة ١٢٨٨هـ ـ ١٨٧١م

غلاء وموت:

من حوادث هذه السنة.

١ ـ غلاء.

٢ ـ موت.

فقد أصاب الناس فقيرهم وغنيهم شدة وطأة الغلاء والأمراض فكان الخطر محدق من كل صوب لا في هذه السنة وحدها بل كان في التي قبلها أيضاً[1]، ولم تنحل الغمة وإنما استمرت إلى السنة المقبلة وشق الأمر على الناس..

أحوال نجد
(فتح الاحساء)

من أعظم الحوادث في هذه السنة اضطراب الحالة وظهور الفتن

(١) مجموعة كربلاء

في نجد بين آل سعود بعد أن دبّت فيهم روح الحياة وانتعشوا في عهد فيصل بن تركي. وكان والده تركي بن عبد الله قد قتل على يد ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن بن سعود سنة ١٢٤٦ هـ[1]، فانتقم منه ابنه فيصل وقتله، فخلف والده تركياً، وفي سنة ١٢٥٤هـ ـ ١٨٣٨م سلم نفسه إلى القائد المصري خورشيد باشا فأخذه أسيراً إلى مصر ونصب مكانه خالداً من آل سعود فلم يذعن له الأهلون

بقي فيصل في الأسر مدة ثم أطلق سراحه وعاد إلى الحكم سنة ١٢٥٨هـ ـ ١٨٤٢م فاستعاد ملكه وقويت سلطته وحاول أن يعيد حكم آل سعود كما كان إبان السطوة الأولى.

وفي سنة ١٢٦٣هـ ـ ١٨٤٧م كان أعلن فيصل قدرته وأبدى سطوته بل قبل ذلك بمدة وصار يتغلب على نجد ويثبت قدمه فيها فرأت الدولة لزوم إرجاعه إلى الطاعة. وعدت ذلك من الأمور الضرورية فكتب السلطان إلى الشريف محمد بن عون شريف مكة يدعوه إلى الهدوء وأن لا يعكر صفو الراحة فذهب الشريف بنفسه إلى نجد ومعه العساكر النظامية فأبدى بها قوة وسطوة وأفهمه بوخامة العواقب فيما إذا أصر على المخالفة.

ومن ثم أرسل الأمير فيصل أخاه عبد الله بن تركي وسائر المشائخ في نجد إلى المعسكر السلطاني وطلب العفو وأعلن اسم السلطان في المساجد كافة في منابرها وخطبه. فزالت الغائلة بسلام دون وقوع معارك.

وعلى هذا أنعم السلطان على الشريف بوسام الوزارة وزاد في راتبه ومنح ابنيه الشريف عبد الله والشريف علياً رتباً[2]

---

(١) ورد في تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ سنة ١٢٤٩هـ سهواً فاقتضى تصحيحها هنا

(٢) تاريخ لطفي ج ٨ ص ١٤٨

أراد الأمير أن يصلح إدارته ويتم سلطته على أنحاء نجد. ولذا عدل عن التعرض إلى ما بيد الدولة فلا يكون سبب الحروب.

وفي سنة ١٢٨٢هـ توفي الأمير فيصل. وفي المصادر العراقية أنه توفي سنة ١٢٨٤هـ ولعله لم يرد الخبر إلى العراق إلا بعد أن حدث الانشقاق بين أولاده. وكان النشاط سائداً في أيام فيصل ودخلت الاحساء في حكمه. فلما مات تولد النزاع بين أولاده. وكانت الدولة العثمانية أيام مدحت باشا تسعى في تنظيم المداخل، والتأهب للاستفادة من الانشقاق الحاصل بين أمراء نجد للاستيلاء عليها والقضاء على إدارة آل سعود، فلا تترك البلاد وشأنها حتى يتغلب أحد المتخاصمين، بل لم تحرك ساكناً لولا أن التجأ إليها أحد المتنازعين.

كان مدحت باشا يرقب الحالة في نجد وصار يجهز جيشاً إلى الاحساء، ويحاول أن يجعلها تحت إدارة الدولة.

والأحساء كانت من أيام السلطان سليمان القانوني في يد الدولة وبقيت في إدارتها مدة. فصارت بيد بني خالد، فانتزعها آل سعود منهم ومر بنا ذكر ذلك في المجلدات السابقة.

ثم جرى على آل سعود ما جرى. كان قد هاجم إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر ربوع نجد، وخرب الدرعية، وضبط الأنحاء المجاورة لها ولم تستطع الدولة القيام بإدارتها لضعف مستمدها. ومن ثم دخل في طاعة الدولة الأمير فيصل، وبقي مسالماً لها منقاداً دام على الصفاء حتى توفي. وكان ابنه الأمير (محمد) حاكماً على المنطقة الشمالية وابنه الآخر (سعود) أميراً على الخرج والأفلاج، وابنه (عبد الله) أميراً في الرياض. وكان ولده الصغير الأمير (عبد الرحمن) بجانب أخيه الأمير عبد الله.

ومن ثم تولى الإمارة (عبد الله) إلا أن أخاه سعوداً عارضه

واستولى على الأحساء قبل أن يصل المدد لنصرة أمير الأحساء فأدى الأمر إلى أن نشبت معركة طاحنة بين الأخوين عام ١٢٨٨هـ ـ ١٨٧٠م وكانت خسارة الطرفين كبيرة لا سيما أضرار الأمير عبد الله

وحينئذ يئس الأمير عبد الله من النجاح فمال إلى الوزير مدحت باشا والي بغداد فأرسل معه جيشاً بقيادة نافذ باشا فاحتلها وصارت طعمة سائغة للدولة العثمانية. ورجع الأمير عبد الله بصفقة خاسرة ووقائع الأحساء ونجد متصلة بالعراق من تاريخ ظهور المبدأ الوهابي (عقيدة السلف) وتوالت الأحداث إلى أن تم الاستيلاء على الأحساء[1]

استفادة الدولة من النزاع فاستعانت بأحد الطرفين للتدخل في أمور الأحساء، فكان هذا الحادث قد وقع أيام مدحت باشا

قالوا: حاول سعود أن ينال إدارة نجد، فذهب إلى الهند، وبمعاونة من الانكليز قام الأمير عبد الله الفيصل في وجه أخيه سنة ١٢٨٦ هـ، فتغلب سعود عليه، وضبط الأحساء وما والاها، فتمكن جيشه في الهفوف والمبرز (الأحساء)، وفي القطيف، وفي المواطن الأخرى، وتوجه نحو الرياض. ولم نر ذكراً للإنكليز في المصادر السعودية عن هذه المعاونة. والظاهر أنها دعاية وتشنيع

وبقي عبد الله الفيصل بلا نصير، فكتب إلى مدحت باشا يطلب المساعدة، والأخبار الواردة تنبىء أن سعود الفيصل كان مدبراً وشجيعاً لا يوازيه أخوه

وفي الوقت نفسه كشف الوزير عن الحالة، وما يقتضي

---

(١) تقرير تاريخي في نجد وملحقاتها ص ١٧ مخطوط عندي نسخة منه بخطي. ولم أقف على اسم مؤلفه

لاستطلاعها مما جعل الأمر لازماً لوقوف التام، والتحقيق بخفاء عما تجب معرفته. ومن ثم قام الوزير بتجهيز خمسة أفواج من الفيلق السادس ومقداراً من المدفعيين والخيالة فرتب فرقة كاملة العدة بتجهيزاتها جعلها تحت قيادة الفريق نافذ باشا، وأعد سفن كثيرة لهذا الغرض، وتحركت من البصرة في أول سنة ١٢٨٧ هـ، ورافق هذه الحملة العسكرية منصور باشا، والسيد محمد سعيد نقيب البصرة، وأن الكويت تطوعت في الخدمة، ورافقت الجيش، وسارت الجيوش بأرزاقها في سفن تبلغ نحو ثمانين بين صغيرة وكبيرة، وكانت هذه بإمرة قائممقام الكويت (عبد الله الصباح) قام بإدارتها بنفسه، وتعهد بالخدمة مجاناً بلا مقابل

وهذه الفرقة سارت بحراً نحو رأس التنورة، فأنزلت ومن ثم سارت براً إلى القطيف، وكانت هناك قوة من سعود فلما أطلقت المدافع عليها لم تقو على المقاومة فتفرقت وانهزمت من خوفها، ودخلت الجيوش قصبة القطيف بلا عناء ولا كلفة في ٩ ربيع الأول سنة ١٢٨٨هـ ثم سارت إلى الهفوف والمبرز، وقبل الوصول إليها ترك أعوان ابن سعود هذه المواطن وفروا ومن ثم استولت الحكومة على الأحساء

وبذلك تم الغرض في قضية نجد بقوة عسكرية وسهولة، فبقي أمر آخر يهم الدولة هو دفع ابن سعود، والخلاص من أخطاره في المستقبل، وأن تكون البلاد بنجوة من تعرض الأحساء مادة ومعنى، فأراد الوزير تأمين ذلك فتأهب بنفسه وذهب إلى هناك لإكمال المهمة وفي تلك الأثناء ظهرت غائلة شمر فعاقته مدة وأخرت منهاجه

ومما قاله السيد أحمد الرشدي من علماء الكشمية من قصيدة في ذلك جاء تاريخها.

لقد جاء نصر الله يزهر بالفتح

١٢٨٨

ثم ذهب مدحت باشا إلى نجد وشكل إدارة فيها فجعلها لواء من ألوية العراق[1].

أعمال مدحت باشا

١ ـ حديقة المدينة: إن هذا الوزير قام بأعمال أخرى منها أنه اتخذ متنزهاً للعموم، وهي (حديقة النسية)، وكانت تسمى (بستان نجيب باشا) أو (المحسبة) ثم صار يقال لها (المجيدية) وشاعت كذلك على لسان الناس.

٢ ـ جلب مكائن للطحن وللأزر وللغزل والنسج[2]

إن الألبسة الجديدة لم يعد في الإمكان تداركها، والأعمال اليدوية لا تأتي بالحاجة ولم تكتف أمة من الأمم أن تتدارك احتياجاتها الكبيرة بمثل هذه. فاقتضى جلب معامل لعمل الألبسة والخيام وما ماثل من عدة (الطربوش). وذلك أن الجيش تكاثر، وصارت احتياجاته كثيرة، فقد كان موجود الفيلق أيام مدحت باشا سبعة آلاف جندي، وبسبب القرعة والمتطوعين تجاوز عدد الاثني عشر ألفاً فمثل هذا العدد لا يتيسر سد حاجته من طريق الأهلين وأعمالهم اليدوية، فصعب الأمر. فأسس معمل النسيج، فصار يعمل يومياً ٣٠٠ متر من الأقمشة الصوفية (الجوخ) و (٤٠٠) متر من القماش القطني السميك، ويسمى المعمل بالعباخانة كما أن المحلة يقال لها العباخانة وكذا كانت تسمى (القاطرخانة). وأما معمل الطحين فكان يعد يومياً ألفي قية من الدقيق ويحضرها. فجلب مدحت باشا معامل لهذه الغاية من أوروبا بقوة ٧٠ حصاناً بكافة ما تحتاجه من أدوات، أوصى إليها من فرنسا بألفي ليرة، وأرسل مهندساً يراقب العمل[3]

---

(١) التفصيل في تاريخ نجد وعلاقته بالعراق وقرة العين ومؤلفات عديدة

(٢) الزوراء عدد ١٤٥ و ٣٠ صفر سنة ١٢٨٨ هـ

(٣) الزوراء عدد ١٨ و ٦ رجب سنة ١٢٨٦ هـ

ولما كان ذلك قد صادف أيام الحرب بين فرنسا وألمانيا (حرب السبعين) تأخر أعمال تلك المعامل، فبقيت ضرورة إلى ما بعد انفصال مدحت باشا. ثم جاءت من طريق البصرة، ولكنها لم تجد لها رجلاً يتمكن من إشغالها لتقوم بالمهمة، وأهملت حتى أكلها الصدأ.

وفي أيام حسين نوري باشا حينما كان مشيراً للفيلق السادس جلبها إلى بغداد، واتخذ لها الأبنية، فصارت تشتغل. هذا ما علم من أمرها[1].

معاونية الوالي:

وجهت معاونية الولاية إلى شكر بك متصرف المركز، ووجهت متصرفية المركز إلى حسن بك. وهذه المعاونية لم تكن من التشكيلات الأصلية وإنما جعلت لمدحت باشا خاصة[2].

متصرف البصرة:

إن متصرف البصرة حسن بك قد استقال، وعين مكانه سعيد أفندي معاون متصرف الحلة[3].

حادثة شمر:

لا تزال هذه العشيرة تشق عصا الطاعة، فعظمت غائلتها بسبب رئيسها الشيخ عبد الكريم، وأما الرئيس الرسمي الشيخ فرحان فلم يتمكن من ضبطها[4]. وهؤلاء كانوا قد عاثوا في الأمس إبان عزم الوالي على الذهاب إلى البصرة ونجد.

---

(١) تبصرة عبرت ص ٩٥ وفيه عدد ذكرها في سنة ١٢٨٦ هـ إلا أن (تبصرة عبرت) أخر بحثها.

(٢) الزوراء عدد ١٩١ في ١٤ شعبان سنة ١٢٨٨ هـ

(٣) الزوراء عدد ١٥٧ في ١٢ ربيع الثاني ١٢٨٨ هـ

(٤) الزوراء عدد ١٦٢ في ١٩ رمضان ١٢٨٨ هـ

وجاء عن هذه الحادثة في (تبصرة عبرت):

«إن هؤلاء عاثوا بالأمن في المواطن المسماة بـ (الجزيرة) المعروفة بـ (بين النهرين) في المواطن بين حلب وأورفة وديار بكر والموصل، وخربوها، فصارت ميدان نهب وسلب يتجولون فيها كما شاؤوا.. ورئيسهم آنئذ الشيخ عبد الكريم، فهو شيخ مشايخهم، وقد اعتمد على قوة عشائره وشجاعتها وكثرتها كما أنه كان قد اكتسب وجهاً من الحكومة، فأغمضت العين عنه إلا أنه طمع فكان يحمل آراء غريبة وانصرفت آماله إلى أن يكون حاكم تلك الأصقاع

اتخذ واقعة الدعرة فرصة، فجاء إلى ما يقرب من بغداد بجيش عظيم من الخيالة، وصادف أن قد تمت العائلة، فرجع.. وفي هذه المرة رأى واقعة الأحساء، ووجد أن قد خلت البلاد من الجيش، فنهض بجيش كبير متكون من عشائره بين خيالة ومراديف، ويبلغون أكثر من ثلاثين ألفاً، فأول ما عمله أن هاجم نصرى في أورفة وسورك وماردين والموصل، فانتهبها وخربها، وقتل فيها الكثير من النفوس ثم هاجم بغداد بهجوم قاس من حيث لا يأمل الوزير

وهذا الحادث شغله، وصده عما كان ينويه من الأعمال نوعاً، فاقتضى أن ينصرف له، ويهتم به، ولم يكن يدور في الحسبان وقوعه مما دعا الوزير أن يأخذ له عدته وكان الشيخ عبد الكريم في أنحاء ديار بكر، وواليها آنئذ (قورت إسماعيل باشا) وهذا بدوره أراد أن يعقبه حتى الموصل، فتهيأ للحركة ضده، فكتب مدحت باشا برقية أن يلتحق بالمشار إليه فوجان من الجيش وتكون تحت قيادته ومن بغداد أيضاً قد أعد ما يلزم من جيش تحت قيادة الفريق أشرف باشا فجهزه الوزير، وسارت الجيوش على طول دجلة والفرات، وطريق شهرزور، واتخذت التدابير المقتضية، وسارع الوزير للحادث، وأعاره من الاهتمام ما يقتضي

فريق من شمر مضى إلى أنحاء بغداد، وآخر مضى إلى شهرزور وتحارب مع الكرد فانهزم، وفريق آخر مال إلى الشرقاط فهاجم إسماعيل باشا على حين غرة، وباغتهم على غفلة فنكّل بهم، وأما الفريق الآخر المتوجه نحو بغداد فقد وجد الجيوش متأهبة لحربه، وأن النقاط المهمة قد استولى الجيش عليها وأخذ مواقعه فيها فلم يجد ملجأً إلا الآبار في الجزيرة، وكانوا يعلمونها وكانت قد يبست فمات غالب هؤلاء عطشاً.

أما الشيخ عبد الكريم فإنه فر بمن بقي معه وهم نحو ألفي خيال فعبر الفرات وسار إلى جبل شمر، موطن أجدادهم الأصلي وحينئذ كتب مدحت باشا إلى ابن رشيد أن لا يؤويه، وهدده بكتاب منه أرسله إليه وكذا وجد الطريق قد سدت في وجهه سواء في الحلة أو في الفرات، ووجد الجيوش أمامه متأهبة لقتاله فلم يستطع أن يلجأ إلى محل ما من هذه فاضطر أن يسكن نجداً، ويتعيش بين عشائرها.

ولما مر من المنتفق ألقى القبض عليه ناصر باشا مجروحاً وسلمه إلى بغداد، ومن ثم شوهد أن ناصر باشا قام بخدمات عظيمة في هذا الباب، وأدى ما يجب وزيادة.

أجريت محاكمة الشيخ عبد الكريم علناً في بغداد لدى مجلس التمييز، فحكم بإعدامه، ولما كان من أصحاب الرتب أرسل الأعلام والمضبطة وقدما إلى الباب العالي، وبعد قليل أرسل الشيخ عبد الكريم إلى استنبول وفي الطريق أثناء وصوله إلى الموصل جاء الأمر بإعدامه فصلب في الموصل.

وفي الحروب قتل إخوته ممن على شاكلته، وكان للشيخ فرحان أخوه لم يقم بما يشوش الأمن، ويقلق الراحة، فاختير لرئاسة العشيرة فصار شيخ مشايخها وكان قد ذهب إلى استنبول، ودرس هناك

فعهدت إليه أمور العشائر والتفت حوله رجال عشيرته، وأمر أن يسكن عشائره، وأن يقوموا بزراعة الكرود، ويأخذ هو من حاصلاتها العشرية (٢٠) ألف قرش معاشاً مخصصاً له. وفي السنة الأولى شكل نحو (١٧٠) كرداً، ومن ثم تجمعت له العشائر التي تشتت فصار يدير شؤونها كرئيس عام، ولم يبق لها مجال للقيام بحركات غزو ونهب كالسابق، فاندفعت غائلتهم. ثم إن الحكومة استكثرت هذا المعاش فنزلته، وبعد ذلك قطعته، فعاد القوم لما كانوا ألفوه[1]..

حاكم المحمرة:

كان يقوم في هذه الأيام بمكر صمو الأمن[2]. وهو الشيخ جابر أمير قبائل كعب. ومر بنا ذكره.

عشيرة بني ويس:

مشغولة في أنحاء خانقين بالسرقات. ولا تزال إلى آخر العهد العثماني. ونعتها المنشي البغدادي في رحلته بهذا النعت[3].

مزبان شيخ بني لام:

كان يولد الشغب ليكون بنجوة من تسليم المبري[4]. وتكلمت على عشائر بني لام في المجلد الثالث من عشائر العراق.

متصرف المنتفق:

ناصر باشا نال رتبة روم ايلي بكلربكي (أمير أمراء الروم ايلي)

---

(١) تبصرة عبرت ص ١١٠ ـ ١١٣

(٢) الزوراء عدد ١٦٥ في ١١ جمادي الأولى سنة ١٢٨٨ هـ

(٣) رحلة المنشي البغدادي ص ٣٩ وعشائر العراق ج ٤

(٤) الزوراء عدد ١٩٠ في ١٠ شعبان سنة ١٢٨٨ هـ

وقائع:

للهماوند، والسحاوية وقائعهم لا تزال تذكر وهي نهب وسلب

مدحت باشا في البصرة ونجد:

ذهب الوالي إلى البصرة، وصل إليها في ٢١ شعبان سنة ١٢٨٨هـ، ومنها توجه إلى نجد، وفي ابتداء شهر رمضان وصل إلى القطيف، ومنه سار إلى الأحساء[1]، ثم عاد ووصل إلى البصرة، ومنها رجع إلى بغداد[2].

ومن ثم صار لواء (نجد) أحد ألوية العراق وتكونت فيه إدارة مدنية مؤلفة من متصرف وقائد هو نافذ باشا، وقائممقام قطر وهو جاسم الثاني، بقيت قطر كما كانت سابقة، وقائممقام المبرز وقائممقام القطيف[3]..

وفي الزوراء تفاصيل وقائع نجد المتوالية، وذكر المواقع التي مر فيها الجيش، وترى إيضاحاً عن العشائر الموالية والمعادية[4] فصلت ذلك في كتاب (نجد والعراق)

ولم يوافق الأمير عبد الله أن يكون متصرفاً وإنما أراد أن يكون أمره بيده. ولذا فإن مدحت باشا لما ورد الأحساء وجده قد ذهب إلى الرياض على حين غرة فكتب إليه كتاباً دعاه للحضور فلم يوافق. ونظر في القضايا والمشاكل التي حدثت بين الأهلين والحكومة فحلها بوجه

---

(١) الزوراء في ١٠ شعبان سنة ١٢٨٨ هـ

(٢) الزوراء بتاريخ ١٩ رمضان سنة ١٢٨٨ هـ

(٣) الزوراء بتاريخ ١٤ شوال سنة ١٢٨٨ هـ

(٤) الزوراء عدد ٢٠١، و ٢٠٥ و ٢٠٧، و ٢٠٩

لاقى أمام الوزير نحو ٤٠ يوماً ورجع وفي طريقه مر بالبحرين وشاهد أحوالها بنفسه وعاد إلى البصرة بعد أن أتم مهمته وكان ذلك قبل أن يفتح قنال السويس بنحو خمس سنوات.

ثم إن السلطان عبد العزيز قدم لمدحت باشا سيفاً مرصعاً لما أبداه من خدمات في قضية نجد ومدحه الشاعر المعروف السيد عبد الغفار الأخرس بقصيدة وردت في ديوانه مطلعها:

سعدت نجداً إذا وافيت نجدا

بقدوم منك إقبالاً وسعدا

إلى آخر ما قال وفيها يهنئه بالسيف المرصع الذي أنعم به عليه السلطان عبد العزيز[1] وكذا مدحه الأستاذ الشاعر محمد أمين العمري قال:

أيا والي الزوراء الذي لجلاله

جميع ولاة الأرض تدنو وتخضع

لك المنشآت العز في البحر إنها

تروح بنصر الله طوراً وترجع

أضفت إلى الزوراء نجداً بأسرها

ولا شك أن الفرع للأصل يتبع

ومن ظلم أهل البغي أنقذت أهلها

فأضحت بجنات العدالة ترتع

عليها جعلت الجند سوراً مشيداً

وحصناً حصيناً للمفاسد يمنع

فأنعم ظل الله سيفاً مجوهرا

عليك به أنف الشقاوة تجدع

---

(١) الطراز الأنفس في شعر الأخرس ص ١٢٥

فـأكـرم وصـن واسـفـع وضـرَّ فـإنـمـا
(يـرجّى الـفـتى كـيـمـا يـضـر ويـنـفـع)
وإنـي لأرجـو أن تـكـون ضـمـيـمـة
عـلـيـهـا بـلاد جـارهـا قـد تـمـنـع
لـقـد جـاء تـاريـخ لـعـكـري مـجـوهـر
كـسـيـفـك بـالـتـرصـيـع زاه مـصـنـع
وقـد حـدّ رأي الـسـفـي إذ قـيـل أرخـوا
أتـاك مـن الـخـاقـان سـيـف مـرصّـع (١)

١٢٨٨

ومدحه من لم أتمكن من معرفة اسمه. قال:

بـشـائـر الـفـتـح فـتـح تـجـدد
قـد أسـفـرت مـثـل ضـوء صـبـح
إذ جـهـز الـجـيـش حـيـن تـصـفـو
مـن أسـعـد شـائـع بـمـدح
أمـره نـافـذ جـلـيـل
حـربـنـا وسـعـود رمـح
والـي الـعـراق الـذي تـولـى
بـعـزمـه مـع حـسـام صـفـح
طـاعـت وحـوش الأعـراب صـبـر
لـعـزمـه بـعـد حـسـن نـصـح
بـطـل سـلـطـانـنـا الـمـعـلـى
سـامـي الـفـتـوحـات رب مـنـح
مـن الـعـزيـز الـفـتـاح وافـى
أرخـت هـذا عـزيـز فـتـح

١٢٨٨ هـ

(١) مجموعة محمد أمين العمري

محمد أمين العمري:

شاعر معروف، وأديب كامل، له شعر جيد منه في (حديقة الورود)، وترجمته في المسك الأذفر وفيه سلسلة نسبه وهو ابن يوسف العمري. أورد جملة من شعره. وتوفي في شوال سنة ١٢٨٨ هـ، ودفن في الشيخ عمر السهروردي في الجهة اليسرى للداخل في حجرة هناك. وكانت ولادته سنة ١٢٢٣هـ على ما ذكره ابنه ولم يقطع بذلك وربما قال أتذكر أني سمعت منه ذلك مرة. وابنه عبد الهادي باشا نال رتبة الفريق الأول الركني تقاعد سنة ١٣٣٢ هـ، واختار الإقامة باستنبول سنة ١٣٣٥هـ.

هذا ما قاله الأستاذ المرحوم الحاج علي الآلوسي في تعليقه على هامش شرح قصيدة مدح النبي الأشهب لعبد الباقي العمري والشرح للسيد أبي الثناء الآلوسي. وقد علمت من ابنه الأستاذ السيد سعاد العمري أنه توفي في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣٢م (ذي الحجة سنة ١٣٥٠هـ) وفي مجموعة خطية عندي للأستاذ المترجم (محمد أمين) أنه

«عانى الكتابة، فمهر في الإنشاء، وأقر له كتاب العرب والروم، وسحرت له المعاني المتعاصية على الأذهان. ومع هذا أبدع في النظم، وأكثر من مدح السيد محمود الآلوسي سواء في تقلده الإفتاء أو الحصول على رتبة. وللمترجم آثار كثيرة من النظم والنثر دونت في كتاب حديقة الورود، ونشوة الشمول ونزهة الدنيا

وكان قد طلب حسن زيور أفندي[1] العمري (والد صاحب الفخامة الأستاذ أرشد العمري) في كتاب له مؤرخ ١٥ كانون الثاني سنة ١٣٢١ رومية يسأل ابنه عبد الهادي باشا عن ترجمة والده فأجابه بعين ما ترجمه

---

(١) كان رئيس بلدية الموصل.

به الأستاذ الحاج علي علاء الدين الآلوسي

وخير ترجمة له أنه ربّى ابنه هدي باشا ومجموعته فيها نظم في مدح الوالي علي رضا باشا، والسيد محمود الآلوسي، وغالبه فيه، وله بعض الغزل وقصيدة في مدحت باشا

وفي هذه المجموعة جاء أن كاتب الديوان في بغداد عثمان سيمي كان قد ترجم قصيدة عبد الباقي العمري إلى التركية، فقرظها الأستاذ محمد أمين العمري بقصيدة وهي مذكورة في ديوان عبد الباقي العمري.

ورأيت له قصيدة في مدح محمد سعيد باشا والي الموصل آل ياسين أفندي المفتي، وفي المجموعة رسائل أخرى والمترجم كان كهية بغداد أو بالتعبير الأصح (باب العرب).

وهادي باشا كان في اليمن، وله بعض المذكرات عنها، وهناك حصل على تصاوير عن اليمن من أحد الألمان ولكنها لم توجد بين متروكاته، وله حوادث في اليمن أيام قيادته كما أنه نال الوزارة في الدولة العثمانية، درس العلوم العسكرية باللغة الألمانية فهو مطلع على اللغة الألمانية اطلاعاً وافياً، كما أنه عارف بالفرنسية

علمت ذلك من ابنه الأستاذ الصديق السيد سعاد العمري[1]

حوادث سنة ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢ م

عزل الوالي مدحت باشا:

انقضت السنة الماضية بجليل الأعمال، ولم يهدأ الوالي مدحت

(١) وللتفصيل عن حياة هادي باشا في كتاب (شخصيات عراقية) للأستاذ الفاضل خيري أمين العمري ص ٥٩

باشا كان لا يعرف للراحة طعماً، فهو في شغل دائب وفكر مستمر ولم تمض من هذه السنة إلا مدة شهرين حتى عزل في أوائل ربيع الأول سنة ١٢٨٩ هـ[1] ـ ١٨٧٢م في ٢٣ مايس وفي ٢٧ منه خرج من بغداد وذهب من طريق النهر والبحر إلى استنبول

وجاء في جريدة (الروضة) البغدادية أن مدحت باشا بقي في ولايته ثلاث سنين وواحداً وعشرين يوماً[2]

وفي برقية من الوالي اللاحق رؤوف باشا أنه في ١٠ مايس الرومي وصل إلى بغداد وباشر عمله وفي برقية أخرى جاء أنه نظر في الدور والتسليم، فلم يجد خللاً في الحساب بل انتظاماً وأنه أى الوالي السابق سوف يذهب غداً من طريق النهر إلى أرميت ومنها إلى استنبول أرسل البرقية في ١٣ مايس سنة ١٢٨٨ أي أنه ذهب من طريق البحر إلى استنبول في ١٤ مايس سنة ١٢٨٨ رومية

لم يجد خللاً في أعماله ولا ما يوجب مسؤولية في عمل وأن ماليته متقنة وأن رؤوف باشا أثنى عليه أو لم يجد ما يدعو إلى القول في أعماله بل هي متقنة سالمة

وجاء في تبصرة عبرت أنه خرج من بغداد في مايس سنة ١٢٨٨ وبهذا طويت صفحة أعماله من بغداد، كان يذكر فيشكر، نال مكانة مهمة فيها ولا تزال أخباره تدور على الألسن

مكانة الوزير وأثره

بعض الولاة لا يعرف تاريخ وروده، ولا وقت ذهابه، ضاعت عنا

(١) صوت صدر أعظملر ج ٢ ص ٣٢٤

(٢) روضه عدد ١٠ وفي ٨ شعبان سنة ١٣٢٧ هـ وهذه المجلة للأستاذ المرحوم عبد الحسين الأزري

أسماء الكثيرين منهم، ومنهم من لا نعرف أكثر من اسمه، فلم يعرف له عمل.. وما ذلك إلا لأنهم لم يقوموا بمهمة. وللبعض شغل مكاناً معروفاً، وأحدث دوياً حيثما حل، فكان عظيماً خلّد ذكراً مقبولاً وسمعة طيبة، وموقعاً لائقاً.

وهذا شأن وزير بغداد مدحت باشا، ولكنه لم يخل في وقت من طاعن به، أو مشنع عليه، متذمر منه. وإذا أضيف إلى ذلك جهل الناس في التقدير، علمنا درجة التأثير المتعاكس.

جاء هذا الوزير بغداد فوجدها صالحة لكل عمل، تستحق العناية من كل وجه، فصرف جهوده في إرضاء حكومته، وأن لا يقسو في الأهلين ويراعي التوجيه الصحيح. فقام بالمهمة خير قيام. ولكن رجال ذلك العهد وبينهم من لم يخرج من إسطنبول ولا يدري بما هنالك تأثر بالتضليل وحسب أن هذا الرجل لو بقي لفتح باباً كبيراً لا يسد، وفي ثلاث سنوات زاول مطاليب عديدة، وأنه في هذه سوف يكلف الدولة تكاليف كبيرة، أو على الأقل في مشاريعه سوف يمنع الحكومة من الاستفادة المالية، فتكون واردات العراق للمشاريع التي عزم أن يقوم بها. وكأن إدارة الدولة أشبه بمستعمر وقف يحاول صاحبه أن يقبض إجارته في أقرب ساعة، ولا يهمه ثبوره وهلاكه، ولا ينظر على تعميره لينال فائدة أكثر. ومن ثم رأى رجال الدولة بأن أعمال هذا الرجل سوف تحول دون الاستفادة والدولة دائماً في حاجة بل في نهم إلى المال، لا تريد أن تصرف فلساً، وربما كان همها أن تأخذ المالح، فتسد جشعها، أو تستخدمه بما حدث أو يحدث من عوائل، وكلها غوائل، ولم تخل في وقت من زعازع.

ومن ثم توالت عليه الاعتراضات، وأن بغداد مدحت باشا اتخذوا الوسائل لإقناع هؤلاء الرجال في أن أعماله سيئة. ولكنها لم تكن لتؤثر

هذه الأقوال على مركزه لولا وفاة الصدر الأعظم عالي باشا، ثم ولي الصدر الأعظم محمود نديم باشا فتغيرت الحالة، وصار يعتقد بصحة ما قيل في مدحت باشا، ومن ثم صار يطلب منه مطالب لم تكن في محلها، وصار يضيّق في طلب المبالغ أما مدحت باشا فإنه لما رأى هذه الحالة قدم دفاتر في الوارد والمصروف لمدة وزارته عن كل سنة وأرسلها إلى الباب العالي

وعلى كل حال اضطر الوزير للاستقالة لأن ذلك الوضع لا يتيسر به إدارة المملكة..

ومن ثم قبلت استقالته، وصار مكانه رؤوف باشا، فتوجه لمحل وظيفته على العجلة بمنصب و ب ومشير للفيلق السادس أما مدحت باشا فإنه خرج من بغداد بالوجه المذكور

ولا يزال العراقيون يذكرونه بالخير ويمدحونه، ولم تمض مدة حتى صار صدراً أعظم في جمادى الآخرة سنة ١٢٨٩ هـ

وصفوة القول أن مدحت باشا على قلة حكمه تمكن من إيجاد نظام وانتظام في القطر العراقي حد ولاة كثيرون لم يكن لهم شأن فقام بأعمال تدل على قدرة عظيمة، ومهارة وانتباه، وكانت إدارة البلدة شغله الشاغل، وأنها ملكت سمعه وبصره..

وحل ما نعلمه أنه ولد في صفر سنة ١٢٣٨هـ - ١٨٢٢م وتوفي في ١٨ رجب سنة ١٣٠١هـ - ١٨٨٤م وحياته الرسمية كلها زعازع ومصاعب، فلم يهدأ على حالة، قدومه أهل الشر ونال منهم معارضة قوية، فشوشوا عليه أمره وأذاعوا مفتريات كثيرة عنه. وأيامه في بغداد مقبولة محمودة لم يظهر من الولاة إلى إعلان الدستور من يوازيه في قدرته وحنكته وحسن إدارته

ترجمه ابنه (علي حيدر). وضع مذكراته ومدوناته بالاستناد إلى

الوثائق الرسمية والمسموعات من أدس لا يرتاب في صدقهم تجلّت قدرته وذاع صيته في حياته وعرف عنه شيء الكثير وفي كتاب خاص ذكرت (حياته في العراق) وما قام به من أعمال جملته في مجلد واحد ولعل الأيام تسمح بطبعه وأخباره مستقاة من جريدة الزوراء وغيرها عولت في تدوين هذا التاريخ كما رجعت إلى غيرها.

ومن الوثائق في ترجمته

١ ـ تبصرة عبرت. مذاكراته بالتركية

٢ ـ مرآت حيرت. في مذكراته أيضاً

نشرهما ولده علي حيدر وفيهما أعماله في بغداد نقلنا إلى اللغة العربية باسم (مذكرات مدحت باشا) وقد نشرت هذه بعد إعلان الدستور.

٣ تركيانك ماضيسي واستقبالي أي ماضي تركية ومستقبلها أصله مقال باللغة الإنكليزية نقله إلى التركية (ا ر) ونشره إبراهيم حلمي تجار زاده طبع في مطبعة أرتين اصادوريان باستنبول سنة ١٣٢٥ كما طبع في مطبعة السعادة سنة ١٣٢٤ رومية بعنوان (برسياسي داهيئك نطقي) كان مدحت باشا في حرب الروس سنة ١٢٩٣ في لندن فكتب هذا المقال. وهو مهم جداً في تلخيص حالة الدولة ووصفها تجاه الغربيين نظر نظرة عارف بصير بسياسة العصر وعلاقة الدولة العثمانية بها

بيّن أن الشرق مطمح الأنظار، وأن العصر يتمخض عن حوادث خارقة كان يتوقع أن تتولد أخطار منها على أمم كثيرة وتكلم على حالة العثمانيين في الماضي والحاضر، وأوضاع الشعوب، والسياسة المذهبية والاجتماعية فكانت نظرته حكيمة، وانتقاده قويماً ولعل فيه ما يعين نهجه السياسي، فجاءت مذكراته شارحة أو أمثلة تطبيقية كتب ذلك في مايس سنة ١٨٧٨م ـ جمادى الأولى سنة ١٢٩٤ هـ

وفي مقاله هذا يقول:

إن من ينتظر كل تشويش في الشرق من دول أوروبا ليتدخل، ويهدف أن تحل القضية حسب رغبته فهو واهم. فإن الدولة العثمانية متكونة من عناصر متباينة تفسر الحوادث طبق آمالها وأمانيها المتضادة كما أن تلقي الحوادث من هذه المنابع مبتورة قد يؤدي إلى التشويه، وفي هذا تضليل للرأي الأوروبي العام.

وهذا قطعي في حالات اجتماعية وسياسية ودينية مثل هذه قد تؤدي إلى الصيد في الماء العكر، أو توليد اضطراب فكان البحث من أوروبا في هذه الحوادث يستدعي التوثق من صحة الأخبار مجردة عن الأهواء وإلا كان البناء على ذلك يؤدي إلى أن يكون الحل مدخولاً وغير موثوق به بل يسوق إلى تهييج في المجتمع. فهل أن روسيا استعملت هذا؟ وهل الغرض منه الانتصار للنصرانية؟ وما هي آمالها؟

كل هذا يدعو إلى الرجعة التاريخية والالتفات إليها. ومنها نعلم آمالها ونعيه حروبها، وما أدت إليه من نتائج... فإن التشبيع في سبيل هذه المصالح بيان أن النصرانية مهانة. كل هذه وسائل لتبرير العمل لا غير.

وأوضح أن الإسلام دين الحرية والمساواة والعدل، وأن الدولة العثمانية لم تخرج عن هذه الخطة. ولا ينكر أن الدولة أصابها الوهن في القرن الثامن عشر والتاسع عشر إلا أنها أعلنت التنظيمات الخيرية وأنها سائرة في طريق الإصلاح إلا أن روسيا حانقة. تريد الانتقام. ولم تخل من تشويش أو حرب بين حين وآخر.

ولم تكن آمالها مصروفة لحماية النصارى بل إلى وحدة العنصر السلافي ليكون خطراً على العالم. ومن توقعت ذلك فلم ترد من تشبيعها إلا هذه. والآمال سياسية لا علاقة لها بالدين. وأن الدولة العثمانية ماضية

في طريق الأخذ بالديمقراطية سائرة في طريقها ... إلى آخر ما قال

٤ ـ وصية مدحت باشا. وهذه نشرها رشدي. وطبعت في مطبعة القدر بإستنبول سنة ١٣٢٥ وفيها بيان ما لقيه مدحت باشا من الدولة من مطاردة. ولزوجته كتب رسائل سابقة لهذه الوصية. وفيها حكى الآمه.

وكل هذه لا علاقة لها مباشرة بحوادث العراق ولكنها تعين عظمة الرجل. ولعل أعماله في العراق خير ترجمة له في توضيح مكانته في الإدارة إلا أنها تحتاج إلى توسع وتبسط لا مجال له هنا.

٥ ـ الزوراء. صحيفة يومية في بغداد دونت أعماله. وهذه تبصر بوصفه. وعلاقتها ببغداد ومدحت باشا أكيدة. فهي صفحة خالدة في حياته.

هذا، وأما المسموع المتداول فهو كثير. وأنما أوضحنا ما علمنا من مسموع ومنقول في (تاريخ مدحت باشا في العراق)

١

الأوضاع العامة
الدولة العثمانية

١ ـ الحكم المباشر:

إن الدولة حاولت محاولات عديدة للقضاء على إدارة المماليك فلم تنجح إلا سنة ١٢٤٧هـ ـ ١٨٣١م على يد علي رضا باشا اللاز. ومن ثم صارت تحكم العراق حكماً مباشراً. وكان الأهلون يأملون أن تكون الوطأة أخف فجرى عليهم التضييق فوق ما يتحملون فحصلت المشادة. ودامت بحيث صاروا يترحمون على إدارة المماليك ولكن لم يدم ذلك، فخففت الدولة من شدتها وغيرت سياستها، وأرادت أن يكون

العراق تابعاً لها في تشكيلاته وسائر أحواله، فكانت المصيبة أعظم، ومن هنا تولدت المشادة أكثر ودام الأمر إلى أواخر هذا العهد.

٢ ـ السلاطين في هذا العهد.

١ ـ السلطان محمود بن عبد الحميد الأول:

ولي السلطنة في ٤ جمادى الأولى سنة ١٢٢٣هـ ـ سنة ١٨٠٨م وتوفي في ١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٥٥هـ ـ ١٨٣٩م

٢ ـ السلطان عبد المجيد ابن السلطان محمود

توفي في ١٧ ذي القعدة سنة ١٢٧٧هـ ـ ١٨٦١م

٣ ـ السلطان عبد العزيز (أخو سابقه)

خلع في ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣هـ ـ ١٨٧٦م وتوفي بعد أشهر من تلك السنة.

٢

التشكيلات الإدارية

تتوضح أحوال الإدارة من حوادث أيام كل وزير أو والٍ ولم تعرف التشكيلات الإدارية بوجه عام وبصورة ثابتة إلا في وقت متأخر. وأول ما جرى سنة ١٢٦٥هـ ـ ١٨٤٨م تشكيل مجلس كبير في الولاية وأن (نظام إدارة الألوية) قد أحدث في ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨١هـ ـ ١٨٦٤م وتلاه (أيام مدحت باشا) نظام مؤرخ ٢٩ شوال سنة ١٢٨٧هـ ـ ١٨٧٠م وكانت المتصرفات يقال لها (قائممقامية) وتحولت في النظام الأخير إلى متصرفيات وباقي التشكيلات على حالها إلا أن للمتصرفين أحدثت معاونيات بدل (كهيات).

ويهمنا الكلام في عناصر الإدارة المهمة مما لها علاقة بالأهلين أكثر.

١ ـ الوزراء أو الولاة: (في بغداد)

الوزراء في بغداد ذكرت أوصف كل واحد منهم وما قيل فيه وهؤلاء يترتب عليهم أمر المملكة وبسببهم تمدح الدولة أو تذم وعندنا ليس لهم مقاييس ثابتة، ولا سياسة مستقرة أو مطردة من جراء أن سياسة الدولة متحولة ولم نجد منهم من كان يتصرف بقدرته وإرادته إلا ما قلّ رأينا أوضاعهم مضطربة ومن الصعب جداً أن نراها تابعة لنفسياتهم ومقدار ثقافتهم ودرجة اهتمامهم بالمصالح والمشاكل العامة، بل لا نشاهد إلا اليسير فهم (مسيرون لا مخيرون). يشتركون في اتباع عاصمة الدولة أو مراعاة سياستها كما شاءت، وتوعز إليهم بما طلبت وكل من أحدث خلاف المراد عجلوا بعزله وسوء الحادث إليه وباقي الأعمال تكون مقبولة أو مدخولة

ويهمنا أمر تصرفات الوزراء في متابعة الدولة والحركة طبق منهجها وهذه لم تنجح في غالب أحوالها وعندما تشعر الدولة بالخطر تعدل عن التطبيق وتعزل الوالي تبعاً لما كان حدث من أوضاع غير ملائمة وتنسب إليه الخرق في أمر آخر والمقصود عدم نجاح الخطة. وكل ما نعلمه أن الدولة لم تتمكن من تمهيد أغراضها إلا قليلاً كبعض الإمارات التي تيسر لها القضاء عليها، وسنقص عليها أمر المنتفق، أو التجنيد وأن نجاحها في القضاء على إمارة العمادية، وعلى إمارة الرواندزي، وعلى الجليليين مما أطمعها في (المنتفق)، وحط كل ترتيب عملته، أو أمر قامت به ومثله أمر (التجنيد) وهكذا حوادث (الالتزام).

مرّ بنا من الوقائع ما يصور الأحوال أكثر أرسلت الدولة أكابر رجالها للقيام بالمهمة فنجحت في بعض لما مهّدت في القضاء على (بابان) من معاهدة أرضروم (أرزن الروم) سنة ١٢٦٣ هـ وهكذا كانت ترتيباتها لا يستهان بها لا سيما في المنتفق وفي التجنيد فكان الخذلان

حليفها، وحبطت مساعيه. وإذا كان أحدى بعضها فالفشل كان ذريعاً جداً. وكلفها الأمر فنقبت عدة كبيراً ولم تساير الأمور بل وقفت في التيار فلحقها العناء وصارت تتراجع في الأكثر فتحسر الصفقة لما ترى من معاكسات. وخير رجالها مدحت باشا وهو آخر العهد وخاتمته وكان مطلع عهد جديد.

ومما شغل بالها حوادث ليريدية. وهؤلاء استعصت إمارتهم كما استعصت تلك الإمارات العربية. والإمارات أو المجموعات الكبيرة كانت الشغل الشاغل. والجهود المبذولة كلفتها أكثر مما استفادت لأمد قصير. وهنا لا نريد أن نعيد الحوادث المارة. وهذه النظرة تكفي للمعرفة العامة فأقف عندها. وليقس ما لم يقل.

وهذه قائمة بأسماء الولاة في بغداد:

١ ـ علي رضا باشا اللاز. (٨ ربيع الأول سنة ١٢٤٧ هـ) شعبان سنة ١٢٥٨ هـ)

٢ ـ محمد نجيب باشا. شعبان سنة ١٢٥٨ هـ. رجب سنة ١٢٦٥هـ.

٣ ـ عبد الكريم نادر باشا (عبدي باشا). رجب سنة ١٢٦٥ هـ. صفر سنة ١٢٦٧ هـ

٤ ـ محمد وجيه باشا (وجيهي باشا). صفر سنة ١٢٦٧ هـ. صفر سنة ١٢٦٨ هـ.

٥ ـ محمد نامق باشا الكبير. صفر سنة ١٢٦٨ هـ. ٢٩ شوال سنة ١٢٦٩ هـ

٦ ـ رشيد باشا الگورلگي. ٥ ربيع الأول سنة ١٢٦٩ هـ. فتوفي ٢٢ ذي الحجة سنة ١٢٧٣ هـ

٧ ـ عمر باشا السردار الأكرم. ٤ رجب سنة ١٢٧٤ هـ. ٢٧ صفر سنة ١٢٧٦ هـ.

٨ ـ مصطفى نوري باشا ١٣ شوال سنة ١٢٧٦ هـ ٢٢ شعبان سنة ١٢٧٧ هـ.

٩ أحمد توفيق باشا ٢٢ شعبان سنة ١٢٧٧ هـ ٢٥ ربيع الأول سنة ١٢٧٨ هـ

١٠ ـ محمد نامق باشا للمرة الثانية، ٢ شعبان سنة ١٢٧٨ هـ ١٣ ربيع الأول سنة ١٢٨٤ هـ.

١١ ـ تقي الدين باشا: ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٨٤ هـ ٢٠ المحرم سنة ١٢٨٦ هـ

١٢ ـ مدحت باشا: ١٨ المحرم سنة ١٢٨٦هـ ـ ١٨٦٩ م: أوائل ربيع الأول سنة ١٢٨٩هـ ـ ١٨٧٢م

٢ ـ معاون الوالي:

هذا المنصب محدث وكان يقوم بالمهمة (الكهية) أو (الكتخدا) وهو بمثابة معاون الوالي والتشكيلات الجديدة أطلقت عليه لفظ (معاون) ومن أعمال المعاون ما يصحح الوالي غلطه، كما أن الدولة تعمر ما خربه الولاة أو أحدثوه فولد نفرة الأهلين

٣ ـ المالية:

هذه قوام الحكومة ووسيلة حياتها ويقوم بأمرها دفتري تابع للوالي فإذا ضاقت كما في عهدنا لجأ الوزراء إلى المصادرات و الأضرار بالناس و تتخذ الطرق الرديئة لابتزاز الأموال وأكثر ما أضر بالحكومة الحرب للاستيلاء على بغداد، والوباء اللاحق، والغرق المدمر .

وفي خارج بغداد كانت الصلة مقطوعة، وأن العشائر اعتزت بمناعتها عن أداء الرسوم الأميرية وليس للحكومة قدرة على القيام

بمهمة جباية الأموال لحد أن الوزير قد يعوزه راتبه فيضطر إلى المصادرات والتضييقات على الأهلين وفي أيام مدحت باشا فوضت الأراضي الأميرية.

ومن الضرائب في هذا العهد:

(١) الالتزامات وهذه في أيام السلطان عبد المجيد قبل إعلان التنظيمات الخيرية منعت الزيادة في الالتزامات منعاً باتاً سنة ١٢٥٥ هـ ورفعت الإجحاف نوعاً

ثم أبطل الالتزام، وصارت الحكومة تقوم بإدارة الضرائب الأميرية اعتباراً من إعلان التنظيمات سنة ١٢٥٥هـ ١٨٣٩م والموظفون الذين يقومون بجباية الضرائب يقال لهم (محصلون)، وكان يقال لمن يتولى إدارة ذلك (المستوفي) ولكنه لم يستعمل في هذه الأيام

بقي الحال مدة قصيرة ولم يستمر. وإنما عاد الإعطاء للمقاطعات بالالتزام إذ لم يدم العمل بموجب التنظيمات وصارت بعض السنين تجبى الضرائب بطريق (الأمانة) أي تتولى الحكومة أمر الجباية وإن الموظفين الصغار يقال لهم (جباة)

ويغلب إعطاء المقاطعات بالالتزام وترك أمر إعطاء المدن بالالتزام ولم ينقطع الأمر حتى أعلن الدستور في العهد التالي

(٢) البيتية. ويقال لها (الخانة) وهي ضريبة تؤخذ على بيوت العشائر ولكنها في الغالب تؤخذ من البيوت في أطراف بغداد ولا تستطيع أن تأخذها من الأخريين إلا قليلاً في بعض الألوية التي لا تستطيع النهوض. ولا يعطى إلا القليل والاستفادة في الغالب للرؤساء

وفي المثل العامي (يقتل ويؤدي الخانة) أي يضرب ضرباً مبرحاً ثم يؤدي البيتية وهذه تحسب على الكل ثم توزع على الأغنياء والمتوسطي

الحالة ولا يؤخذ من الفقير وكان مقداره (١٥) قرشاً وهي من الضرائب المحدثة أيام العثمانيين والعشائر البعيدة لا تسلط للحكومة عليها ثم بلغت ثلاثمائة قرش وكان السادة لا يؤخذ منهم فصار يأخذها علي رضا باشا وردت في أيامه والشيخ يشترك الموظفين وهذه الضريبة تسمى (القمية) ثم صارت معتاداً (٥٠) قرشاً ومرة شامياً واحداً. وهكذا تحولت.

والظاهر أنها من وضع المماليك باسم (قلمية) وتخص الاحتشامات وقرا أولوس وقراعون ثم صارت بعد بعد (كتحد الوابين) يطلق عليها اسم الأقلام الثلاثة وسميت (أقلام العشائر) وورد ذكر ذلك في (التاريخ المجهول) وفي (سياحتنامة حدود)

(٣) الكودة. وهذه ضريبة على الأغنام والمواشي ولا تستطيع الحكومة أخذها إلا من العشائر الضعيفة ولم نجد أصل هذه التسمية فيما لدينا من المصادر لدى الترك أو الإيرانيين وإن تسميتها ـ كما يظهر ـ عربية والملحوظ أنها من كده يكوده تؤخذ قسراً من العشائر عرفت بـ (الكودة) ومنهم من يقول إن اللفظة تركية بمعنى (السوام) وهي ما يرعى من المواشي و (گودجي) بمعنى راع ولكن الترك لم يسموا هذه الضريبة بـ (كودة) ولعلها مغولية أو تركمانية وبقيت من تلك العهود ولكننا لم نجد لها أثراً

وهذه ضريبة معروفة من قديم الزمان تؤخذ على الغنم والإبل والبقر إلا أنها من جراء تكاثر الرسوم عليها وعلى البيعة وعلى الذبحية بالغوا في الاستيفاء والقسوة في أخذها

(٤) النقود دام الضرب للنقود في بغداد إلى سنة ١٢٦٢هـ وبمقادير محدودة وكانت هذه السنة آخر الضرب جاء في تاريخ لطفي أنه ضربت نقود نحاسية بسعر بارة واحدة، وبسعر خمس پارات وكان

أحمد آغا الجيبه جي (أمين دار الضرب) ويقال له (سكه أميني). وكان محل الضرب في السوق المسمى بـ (السكه خانه) أي دار الضرب تجاه (خان الأورتمه) من جانب السوق وقبل ذلك في أول دخول العثمانيين العراق في (القلعة)، ودامت دار الضرب هناك إلى ما بعد السلطان مراد الرابع.

وبعد سنة ١٢٦٢هـ لم تضرب النقود في بغداد لأن الدولة العثمانية اتخذت دار ضرب حديثة مجهزة بأحدث الآلات جلبتها من إنكلترا فلم تبق حاجة إلى ضرب نقود في بغداد ولكن الحاجة إليها لم تنقطع وحوادثها مرّت أيام مدحت باشا.

حاول هذا الوزير أن يجعل نقود الدولة هي السائدة، وأن يقضي على التلاعب الاقتصادي في أسعارها، وأن تحدد مشكلة النقود الإيرانية بتحديد سعرها فلم يفلح. وفي (كتاب النقود العراقية) أوضحت أوضاع هذه النقود والنقود الأجنبية

٤ ـ الجيش:

إن الجيش العراقي لا تزال أوضاعه تابعة إلى سابق العهد، والنظامي منه لم يتكامل بل رأى معارضات شديدة وحوادثه تعين الحالة ولا تزال الحكومة في حاجة إلى العشائر، وإلى الجچان وإلى الهايته و (الباشبوزوق). . للاستعانة بهم

والتجنيد في هذا العهد اكتسب شدة ونال اهتماماً كبيراً من الدولة إلا أن بدءه كان في أيام نامق باشا وأيام مدحت باشا ففي أيامهما لم يؤخذ من العشائر ولا من الأهلين بلا بطريق القرعة وتساهل عظيم حذراً من عود الغوائل. . .

ولعل السبب أن العراق لم يذعن للترك ولا يرغب في تقوية

تسلطهم عليه. وكان الناس يتخذون كل الوسائل للتهرب من الجندية.

وتشكلت في بغداد (المشيرية) وهي قيادة الجيش. وكانت تابعة في الأغلب للوالي تجتمع القوة العسكرية و الإدارة الملكية في شخص الوالي إلا أنها انفصلت أحياناً. وكانت الدولة توجس خيفة من الولاة وحوادث (تپه دلنلي علي باشا)، و (داود باشا)، و (محمد علي باشا والي مصر) لم يكونوا ببعيدين عن سمعنا

وفي الغالب تحدث منادة وتشوشات من أجل الجندية كما في (نامق باشا) و (وجيهي باشا) وأيام (مدحت باشا)، ومرّت بنا حوادثها

٥ ـ القضاء:

اختل أمره كثيراً وللولاة صلة بالقضاة أو سيطرة وربما استغلوا الولاة وبين هؤلاء قضاة أكابر وأول قاض بعد المماليك جاء به الوزير علي رضا باشا هو تقي الحلبي.

وأن التنظيمات الخيرية أثرت على القضاة وزاحمهم القضاة المدنيون ومن أهم من عرف حكام الجزاء، وحكام التجارة ثم تكاملت المؤسسات المدنية لما شوهد في القضاء من خلل سواء في نفسية القضاة أو في الأصول المتبعة.

وعد العهد أيام اضطراب ولم تنتظم أمور القضاء إلا في العهد التالي وقائمة القضاة متعينة في سجلات المحكمة الشرعية لهذا العهد

وأن التشكيلات المدنية في الأمور القضائية لا تزال في بدء التكوين وأنها ناقصة قطعاً. ولم تتكمل إلا بعد هذا العهد وكانت نواة أو بدء تشكيل ووضع قانون التجارة، وقانون الأراضي، ونظام الطابو ولكن لا تزال الإدارة القضائية مختلة.

تكلمنا على التنظيمات الخيرية وأنها لم تؤسس من حين إعلان الفرمان ولكن قررت الدولة الإصلاح وأتبعته بفرامين. وهذا احتاج إلى وقت طويل. والعراق لم ينل من هذا التجدد أو الإصلاح شيئاً في هذا العهد إلا بعض التشكيلات وما فيها من نقص. وتكلمنا في (تاريخ القضاء العراقي) ما يوضح الحالة. ولا محال للتفصيل.

٦ ـ المجلس الكبير:

تكوّن بعد إعلان التنظيمات الخيرية بكثير. وكان تشكيله في بغداد سنة ١٢٦٧هـ ولكنه لم يكن مستكمل الأوصاف. وإنما كانت سلطة الوالي مسيطرة. ويعوزه ثقافة الأعضاء. فهم في الغالب أشبه بالأميين ولذا نعته الأستاذ أبو الثناء بما نعته، فعيّن حالته بل ذمّ الشورى من أجله لما احتوى من عناصر

والشورى أو الحكم الديمقراطي لا يذم لذاته. وإنما يندد به للوسائل المتخذة للتوصل إلى ترتيبه بانتخاب جهال أو موافقين لرغبة الإدارة وما إلى ذلك وكان تشكيله عندنا بعد إعلان التنظيمات بمدة أي في رمضان سنة ١٢٦٧هـ ـ ١٨٥٠م وهكذا لم ينتظم أمره مدة. وكان مقدمة افتتاح (مجلس الأمة) ويأتي الكلام عليه

٧ ـ العشائر:

ألصق بالإدارة للعلاقة ولكنها أكثر استعصاءً عليها. والسياسة العشائرية من أصعب ما يزاول الإداري وقد مرّ بنا ذكر عشائر كثيرة. وربما كانت أكثر من العشائر الأخرى المبينة في المجلدات السابقة. وما ذلك إلا لتوضح العلاقة بالدولة وبالحكومة وظهور قوتها. والعشائر مبسوطة في كتاب (عشائر العراق)

ومن أشهر من تردد اسمها في هذا التاريخ المنتفق، والخزاعل،

وكعب، وربيد، وبنو لام، وربيعة، و لعيد، وعشائر عربية عديدة. وأما الكردية مثل الهماوند والأورامان، والسنجوبين، والفيلية، والجاف فهذه مرّت. . .

(١) المنتفق:

حاولت الدولة القضاء على إمارتها فلم تطق ذلك. وكانت استغلت الخلاف بين أمرائها فتدخلت في (الالتزام) وكان مقطوعاً فصارت تزيد فيه كل ثلاث سنوات وتقتطع من أراضيها وعشائرها قسماً فتلحقه بما تحت سلطتها وأقرب إليها من الوية لما أوجدت من خلاف بين الرؤساء.

وأن صكوك الالتزام ومقاديره و بكثير من حوادث المنتفق مبينة في كتاب (مباحث عراقية) للأستاذ يعقوب سركيس في مجلديه المنتشرين الأول والثاني. وكذا في مقالاته في لغة العرب وفي رسالتي الأستاذ سليمان فائق ومصادر تاريخية أخرى عديدة مما تكلمنا عليه في صفحات سبقت

ومن هذه نعلم وجوه تدخل الدولة في القضاء على إمارة المنتفق والطرق التي مارستها، ولكنها لم تقض على الإمارة إلا بعد هذا العهد ويأتي بيانه في حينه. ولكنها خطت خطوة وهي تأسيس بلدة (الناصرية)، وأن المقتطعات لم تعد إلى المنتفق جميعها وعشائر المنتفق أوضحت عنها في المجلد الرابع من عشائر العراق. هذا، وتكونت (الشطرة) في هذا العهد وجاء التوضيح عنها فيما كتب الأستاذ يعقوب سركيس.

(٢) العشائر الأخرى:

وهذه منها عشائر ربيعة، وعشائر كعب، والعشائر الطائية منها ما ذكرت (السياسة العشائرية) فيها في عشائر العراق المجلد الثالث ومنها ما أتناوله في المجلد الرابع.

ومرّ بنا ذكر عشائر عديدة مما لها علاقة ظاهرة بهذا العهد سواء كانت عراقية أو أنها من العشائر المجاورة فأحدثت بعض المشاكل.. كما يفهم من حوادثها.

وفي هذا العهد حاولت الدولة إسكان بعض القبائل الكردية مثل الجاف فلم تفلح كما أن خير طريق لإسكان العشائر تفويض الأراضي إليهم كما في أيام مدحت باشا في أنحاء (الهندية) ولكن لم يتم ذلك في الأنحاء الأخرى.

٨ ـ خلاصة في التشكيلات الإدارية:

هذا ما يلخص الحالة في التشكيلات، وأكبر شخصية فيها الوالي والحوادث المارة مما يعين الأوضاع. وللوالي (قائممقام) ينوب عنه عند غيابه لمهمات خارج بغداد. ثم حدث منصب (معاون الوالي)، فصار يقوم بالمهمة.

والمتصرفيات مصغرة من إدارة الولاة. وهكذا (القائممقاميات) مصغرة من المتصرفيات في قلة تشكيلاتها. وكان للولاة من التشكيلات منصب (باب العرب) للتفاهم مع العشائر. وهو بمقام (مدير عشائر عام). وكثير من الحوادث نصرت بمناصب أخرى مثل (كاتب الديوان) أو منصب (رئاسة الكتاب) ثم صار (المكتوبي). ومثل منصب (المصرف) أو ما يقال لإدارته (مصرفخانه) من فروع المالية. وللجباية موظفون وللإدارة موظفون تالون.

أما الموصل فإنها تختص بولاة. وبينهم وزراء ولكن التشكيلات بمقياس أقل. وفي الغالب جرت على عهودها السالفة إلى ما بعد التنظيمات بمدة. وراعت القرعة أي التجنيد وجرت عليها قبل بغداد بكثير. ومثلها البصرة ولكن تشكيلات الموصل أكمل. وكذا الألوية الأخرى مثل كركوك، والسليمانية بعد أن تكونت منها ألوية خاصة بها

٣

الإمارات المنقرضة

١ ـ إمارة الجليليين في الموصل. أبعدتهم الدولة عن إمارة الموصل. وكان آخرهم الوزير يحيى باشا نحته الدولة سنة ١٢٥٠هـ ـ ١٨٣٤م ولم يعودوا إليها.

٢ ـ إمارة رواندز. انقرضت سنة ١٢٥٢ هـ.

٣ ـ إمارة بهديان. وكان القضاء عليها سنة ١٢٥٢ هـ.

٤ ـ إمارة بابان. قضي عليها سنة ١٢٦٧ هـ، فلم يعودوا إليها.

وهذه الإمارات لم تنازع بعدها ولم تسع لاستعادة ما كانت عليه إذ ليس لها قوة أو قدرة للقيام بأمر كهذا ولكن الدولة قرّبت إليها (إمارة الجاف) بأمل قطع دابر (إمارة بابان) فكادت تحلّ محلها إلا أنها عاشت مع الحكومة على الوئام والألفة في حين أن قوة بابان كانت بهذه العشائر وأمثالها...

٤

الثقافة

يعدّ بحق هذا العهد عهد إغفال الثقافة وإهمال أمرها. ولكنها جرت على ما كانت عليه في عهد المماليك. المدارس معمورة، والمدرسون من بقايا ذلك العهد، فلم تتضعضع. وهكذا المثقفون كانوا من تلك البقايا. قاموا بالمهمة. وبهؤلاء ظهر العهد وإن كان ليس للدولة يد في الإيجاد ولا في التغذية العلمية. نهضوا بما لديهم من علم وأدب. وربما كانت المساعي مكينة في إحباط ما يبذل في العلم وتقويته فاختل الأمر.

وعلماء هذه الحقبة:

١ ـ آل الطبقچه لي ومنهم محمد سعيد المفتي، وأسعد، ومحمد... وهذا الأخير صاحب مدرسة معروفة بـ (مدرسة الطبقچه لي) وكان فيها (خزانة كتب) مهمة، ولكنها تبعثرت

٢ ـ عبد الغني بن محمد جميل بن عبد الجليل المفتي. وكان أديباً وعالماً. ولي إفتاء بغداد بعد محمد سعيد الطبقچه لي. وآل جميل معروفون. و (كتاب الروض الجميل) يعين ما قيل فيهم من شعر ويعرف إخوانهم بـ (آل جميل) تغلباً. وهم أولاد عبد الجليل.

٣ ـ أبو الثناء الآلوسي ترجمه صاحب (حديقة الورود) في حياته وكان مفتياً ببغداد مدة طويلة وله مؤلفات نافعة ومهمة من أجلها تفسيره روح المعاني. وكان يعدّ شيخ الأدباء ومرجع العلماء فهو رأس (مشيخة) أو كما نقول (مدرسة). التف حوله جمع من الأدباء وأخذ عنه لفيف من العلماء مشهد لذلك إجازاته و (آل الآلوسي) اشتهر كثيرون منهم بالعلوم والآداب.

٤ ـ محمد أمين الزند ولي الإفتاء بعد أبي الثناء. ثم صار (كهية) فعرف بالكهية ولازمه هذا الوصف. وعرفت أسرته بـ (آل محمد أمين الكهية). وقفت أسرته داره فجعلتها جامعاً يسمى بـ (جامع الكهية)، وكتبه (خزانة كتب) عظيمة في غزارة مادتها وجليل آثارها.

٥ ـ محمد فيضي الزهاوي ولي الإفتاء بعد الأستاذ محمد أمين الزند (الكهية). وبقي حياً إلى ما بعد هذا العهد. و (آل الزهاوي) أولاده وأحفاده فتكوّن منهم (البيت الزهاوي).

٦ ـ آل الحيدري. عرف منهم في هذا العهد (صبغة الله الحيدري) الثاني. وكان مفتي الشافعية في بغداد وله (المسائل الإيقانية في الأجوبة على الأسئلة الإيرانية) عندي مخطوطته. وهو أجوبة على الأسئلة

الإيرانية. وتوفي في ١٢ ربيع الأول سنة ١٢٧٩ هـ وابنه إبراهيم فصيح الحيدري عالم ومؤرخ وأديب. ومؤلفاته كثيرة من أهمها (عنوان المجد في تاريخ بغداد والبصرة ونجد). و (المجد التالد في مناقب الشيخ خالد) وكتب كثيرة. وتوفي في ٥ صفر سنة ١٣٠٠هـ ـ ١٨٨٣م. ومنهم محمد أمين بن عبيد الله الحيدري توفي في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٧٩ هـ.

٧ ـ عيسى صفاء الدين البندنيجي. عالم ومؤرخ وله معرفة كاملة باللغة التركية وصاحب مؤلفات عديدة من أجلها (كتاب أولياء بغداد) نقله من التركية والأصل لمرتضى آل نظمي عندي مخطوطة منه كتبت في حياة المترجم وتوفي في ١٧ رجب سنة ١٢٨٣هـ ـ ١٨٦٧م.

٨ ـ آل الشواف. منهم عبد الرزاق الشواف وعبد العزيز الشواف وهذا الأخير من أساتذة أبي الثناء الآلوسي عاش في عهد المماليك. وتلاهما جماعة من آل الشواف

٩ ـ عبد الفتاح الشواف. من فرع آخر من آل الشواف وهو صاحب (حديقة الورود) أديب كمن مات في مقتبل العمر وترك أثراً خالداً. وهو الحديقة. ترجم بها أستاذه أبا الثناء الآلوسي وذكر علاقاته بمعاصريه وبين الأدب العربي في أيامه زيادة على ترجمته فأظهر قدرة كبيرة، وصار صفحة مجيدة في الشعر والنثر. وأخوه العلامة (عبد السلام الشواف) اختصر الحديقة وعاش إلى ما بعد هذا العهد. ومن عقبه الأساتذة محمود عزت ومصطفى عزت. ولدهما عزت ابن الأستاذ عبد السلام.

١٠ ـ آل الواعظ. هم آل الأدهمي تغلب عليهم نعت الوعظ. ومن أجل من ظهر منهم في هذا العهد محمد أمين الواعظ كان عالماً جليلاً وأديباً وخطاطاً معروفاً وآل الواعظ توالى فيهم العلم. وكتب

السيد مصطفى الواعظ ابن الأستاذ محمد أمين كتاباً في أسرتهم علق عليه صديقنا الأستاذ إبراهيم الواعظ ابن المؤلف ونشره فكان صفحة وافية في التعريف بهذه الأسرة وعندي مخطوطة أصلية من هذا الكتاب وهو (الروض الأزهر في آل جعفر)

١١ ـ آل الراوي. اشتهر منهم في هذا العهد السيد محمد ابن السيد حسين آل عبد اللطيف الراوي وكان عالماً فقيهاً ولي التدريس في مدرسة مرجان مدة. فهو من العلماء البارزين ومن ذريته الأساتذة محمد سعيد وأحمد ابنا السيد عبد الغني ابن السيد محمد المذكور والتفصيل في التاريخ العلمي.

١٢ ـ آل الروزبهاني منهم محمود الروزبهاني توفي في ١٧ جمادى الأولى سنة ١٢٦٩ هـ وابنه عبد الرحمن الروزبهاني توفي في المحرم سنة ١٢٧٠ هـ.

١٣ ـ الحاج رسول الكردي توفي في ١٢ رجب سنة ١٢٧٦ هـ

١٤ ـ السيد أحمد الموالي خطيب الأعظمية توفي في ١٦ رجب سنة ١٢٧٦ هـ.

وظهر علماء كثيرون ولكنهم لم يشتهروا اشتهار هؤلاء وفي الموصل والبصرة والنجف ظهر علماء آخرون.

وفي العراق حدث ما حدث من انقراض المماليك، ومن طاعون كاد يبيد معالم العلم وكان هؤلاء من بقاياهم إلا أن المأمول في الدولة أن تنهج بالعراق نهجاً جديداً لتحبب نفسها وتؤسس مؤسسات نافعة استفادة من الإصلاحات التي عزمت على مراعاتها في فرمان التنظيمات الخيرية المعروف بـ (خط كلخانه) فلم تفعل

ولكنها أخطأت المرمى بل لم تقدر أن تؤسس مؤسسات قويمة

وصالحة في أصل مملكتها أو في عاصمة دولتها، فبقي العراق محروماً من التجدد العالمي واقتباس الحضارة، وأن فتح قنال السويس لم يجعل للعراق علاقة بثقافة وإنما اقتصر على التجارة. ولولا اتصال العراق بالهند وبمصر وبإيران والمملكة التركية والبلاد العربية الأخرى لبقي على خموله وجفوته أو أنه اقتصر أمر الثقافة فيه على مدارسه وخزائن كتبه.

ومن أدباء هذا العهد جماعة حاء نظمهم ونثرهم صفحة كاشفة عن الأدب العربي. ومن أدباء العرب في العراق في هذه الحقبة

١ ـ محمد أسعد ابن النائب

٢ ـ عمر رمضان

٣ ـ عبد الباقي العمري

٤ ـ قاسم الحمدي

٥ ـ محمد أمين العمري الكهية

٦ ـ عبد الغفار الأخرس

٧ ـ الشيخ صالح التميمي

٨ ـ عبد الحسين محيي الدين.

٩ ـ قاسم الهر.

١٠ ـ محمود أبو الثناء الألوسي

١١ ـ عبد الغني آل جميل

اشتهر هؤلاء بالشعر. ومن الأدباء الناثرين أبو الثناء، وعبد الفتاح الشواف وجماعة ممن سنوضحه في التاريخ الأدبي وتعيين النثر الفني

وأدباؤنا لم يظهروا تجدداً كبيراً في الشعر وإن كانوا نشروا بعض

المقطوعات والقصائد الأدبية المهمة في جرائد أستنبول مثل الجوائب وكنز الرغائب فهذه نشرت الكثير من شعر العراقيين. ولم يظهر فيه ما يتعلق بالمطالب القومية أو الوطنية وما شابه من الأغراض الاجتماعية إلا قليلاً رأيناه في شعر عبد الغني جميل، وشر الآلوسي وآخرين يعدون على الأصابع.

والتكايا والطرق اشتهرت بكثرتها في هذا العهد، ونشطت منها الطريقة (النقشبدية) وكادت تتغلب على الطرق الأخرى ولكن قطع الأمل من عودة نشاطها كما ظهر الخلل في صفوف النقشبندية. وكانت تتميز في أنها تحث على العلم والأخذ به إلا أنها لم تتمكن أن تستعيد القوة. وأكبر نشاط لها في ربوع الكرد تكاثرت تكاياها... وكادت تتغلب على المساجد.

ومن مشاهير هذه الطريقة

عثمان طويلة.

وعبد الفتاح العقراوي

وإسماعيل البرزنجي. وتوفي ٥ شوال سنة ١٢٧٩ هـ.

والسيد طه الكيلاني وعنه أخذ البارزانيون الطريقة

ولا تنكر خدمات هذه الطريقة للثقافة.

وربحنا الثقافي لهذا العهد أن نحتفظ بما عندنا من تراث علمي ومعرفة أدبية، فرعينا المدارس العلمية وخزائن الكتب ولم تنشأ عندنا المدارس الجديدة إلا المدرسة الرشدية كانت في آخر هذا العهد، ولم نشاهد إلا مدرسة اليانس الإفرنسية تأسست سنة ١٢٨١هـ - ١٨٦٥م وكانت فائدتها محدودة في بادىء أمرها إذ إنها لم تدرس إلا الفرنسية فاقتصرت عليها وبعض المدارس الدينية في الكنائس لم تعمّ المعرفة فيها.

ومرّ بنا تاريخ تأسيس المدرسة الرشدية. ولم تظهر إلا في آخر هذا العهد وكانت بوضع ضعيف جداً. وكان تأسيس أمثالها في الدولة سنة ١٢٦٢هـ ومن ثم يعرف أنها عندنا متأخرة جداً. ولم تظهر المدارس المهمة والمنظمة إلا بعد إعلان الدستور.

وكان العراق متأهباً للمعرفة الجديدة مترقباً لتطورها من أيام أبي الثناء الآلوسي فحالت دون ذلك حوائل كما لقيت معارضة من آخرين. وهذا الاحتكاك في الآراء مما نبّه إلى العلوم الفلكية والطبيعية وأمثالهما والتعصيل في التاريخ العلمي.

■

العلاقات بالمجاورين

وهذه تهمنا أكثر من غيرها للصلات المباشرة نريد أن نتوسع فيها بقدر ما نتمكن. ولعل في الحوادث المارة ما يوضح...

١ ـ العلاقات بإيران:

كانت الدولة القجرية على وفاق مع الدولة العثمانية من تاريخ عقد معاهدة سنة ١٢٣٨ هـ، وسنة ١٢٤٥ هـ وفي هذا العهد عقدت معاهدة أرضروم سنة ١٢٦٣هـ وتوالت الإلفة بين الدولتين وزار ناصر الدين شاه مشاهد الأئمة في العراق فتوثقت الصلة والتقريب.

وهذه قائمة بأسماء شاهات القجرية:

١ ـ فتح علي شاه. توفي في جمادى الثانية سنة ١٢٥٠هـ ـ ١٨٣٤م وعندنا تداول من نقوده ما يسمى بـ (لفّه) وهي مخفّف (فتح علي شاه) وكذا (القران) وهو مخفّف (صاحبقران) فشاع نقده بـ (قران). وكان ضربه في السنة الثالثة من حكمه.

٢ ـ محمد شاه ابن عباس ميرزا المتوفى في حياة والده ابن فتح

علي شاه، خلفه، وكان ولي العهد وتوفي سنة ١٢٦٤هـ ـ ١٨٤٧م.

٣ ـ ناصر الدين شاه ابن محمد شاه، توفي ١٧ ذي القعدة سنة ١٣١٣هـ ـ ١٨٩٦م.

ملّ هؤلاء الحروب كما مل العثمانيون فركنوا إلى المصافاة حباً في الطمأنينة والراحة للنظر في الشؤون الداخلية.

٢ ـ العلاقات بإمارة ابن سعود:

هذه الإمارة شغلت الدولة العثمانية في حروبها في الحجاز وفي العراق وأكبر قوة لها مناصرتها لمذهب الوهابي (مذهب السلف) وهو معتقد الشعب. وكاد قضى عليه والي مصر تنفيذاً لأمر السلطان محمود إلا أن أرباب هذه العقيدة كانوا يميلون إليها ويحبونها حباً جماً، فاستعادت بعض سلطتها من طريق الدين فتوسعت. ولكنها حاولت أن تمس بلاد الدولة فحصل التصادم معها فكفت يدها والدولة العثمانية كانت في ريب من أمر هذه الإمارة تتوجس خيفة منها أن تعود إلى سلطتها الأولى. ومن أشهر أمرائها في هذا العهد (فيصل بن تركي) ولي الإمارة بعد والده سنة ١٢٤٦ هـ وبعد ذلك أسر ثم استعاد قوته بعد العفو عنه وحاول الاستيلاء على جميع ما كان في سلطة آبائه وأجداده ولكن الدولة هددته ومن ثم رأى أن لا نتيجة وراء النضال. وأن اهتمامه بإصلاح داخله أكبر وأعظم

وبوفاته سنة ١٢٨٢هـ حدث نزاع بين أولاده على الإمارة، فاستغلت الدولة الحادث، كما استغل ابن الرشيد ذلك ومن ثم ركن الأمير عبد الله بن فيصل إلى العراق، فكانت العاقبة أن استولى مدحت باشا على الأحساء وجارها لدولته، فطمعت فيها، وبقي أولاد فيصل مبعثرين.

ولولا مناصرة الشعب لهذه الإمارة وتصاله بعقيدتها لما دام لها حكم لا سيما وقد نهض ابن الرشيد للقضاء عليها عدم يفلح للسبب عينه.

وهذه قائمة أمرائهم:

١ ـ تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود. توفي سنة ١٢٤٦هـ ـ ١٨٣٠م.

٢ ـ فيصل بن تركي. توفي سنة ١٢٨٢هـ ـ ١٨٦٥م.

٣ ـ سعود بن فيصل. توفي سنة ١٢٩٢هـ ـ ١٨٧٥م.

٤ ـ عبد الله بن فيصل وهو الذي استعان بالدولة العثمانية وتوفي سنة ١٣٠٧هـ ـ ١٨٨٩م.

٥ ـ محمد بن فيصل بقي تحت سلطة ابن رشيد إلى أن توفي

وهؤلاء داموا في نضال فيما بينهم وإدارتهم متعثرة

٦ ـ عبد الرحمن بن فيصل هلك إخوته وبقي متحيراً مدة يلتمس الملك المغصوب ويترقب الفرص ليعود إلى الإمارة.

يدعم هؤلاء الشعب يميل إليهم ينتظر ظهور زعيم منهم، ويودّ أن يعود لهم الحكم ليناصره بلا قيد ولا شرط لما منّ من الفتن فكان هذا نصيب (عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل) وصل إليه الحكم بعد جدال عنيف وجهود عظيمة ومخاطرات ومحاربات فلم يترك اليقظة ولا الانتباه حتى نال مقصوده وظفر مما هو موضوع عهد تال

٦

العلاقات بالأجانب

كانت هذه محدودة قبل فتح قنال السويس. ومع هذا كانت

العلاقات مشهودة ومقررة في معاهدات. فإن قناصل الإنكليز، وقناصل فرنسا لا يزالون يتوالون. وكان يسمى القنصل بالمقيم (رزدنت)، و (باليوز) وهذا اللفظ إيطالي وشاع عندنا[1]، ثم تكونت القنصليات أو تحول اسمها إلى قنصلية وشاع كذلك في هذا العهد

ويصعب بيان العلاقات. فإنها كانت ضيقة إلا أن الإنكليز تعهدوا سير البواخر، والاتصال بالهند بخطوط البرق، وبعض الخصوصات وكانت تجري بهدوء وللقنصليات اتصال بالحفريات أيضاً.

والعلاقات بالدولة العثمانية بواسطة سفراء قديمة. مرّ بنا في المجلدات الأولى للعهد العثماني بيان بعض المعاهدات. وهي خير ما يعين الصلات، وهذه تخص تاريخ أصل الدولة وفي الولايات مثل بغداد كان المقيم (رزدنت) ويقال له (باليوز) أيضاً. ولم يجلب العراق انتباه الأجانب في مثابة واحدة ودرجة متساوية. وإنما تفاوتت العلاقات. وكان في هذا العهد المفرد للقنصليات الإنكليزية والفرنسية ونرى التزاحم بينها كبيراً إلا أن الإنكليز يراعون الجهة العملية والاستفادة من استغلال الأوضاع، والفرنسية تريد الأبهة، وأن ترى الاحترام الرسمي. وآثار الإنكليز مشهودة كما أن الفرنسيين أخفقوا في قضية الطريق البري بين الشام وبغداد وشرعوا في العمل، فلم تدعمهم الدولة ولم تفسح لهم في العمل وأن قرب فتح قنال السويس مما أحبط المشروع تماماً. ويرى تدخل الدولتين مشهوداً. ولم نشاهد لغيرهما أثراً. وكان مندوب الروس والمندوب البريطاني في قضية تحديد الحدود بين إيران والعراق ذوي تأثير كبير...

---

(١) لفظه الأجنبي (Baylos) كما في مباحث عراقية ج ١ ص ٣١ الهامش. وفي رحلة المنشي البغدادي باليوز ومقيم وورد في دوحة الوزراء بهذا اللفظ (باليوز). وتاريخ العراق بين احتلالين ج ٦. وفي قاموس شمس الدين سامي (باليوس) أو (باليوز) وضبطها (balıos) (Balioz) من الإيطالية (Bailo)

وكان الوالي عبدي باشا يميل ذلتوجه إلى القنصل الفرنسي. وأن الترك متصلون بالفرنسيين من قديم الزمان ولعل التدخل الفعلي للإنكليز مما جعل الوالي يرتاب من سطوة الإنكليز وتدخلاتهم فينظر إليهم بحذر فيؤثر الفرنسيين. ولا شك أن الوالي كان يرقب الأحداث بحذر ولكن ذلك زال بزواله واكتسب الإنكليز النفوذ التام وتقلص نفوذ القنصل الفرنسي.

ويهمنا أن السفارات في عاصمة الدولة والعلاقات بها أمكن. وأنها المرجع في كل نزاع أو حدوث خلاف. وتعرف الأوضاع من صلات الدولة في معاهداتها بالدول الأخرى. والحق أن العلاقات بالعراق قليلة. وقد مرّ بنا ذكر أوائل العلاقات بالبرتغال ثم بغيرهم والتجارة محدودة. وبعد الدول عن العراق وعدم وجود الصلات بوسائط كافية مما قلل من هذه العلاقات. وفي الغالب يمثل الإنكليز الدول الأخرى بوكالات قنصلية فانفردوا تقريباً للصلات بالهند بحراً بواسطة الإنكليز...

وأقدم قنصلية في العراق (لقنصلية الفرنسية) تأسست سنة ١٧٤٢م. ومن ذلك الحين أخذ قناصل فرنسا يترداودون إلى بغداد

وأما القنصلية الإنكليزية فيرجع تاريخها إلى سنة ١٧٩٧م فقد عينت لها قنصلاً في البصرة وآخر في بغداد. وهذا يلقب بـ (المقيم). ويقال له عندهم (رزدنت). ومن أشهر رجالها المستر رج ذكرناه في المجلد السابق وفي رحلة المنشي البغدادي ص ٧ تفصيل أكثر عن تأسيس القنصليات الإنكليزية عندنا. وهذه القنصلية تتمتع بامتيازات عظيمة لم يبلغها غيرها. فلها ١٢ (قواساً) وعدد من الجنود المسلمين يبلغون (٦٠) جندياً ولكن هؤلاء تبدل قسم منهم بالجنود البريطانيين. وكان تحت تصرف هذا القنصل باخرة صغيرة يقال لها (كوميت) (Comet) تلازم القنصلية دوماً.

هذا، وإن مراجعة (المسألة الشرقية) يعين درجة نفوذ الدولة وتدخلها وتاريخ هذا التدخل. وفي كتاب (بغداد وسكة حديدها) ما يعين الآمال. ولا يهمنا التوغل إلا بقدر العلاقة بالعراق في بعض الحوادث المارة.

ولم نر أثراً مشهوداً أو صفة ظاهرة لقناصل الدول الأخرى إلا ما شوهد من علاقة المنتدبين من الإنكليز والروس في تحديد الحدود بين إيران والعراق بالوجه المبين.

خلاصة وصفوة

تحصل لنا من المطالب المارة والمشاكل المهمة التي عاناها العراق أن الدولة كان همها أن تقطع دابر المماليك، وتجعل بغداد كسائر البلاد التابعة لها رأساً، فلم تفلح في هذه المحاولة، ولم تحسن الإدارة، فتعمل للتشويق عليها أو الترغيب فيها.

قام الولاة في سبيل تحقيق ذلك بأعمال جائرة، وأن الأهلين لم يروا بدًّا من المجاهرة بالخلاف، فتولدت مشاكل من أهمها (التجبيد)، والقضاء على (المنتفق) وأمثالهم مما مرّ بيانه، فاستعصى الأمر، وشمس الأهلون..

وكل ما يقال إن هذا العهد بدء انتقال، فلم يهدأ في أحواله. ضيقت الدولة فوجدت معاكسة، وخففت من جهة وشددت من جهة أخرى، فكانت المصيبة أعظم والخطر أكبر ولا شك أن الأمور لم تتوضح. ولعل للمعاهدات مع إيران دخلاً في هذا التضييق وتحقق للدولة القضاء على بعض الإمارات. ولم تفلح في الأخرى.

وهكذا من نتائج المسالمة مع إيران أرادت القضاء على المنتفق، وربحت (الأحساء). وغوائل العراق كثيرة وكبيرة. وأن ولاة بغداد لم

يتجحوا، وأن مدحت باشا كاد يخفق في مساعيه لولا همته ومواهبه في حروب الدغارة وتساهله مع المتفق.

ومن المشاكل التي زاولتها الدولة معاهدة أرضروم (أرزن الروم) وما جرى بعدها من تحديد الحدود. وبهذه ثبتت قدم إيران في المحمرة وأنحائها فتركت عشائر كعب إلى إيران مقابل قطع منازعاتها بإمارة بابان... فكانت الصفقة خاسرة.

وفي مطالب الثقافة أهملت (المدارس العلمية) مع ضعف التشكيلات الجديدة فكانت الخسارة كبيرة لا في العراق وحده بل في مختلف ممالك الدولة. وكأن هذه المدارس العلمية لا تصلح للثقافة ولا يمكن إصلاحها بوجه على قاعدة (وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر) أرادت إهمال الماضي أو خافت أن تتعرض بالعلماء حذر الإخلال بمشروع الإصلاحات وأن لا تكرر ما جرى أيام السلطان سليم الثالث من عائلة وكأن (خط گلخانه) يهدف أمراً غير التعرض بالمدارس والعلماء وإصلاح أمرهما.

وعندنا لم يكن أثر للثقافة الجديدة إلا أيام مدحت باشا بتأسيس المدرسة الرشدية وهي ابتدائية وسنتعرض في التاريخ العلمي والأدبي إلى التوضيح.

هذا ما جرى في هذا العهد بنظرة أخيرة. ولا ننس أن الحاضر نتاج الغابر فلا نطيل القول بأكثر من هذا والله وليّ الأمر

الفهارس العامة

١ ـ فهرس الاعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزال

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الظاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٢ ـ فهرس الشعوب والقبائل والنحل

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف النون

حرف الهاء

٣ ـ فهرس المدن والأماكن

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٤ ـ فهرس الكتب

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف النون

حرف الواو

حرف الياء

٥ ـ فهرس الألفاظ الدخيلة والغريبة

٦ ـ فهرس الصور

٧ ـ فهرس الموضوعات